الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

جامعة محمد بوضياف – المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

دعوى القراءة الجديدة
في الدراسات التاريخية عن الغرب الإسلامي

مذكرة مكمّلة لمتطلبات نيل شهادة الماستر

تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي

إعداد الطالبة:

بشرى مباركية

إشراف الأستاذ:

لخضر بولطيف

السنة الجامعية: 1440-1441هـ/ 2019-2020م

إِنَّمَا الْمَرْءُ حَدِيثٌ بَعْدَهُ

فَكُنْ حَدِيثًا حَسَنًا لِمَنْ وَعَى

ابن دُريد (ت 321هـ)

الإهـداء:

إلى "**والدي الكريمين**".. لكما جزيل الشّكر

على عطائكما الصّادق اللامحدود..

إلى معلمي الأول "**عبد المجيد غبولي**".

إلى كل من صادقني، وساعدني طيلة مشواري

الجامعي، كل باسمه وكل بصفته...

إلى من قام على تأطيري، وكان خير سند لي

أستاذي "**لخضر بولطيف**".

الشكر والعرفان:

إلى مشرفيَّ وملهميَّ وقدوتيَّ وسيديَّ وشيخيَّ

"**لخضر بولطيف**" و"**الطّاهر بونابي**"

عرفانا بالجميل.

إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا البحث،

أخص بالذّكر زميليَّ:

"نجاة قارة حسين"، و"هشام بن حمودة".

المقدمـة

1- أهمية الموضوع وإشكالياته:

شهد العالم الغربي في بدايات القرن العشرين، موجات من الفكر التّجديديّ التي سرعان ما راحت تشق طريقها نحو العالميّة وذلك بانتشارها الواسع في كامل أرجاء العالم، بما فيهم العالم العربيّ؛ خاصة وأنها أحدثت ثورة فكريّة، فانتقل فيها التاريخ من تاريخ الحدث والفرد إلى تاريخ البنيّة والنّسق.

"**دعوى القراءة الجديدة في الدراسات التّاريخيّة عن الغرب الإسلاميّ**"، هي محاولة لتتبع مسار الكتابة التّاريخيّة العربيّة، (المغاربيّة) على وجه الخصوص، في ضوء التّحديات المنهجيّة الغربيّة.

وقد اتّخذنا من كتابات الباحث المغربي "إبراهيم القادريّ بوتشيش"، أنموذجا بارزا في البحث، وهذا لسبب وجيه يتمثل، في كثرة إنتاجه العلميّ والمعرفي، الغير عضوي، فهو يسلك مسلك الموسوعيين، ذلك لأنه إلى جانب اهتمامه بالتاريخ الاقتصاديّ والاجتماعيّ، وخاصة تاريخ المسكوت عنهم، فهو يولي أهميّة كبيرة للقضايا المنهجيّة المعاصرة، خاصة وأنه مواكب لتطوراتها.

ولكن حديثنا عن التّطورات المنهجيّة الغربيّة، لا يعني حصر الانتباه فقط في المعطى الغربيّ، ففي المقابل هنالك تأريخ عربيّ أصيل، كان حضوره ضروريا في البحث مع أصحاب دعوى إعادة كتابة التّاريخ العربيّ، وفق شروطه التأريخيّة المستمدة من أسس الدّين الإسلاميّ.

وفي إطار المواكبة الفكريّة، راحت دعوى التّجديد تمس العديد من المستويات الفكريّة، من منظومات ومدونات وخطابات، مع أنصار الطّرح القيميّ، بما فيهم الباحث

الجزائريّ "لخضر بولطيف"، الذي لا يحصر الإبداع في ما يأتي فقط من الغرب، بل للعقل العربيّ شأن فيه.

وقد وقع اختيارنا على هذا الموضوع الذي كان مندرجا ضمن لائحة من العناوين البحثيّة التي اقترحها المشرف "لخضر بولطيف" على طلبته، لأننا لمسنا فيه نوعا من الحيوية البحثيّة التي لا تجعل الباحث يصاب بأزمة من الملل في القراءة؛ وبما أنه يحمل فكرة التّجديد، استهو ت ذاتنا مراجعة ما كتب في إطار التّجديد، خاصة مع تطور المدارس الفكريّة في العالم آملة أن ينضاف إليها شرف المواكبة في التّحصيل.

ولأن البحث لا ينطلق من فراغ، بل ينطلق من استشكال حقيقيّ يراهن الباحث عليه منذ بدايّة البحث، كانت لنا مجموعة من التّصورات صغناها في العديد من التّساؤلات التي تعبر عن إشكاليات حقيقيّة.

-فما هي دوافع التّجديد، وما هي غايات أصحاب الفكرة التجديديّة؟؟

ولأننا في عصر كثرت فيه الوسائل التّرويجيّة للجديد، بما فيها فكرة العناوين الجاذبة التي تدل على قراءة جديدة، فهل كل من وظف عبارة (قراءة جديدة) هو حقا آتي بالجديد؟ أم أنها صفقة إعلانيّة لجذب الانتباه وتحقيق المبيعات وفقط؟؟

-وفي مقابل الدّعوى المعلنة للتجديد، هل هنالك دعوات مضمرة، لا تظهر إلا من خلال القراءة الواعيّة للمستندات البحثيّة ؟؟

-ومن المعلوم أن للمنهج دور فعال في البحث التّاريخيّ، فهو هرمونه الأساسيّ، ومستنده الحقيقيّ الذي يقوم عليه البحث؛ لذلك تساءلنا عما إذا كان لأهل التّجديد رأي فيه خاصة مع بروز حركة التّرجمة والتّعريف بالمناهج الغربيّة؟؟

وكما هو معلوم فالتجديد لا بد وأن يمس بالمصادر البحثية، فما هي أهم المصادر التي دقت باب موجة التّجديد؟ وما هي أبرز الكتابات الموضوعاتيّة التي ظهرت على أعقابها؟ وهل فتحت مجالات للبحث فيما أسدلت عليه الأستغرافيا التّقليدية ستارا من الصّمت والتّحفظ.

2- الدراسات السابقة:

أما فيما يخص الدّراسات السّابقة حول الموضوع، فعلى حسب علمنا و"الله أعلم" تعد تجربتنا من التّجارب الأولى التي خطت صوب هذا الموضوع في شكله المتشعب، فهو لم ينظر إلى جهة بحثيّة معينة، إنما راح يدرس الظاهرة التّأريخيّة عبر مستوياتها الثلاثة، من موضوعات ومناهج ومصادر، وهذا الإلمام هو ما يجعله بحثا مختلفا عن غيره.

3- المنهج والرؤية:

وبلا شك فالبحث لا يكتمل، وحتى لا يمكن البدء فيه دون الاهتداء إلى منهج سليم يمثل تلك القاعدة السّفليّة التي يبنى عليها البحث، لذلك يجب أن تكون صلبة ومتينة لكي لا تهتز أمام ما قد يواجهها من أزمات، "حالها حال البناء".

ومنذ بداية البحث إلى نهايته اعتمدنا نهج القراءة، وإعادة القراءة في المضامين والمحتويات التي قدمناها، حرصا منا على الأمانة العلميّة، فكما يقال "إذا كتبت فقمش"، وشعورا منا بالمسؤوليّة التي رافقتنا منذ بدايّة البحث وحتى نهايته، فكل حرف كتبناه، إلا وتوخينا فيه الحذر من نقل معلومة غير مفهومة، أو تم فهمها بطريقة خاطئة، فكنا في كل مرة نرجع إلى المصدر ونتحقق من ثبات المعلومة ومن سياقها النصي والفهميّ.

ولما تكلمنا عن المسؤليّة وجب علينا أن نوضح للقارئ أننا اكتسبنا هذه النّظريّة من مفهوم الرّساليّة في الحياة، فعلى كل باحث ناشئ رسم طريقه وفق المعايير الثابتة التي لا تزول.

وقد كان المنهج التّاريخيّ بآلياته المختلفة التي تستدرك من خلال قراءة البحث، وتعميق النظر فيه، كفيلا بحمل هذا البحث.

4- هيكل الموضوع:

بعد استيفائنا للمادة العلميّة التي كانت في الغالب الأكثر تشتت الذهن في كيفيّة الصّياغة وهذا لتشعبها وامتدادها، علما أننا حددنا مسبقا المستويات التي كنا سنتطرق إليها على مستوى التّجديد وهي الموضوعات، والمناهج، والمصادر. إلا أن مهمة الفصل بين المنهج والموضوع، وحتى المصدر، كانت من بين المهام الصّعبة التي واجهتنا، ما جعلنا -وإن تمسكنا بداية بخطة طريق بسيطة- نتريث في وضع الاصطلاحات البحثيّة الكفيلة بمقام البحث، حريصين على ضرورة، التّوفيق بين العنوان والمضمون.

وفي النّهاية اهتدينا إلى الخطة الآتية:

-**المقدمة** والتي تناولنا فيها أهميّة الموضوع، وإشكالياته، معبرين فيها على جديّة العمل، ومنهجه والرؤية التي عملنا بها، مع ذكر أهم الدّراسات التي كانت لنا بمثابة القاعدة المفاهيميّة الأولى للبحث.

-**الفصل التمهيدي**، تطرقنا فيه إلى **بواعث التّجديد**، من خلال وضع الأصبع على بعض المعيقات البحثيّة التي جعلت البحث العربيّ يتأخر عن المواكبة، مشيرين إلى أزمة الكتابة التّاريخيّة العربيّة التي صارت تطرح في الكثير من الملتقيات والمؤتمرات الدّوليّة، على أمل الخروج من الأزمة. ثمّ تطرقنا فيه إلى إشكاليّة إعادة كتابة التّاريخ، **من إعادة كتابة التّاريخ إلى تحيين قراءة التّاريخ**، فوقفنا على طرحين الأول ليس راض على حال الكتابة التّاريخيّة العربيّة، والثّاني يدعو إلى إعادة النظر فيه، وقراءته، دون تجاهل القراءة السّابقة.

-**الفصل الأول**، وجاء تحت عنوان: **التّجديد على مستوى الموضوعات**؛ تطرقنا فيه إلى مبحثين أساسيين، الأول تناول **تاريخ البنيّة بديلا عن تاريخ الحدث**؛ واندرج تحته ثلاثة مطالب، تناولنا في الأول **تأثير مدرسة الحوليات في الفكر العالمي**؛ ثم المطلب

الثانيّ تناولنا فيه **التّاريخ الاقتصادي والاجتماعيّ**، وكانت كتابات "محمود إسماعيل" مستندا لنا، وفي إطار التّناسل العلميّ، وقع اختيارنا على طالبه "إبراهيم القادريّ بوتشيش"؛ ثم المطلب الثّالث والذي قدمنا فيه إسهامات النخب العلميّة المغاربيّة في دراسة **تاريخ الأفكار والذّهنيات**، فضلا عن تقديم مفاهيم للمضامين المتعلقة بمصطلحات هذا المجال. أما المبحث فكان عنوانه: **من تاريخ البنيّة إلى تاريخ البنيّة**، طرحنا فيه إشكاليّة احتماليّة قيام مدرسة قيميّة في الوطن العربيّ، استنادا لسؤال القيم الذي طال العالم بأسره، بعد تعرض التاريخ لأزمة الهويّة؛ واندرج تحته ثلاثة مطالب حصرنا فيها اجتهاد طلبة الدّكتور "لخضر بولطيف" من خلال مذكرات الماستر التي تم إنجازها في العقد الأخير من الزّمن الرّاهن، فكان المطلب الأول يتناول **البحث في المنظومات**، الثّاني **البحث في المدونات**، والثّالث **البحث في الخطابات**.

-**الفصل الثاني**، وجاء تحت عنوان: **التّجديد على مستوى المناهج** وهو الآخر انقسم إلى مبحثين، الأول تناول **دور التّرجمة في التّعرف على المناهج الحديثة**، واندرج تحته ثلاثة مطالب، الأول تولينا فيه التّعريف بـ: **المناهج الألسنيّة الحديثة** من بنيويّة، وتفكيكيّة، ورمزيّة تأويليّة، وهيررومنطيقيا؛ والثاني جاء بعنوان: **من التّاريخ الجديد إلى التّاريخ المفتت**، تعرضنا فيه لكتابين مهمين في الكتابة التّاريخيّة العالميّة، الأول "التّاريخ الجديد" الذي أشرف عليه "جاك لوغوف، والثاني "التاريخ المفتّت من الحوليات إلى التّاريخ الجديد" لـ "فرانسوا دوس"، واللذين قام الباحث التّونسيّ "محمد الطّاهر المنصوريّ" بترجمتهما، ولاحظنا تأثيرهما في الكتابة التّاريخيّة العربيّة؛ أما المطلب الثّالث فتناولنا فيه **انبعاث الحدث وعودة السّرد**، وهو يعبر عن الإشكالات الرّاهنة في الكتابة التاريخيّة التي بات عليها وفي ضوء التّطورات الحاصلة، العودة إلى الحدث. أما المبحث الثّاني فجاء تحت عنوان: **المنهج التّاريخي بين التّناهج والتّحديث**، فتطرقنا في المطلب الأول إلى إشكاليّة **مناهج متعددة أو اللامنهج**، وذلك بالتّطرق إلى الفرق بين المنهج التاريخي،

وغيره من المناهج، منوهين على فكرة وضع الاصطلاحات في مكانها المناسب، بالتفريق بين المنهج وآليته؛ أما المطلب الثانيّ فطرقنا فيه إلى قضية **التّناهج أو التّركيب المنهجي** عن طريق تسليط الضوء على أعمال بعض الباحثين المغاربة؛ والمطلب الثالث تناولنا فيه **التّحديث والتّطوير المنهجي،** الذي يظهر فيه الرّهان على جدوى المنهج التّاريخيّ الإسلاميّ منوهين إلى المنهج التّاريخيّ القداميّ، والمنهج التّاريخيّ الحداثيّ.

-**الفصل الثّالث،** والذي جاء تحت عنوان: **التّجديد على مستوى المصادر**، والذي اندرج تحته مبحثين، الأول تناولنا فيه **توظيف النّصوص الدّفينة،** فقمنا برصد أهميتها في إثراء البحث التّاريخيّ، في المطلب الأول، أما المطلب الثاني فتناولنا فيه **توظيف النّص النّازليّ.. متابعة وتقويم،** وقمنا فيه بترصد لأهم الدراسات التي اعتمدت النّوازل الفقهيّة مادة بحثيّة في مختلف النّواحي البحثيّة، مشيرين إلى أهميتها في الكتابة التّاريخيّة؛ أما المطلب الثالث فتناولنا فيه **توظيف النّص المنقبي.. رصد وتقويم،** وقد تطرقنا فيه إلى كيفيّة التّعامل مع المادة المستوحاة من النّص المناقبيّ لتصبح مادة طيعة للاستخدام في البحوث التّاريخيّة؛ والثاني تطرقنا فيه إلى **تحقيق النّصوص المخطوطة،** فرحنا نعالج فيه قضية **جدوى الرّهان على النّصوص المخطوطة** من خلال اطلاعنا على بعض النّصوص الجديدة المحققة من طرف بعض الباحثين والتّطرق إلى أهميتها والإضافات التي تقدمها في الكتابة التّاريخيّة، أما المطلب الثاني فقد تعرضنا فيه لـ**جهود التحقيق في البلدان المغربيّة،** وقمنا برصد أهم المحققين على السّاحة العربيّة والأعمال التي قدموها للبحث التّاريخيّ، أما المطلب الأخير، فخصصناه لـ **أهم النّصوص المحققة منذ مطلع الألفية الثالثة.**

-ثم جاءت **الخاتمة** التي استعرضنا فيها ما قد ترسخ لنا من نتائج بحثيّة، مشيرين فيها إلى آفاق بحثية، لها غاياتها ومفاتيحها.

5- الدراسة النقدية:

ولأننا في كتابة التّاريخ لا نصدر عن الهوى، وإنما نعتمد على الأصول التي تصنع الفكرة، ويبدو أن أصولي البحثية التي اعتمدت عليها، تراوحت بين الكتب المعاصرة الحاملة لفكرة التّجديد، والمقالات التّاريخيّة، وكذا المحاضرات المرقونة، والتي أعتبرها مصدرا لهذا البحث، إضافات إلى استغلالي لوسائل التّواصل الاجتماعيّ في إنجاز البحث، بما فيهم "اليوتيب" وصفحات الفايسبوك، الخاصة، بالأستاذ المفكر "إبراهيم القادري بوتشيش"، والباحث المفكر "لخضر بولطيف"؛ ولأن بحث ينتمي إلى الحقل المنهجي، كان علي الاطلاع على الكتب المنهجيّة، فكان كتاب: الهادي التّيموميّ، المدارس التّاريخيّة، خير دليل ومعين لي في رصد تطور حركة الفكر العالميّة.

أما الكتب والدراسات التي تأتي في محل النّماذج الأكثر اشتغالا عليها فنذكر:

-**مؤلفات "محمود إسماعيل"**، المنظر للفكر الماركسيّ، في الوطن العربيّ، والذي كانت له كتابات عديدة ادعى فيها السّبق العلميّ للبحث من بينها: "الأدارسة في بلاد المغرب (172-375هـ) حقائق جديدة".

-**مؤلفات "إبراهيم القادري بوتشيش"**: احتلت كتاباته محلا شاسعا من البحث، وقد حاولنا الإلمام بدراساته التي جاءت في التاريخ الاقتصاديّ والاجتماعيّ نذكر من بينها:

- "مباحث في التّاريخ الاجتماعيّ للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين".
- "المغرب والأندلس في عصر المرابطين (المجتمع، الذهنيات، الأولياء)".
- "حلقات مفقودة في تاريخ الحضارة في الغرب الإسلاميّ".
- "تاريخ الغرب الإسلاميّ قراءات جديدة في قضايا المجتمع".

أما من المقالات التي ساعدتنا في حصر وضبط البحث في الجانب المنهجيّ، نذكر:

– "تغير مجالات اهتمامات المؤرخ لقراءة التّاريخ الإسلاميّ.. كيف ومن أين نبدأ".

– "علاقة التّاريخ بالسيميولوجيا التّاريخ العربيّ–الإسلاميّ أنموذجا"

–**مؤلفات "الطّاهر بونابيّ"**: تتميز كتابات هذا الباحث بالضّبط المنهجيّ، فكانت بمثابة النّموذج الأكثر دقة في التّوجيه خاصة من خلال كتابيه:

–"مظاهر المجال والدّين والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط".

–"عصر المتصوفة بالمغرب الأوسط دراسة في الحركة الصّوفيّة خلال العصر الوسيط (الماهيّة، المجال، الجذور، االمدارس، الأدوار) من القرن2هـ/8م إلى نهاية القرن7هـ/13م".

–**مؤلفات "لخضر بولطيف"**: لقد كانت نظرة الباحث حاضرة بقوة في البحث، فضلا على أنه المشرف عن العمل، فقد احتلت أعماله حيزا من البحث، ذلك لأنها تمتاز بإدراج الفكرة التّجديديّة في الكتابة التّاريخيّة، والمتتبع لسياق البحث سيرى كيف رافقتنا كتاباته من بداية البحث إلى نهايته، وعلى وجه الخصوص نذكر دراسته الجادة، التي ساهمت في عمليّة انتقالنا من مبحث، إلى آخر في البحث وهي بعنوان:

–"من المدرسة الماديّة إلى المدرسة القيميّة.. مدرسة التّاريخ الاقتصاديّ والاجتماعيّ استيعاب وتجاوز وبشارة".

–إضافة إلى حصيلة المحاضرات المسموعة والمرئية والمرقونة، هذه الأخيرة التي كانت من تدويننا في قاعات الدّرس، أومن خلال حضورنا لمداخلاته العلميّة في الجامعة، فكان لمداخلته: "الخطايا الخمس في المنهجية"، وقع كبير في مجريات البحث.

ولأننا سرنا في بحثنا هذا بهدف تحقيق نظرة أو لمسة في البحث التّاريخيّ، واجهتنا بعض الصّعوبات التي قد تواجه أي باحث ناشئ، إلا أن مساعدة المشرف لنا أغنتنا عن ذكرها وتعدادها.

الفصل التّمهيديّ:

دعوى التّجديد في كتابة التّاريخ

- مدخل
- أولا: بواعث التّجديد
- ثانيا: من إعادة كتابة التّاريخ إلى إعادة تحيين قراءة التّاريخ

مدخل:

إنّ المضي في عمليّة تجديد التّاريخ، من المهام الصّعبة التي يخطوها الباحث المعاصر، ذلك لأنها تتطلب وقتا وجهدا متواصلا ومتناسلا وسعة إطلاع كبيرة، ورصانة في الفكر، وخبرة علميّة وعمليّة، فليس من المعقول أن يطالب من غير أهل التّجربة في مجال التّدريس بالتّجديد؛ إنّ مسألة طرح هذه الفكرة تحتاج إلى شخص واعي يجمع بين الأصالة وما توصلت إليه الخبرة الإنسانيّة اليوم.

وإنه ليروقني أن أبدأ في هذا المدخل بفكرة كنت قد استعرتها من عنوان كتاب البحاثة "قسطنطين زريق"[1]، وهي ضرورة تكوين "مطالب وتساؤلات" من أجل بلوغ مقصد التّجديد على مستوى الكتابة التاريخية العربية، فقضايا التّجديد فيها تتطلب رفع سقف التّحدي وذلك بإثارة التّساؤلات من أجل التّغيير والخروج من أزمة الكتابة التاريخية العربية الحاليّة.

من هذا المنطلق تبادرت في ذهننا العديد من الأسئلة لعل السؤال الشامل لها هو:

-ما السبيل إلى التغيير في هذه الكتابة التّاريخيّة؟ وما هي البدائل الممكنة لذلك؟.

أولا- بواعث التّجديد:

في نظام (ل-م-د) تعد دراسة مقياس المنهجية على اختلاف مسمياتها، مدارس ومناهج، تقنيات البحث التاريخي، دراسات نقدية، مقياس مصادر، حلقات بحث، منهجية إعداد مذكرة...، ضرورة حتمية لا بد منها إذ أنها ترافق الطّالب منذ ولوجه إلى الجامعة إلى غاية تخرجه منها في السنة الثانية ماستر من التّعليم العالي، ما يعني أن الطالب

[1] قسطنطين زريق، نحن والتّاريخ -مطالب وتساؤلات في صناعة التّاريخ وصنع التّاريخ-، ط5، دار الملايين، بيروت، 1975.

يحظى بحجم ساعات لا بأس بها في هذا التخصص المهم في البحث التاريخيّ[1]؛ فالمنهجية تمثل مجموع القواعد الضابطة للكتابة والقراءة معا. وإنني لا أحسب نفسي الطالبة الوحيدة التي لم تكن تفقه شيئا من هذا المقياس عدا كونه يساعد على ضبط التوثيق في آخر صفحات البحث مع تعلمي لخطوات إعداد المقدمة طبعا. لكن بدخولي السنة الأولى ماستر في تخصص تاريخ الغرب الإسلامي تغيرت نظرتي كليا لهذا المقياس، ذلك لأنني تتلمذت على يدي شيخي الأستاذ المفكر "لخضر بولطيف" الذي هو معرف في الوسط العلمي بشغفه بعنصر التجديد وإيمانه به، وهذا ما يعلنه علانية في مداخلاته العلمية الوطنية أو الدولية[2].

وقد تعلمنا في محاضراته كيفية تبادل الحوار الراقي إذ أنه لا يبخل أبدا علينا بطرح أرائنا البسيطة، فهو الذي يعتبر الجامعة بمثابة الصانعة للحدث من خلال تخريجها لباحثين واعيين؛ وعادة ما يناشد بضرورة استعادة الجامعة الجزائرية اعتبارها.

إذا فالمنهجية لا تعبر فقط عن خاصية الضبط في المعلومات، إنها ليست "شريعة منزلة" وهي في المقام الأول والأخير مراس، إنها تستمد من الممارسة[3]. وكون الأستاذ "لخضر بولطيف "أستاذ متمرس في التعليم العالي، فمنذ التحاقه بالجامعة درس العديد من المقاييس: تاريخ المغرب الإسلامي، العلاقات بين المغرب والأندلس، تاريخ الجزائر، الاقتصاد والمجتمع، المعتقدات الدينية، الحركات المذهبية، الدّعوات السياسية، التيارات الفكرية، منهجية البحث العلمي، مصادر البحث التاريخي، المدارس التاريخية الحديثة،

[1]بعدما كانت مقتصرة على طلاب السّنة الأولى من التّعليم الجامعيّ في النظام الكلاسيكي، وقد نوّه إلى أهمية هذا المقياس الأستاذ "لخضر بولطيف" وضرورة إعطائه حجما ساعيّا أكبر .للتزيد أنظر: (لخضر بولطيف، "الأبعاد المعرفيّة والمنهجيّة لبرامج تدريس التّاريخ في الجامعة الجزائرية –رصد وتقويم ومناقشة البدائل–" ، مجلة المعارف، ع09، ص378.

[2]أنظر مداخلته المعنونة ب: الخطايا الخمسة في المنهجيّة، التي ألقيت ضمن اليوم الدراسي المعنون ب: تقنيات البحث التاريخي بين المنهج السليم والأخطاء الشائعة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،قسم التّاريخ، جامعة المسيلة، يوم 04–مارس–2019م متوفرة على اليوتيب على قناة المؤرخ الجزائري .

[3]لخضر بولطيف، مداخلة : الخطايا الخمس في المنهجية .

مناهج البحث الحديثة، تحقيق النصوص والمخطوطات، حلقات بحث[1]، فإن هذا يخوله كامل الصلاحيات لطرح بدائل ممكنة للتجديد في الكتابة التّاريخية.

إن الحديث في موضوع التّجديد في الكتابة التّاريخية يطرح نفسه في العديد من الملتقيات العربية كون العرب بحاجة إلى تكوين مدرستهم المنهجية الثابتة التي تقوم على طرح عربي خالص. فما لبث النقاش يدور بين العرب عن إمكانية قيام مدرسة تاريخية عربية في مقابل المدرسة الكولونيالية[2].

لذلك اتجهت العديد من الدول الإسلاميّة غداة الاستقلال إلى الاهتمام بتدريس التاريخ في مؤسساتها التّعليميّة والجامعيّة، مولية أهمية خاصة لتاريخها القوميّ والوطنية في محاولة منها لدعم استقلالها السياسيّ، وبالتّأكيد على تمييز شخصيتها وعراقة انتمائها[3].

وقد سئل العلامة "أبو القاسم سعد الله" الجزائري –رحمه الله– عن وجود مدرسة تاريخيّة جزائريّة واضحة المعالم فكان جوابه:"ربما يمكن وصف المرحلة التي نحن فيها بمرحلة ردود الفعل على المدرسة التاريخية الفرنسية الموجهة وردود الفعل لا تؤسس مدرسة تاريخية"[4]. وإننا بحديثنا على الجزائر كبلد خرج منهكا من الظاهرة الاستدمارية، يمكننا أن نعمم الوضعية على باقي الدول العربية، كوننا مررنا بقاسم مشترك هو الاستعمار. وفي مقام كتابة تاريخ قومي نوه "موسى لقبال" –رحمه الله– على ضرورة نبذ الشمولية في البحوث التاريخية كي لا تصبح أحداث بلادنا (الجزائر) غارقة في أحداث

[1]تم الحصول على هذه المعلومات من خلال اطلاعنا على موجز السيرة الذاتية للأستاذ، والتي قدمت إلينا من طرفه عبر بريده الالكتروني.

[2]لخضر بولطيف، "نحو مدرسة تاريخيّة جزائرية فتح ملفات عالقة"، مجلة عصور الجديدة، ع3-4، 201/2011 ص316.

[3]لخضر بولطيف، "الأبعاد المعرفيّة والمنهجيّة لبرامج تدريس التّاريخ في الجامعة الجزائريّة –رصد وتقوم ومناقشة البدائل–، ص375.

[4]لخضر بولطيف،" نحو مدرسة تاريخية جزائرية فتح ملفات عالقة "، ص316.

جيرانها مغربا ومشرقا، وبتمهيد الأرضية أمام الباحثين برصد المظان والنصوص الأساسية التي ذكر فيها المغرب الأوسط،[1] ويبدو أن الباحث الجزائري "الطاهر بونابي" سار على هذا النهج بمحاولته لإبراز معالم المغرب الأوسط الذي حسبما قال: "كثيرا ما يستثنى في القراءة التاريخية في حضور تاريخ افريقية والمغرب الأقصى، بل إن المقارنة بين الظواهر عند الباحثين وكذلك المقاربات المنهجية في التّفسير التاريخي عادة ما تكون بين النموذج الزيري بإفريقية والمرابطي بالمغرب..."[2]، ويبدو أن اهتمامه هذا بالجانب الوطني ناجم عن حسه الوطني الكبير وقد وظف هذا الحس في معظم الأطاريح الجامعية التي أشرف عليها، فغالبها أطر في حدود جغرافية المغرب الأوسط[3].

وقد سبقه في ذلك من قبل "أبو القاسم سعد الله" حين صرح قائلا: "فالجزائر طالما ظلمها أعداؤها وأشقاؤها على السواء، وظلم ذي القربى أشد مضاضة على المرء"[4].

نعود إلى البدائل التي اقترحها الباحث "لخضر بولطيف"، من أجل السير صوب عملية التجديد في كتابة تاريخنا، بعدما قام بعملية رصد وتقويم لمفردات البرامج والمناهج المعتمدة في تدريس التاريخ في الجامعة الجزائرية، محددا مواضع الخلل والقصور الكامنة فيها[5] ، فكانت البدائل على النحو الآتي[6]:

-ضرورة انطلاق البدائل المقترحة من عقيدة الأمة وقيمها في اتّجاه استقراء حركة

---

[1]موسى لقبال،"تاريخنا الوطني ومسعى إعادة صياغته بشمولية وبروح جديدة "، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ع11، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ص12-13.

[2]الطاهر بونابي، مظاهر المجال والدين والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2017، ص 03.

[3]نذكر منها على سبيل المثال : رسالة الدّكتوراه لإلهام قاتل، النخبة العالمة في المغرب الأوسط(القرن 7-9هـ/13-15م)/ رسالة الماجيستر لمصطفى بن عريب، مجتمع المغرب الأوسط المتغيرات والعلائق (من القرن الرابع الهجري إلى سقوط دولة الموحدين 668هـ1269مالقرن العاشر القرن الثالث عشر ميلادي .

أما مذكرات الماستر فهي كثيرة نذكر منها : سهيلة دهمش، الحرف والحرفيون في المغرب الأوسط الزياني .

[4]أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1989، ج01، ص13.

[5]لخضر بولطيف، "الأبعاد المعرفية والمنهجية لبرامج تدريس التاريخ في الجامعة الجزائرية" ..، ص 375.

[6]لخضر بولطيف، "الأبعاد المعرفية والمنهجية لبرامج تدريس التاريخ في الجامعة الجزائرية" ، ص383-386.

التّاريخ فتاريخنا هو تاريخ عقيدة شاملة لها خصائصها ومقوماتها قبل أن يكون تاريخ فكر وأحداث وظواهر اجتماعية وأوضاع سياسية .

–ضرورة تناول مقياس "ما قبل التاريخ" من منظور إيماني ضمن معادلة ذات ثلاثة أقطاب: الله، الكون، الإنسان، وبهذه الطريقة تتم أسلمة ما قبل التاريخ ويتم إفراغه من محتواه الإلحادي؛ وقد نوه إلى أن إعمال المنظور الإيماني في دراسة ما قبل التاريخ لا تعني المصادرة على كل ما جاءت به المدونة الغربية بل إنه يتطلع لأن تتدارك الأمة الإسلامية ما يطبع واقعها العلمي في ميدان الطبيعة والأحياء والآثار من قصور وتخلف.

وقد صرح بأنه :"ليس مهما أن تتضارب رؤانا وتتباين مناهجنا، بقدر ما ينبغي أن نكون واضحين منسجمين مع منطلقاتنا الفكرية، متفقهين ومتمرسين بإعمال أدواتنا المنهجية. كما ليس مهما أن تفترق انشغالاتنا واهتماماتنا العلمية بقدر ما ينبغي أن نرتقي بمستوى طرحنا وتناولنا بمنأى عن الارتهان لقضايا ظرفية مفتعلة ."[1]

من جهة أخرى يضع الباحث "محمد بن ساعو" الملح على الجرح بطرقه لموضوع مستوى التأطير في الجامعات، فقد بات الأساتذة الذين يتولون مهنة الإشراف على أعمال بحثية أكاديمية يوجهون الطلبة إلى مواضيع يظهر أنها ليست بذلك الثّقل الذي يجعل الأكاديميّ يقدم الإضافة، وفي المقابل ترفض مواضيع أخرى بحجج واهيّة[2]. وبالتالي غياب الإشكال حاضر بقوة هنا، وإذا غاب الإشكال حلت فكرة العجز عن تقديم أو الإتيان بالجديد، وبالتالي الوقوع تحت طائلة التكرار والاجترار؛ إضافة إلى هدر الوقت والجهد والمال[3]. كذلك فإن اقتراح مواضيع مطروقة ستخل حتما من مهنة الإشراف التي تعد من أنبل المهن على الإطلاق ذلك لأن الأستاذ في أداء واجبه نحو تلميذه فأنه من

---

[1]لخضر بولطيف، "نحو مدرسة تاريخية جزائرية فتح ملفات عالقة "، ص326.

[2]محمد بن ساعو، "مسيرة الكتابة التاريخية في الجزائر بين أثقال التقديس ونزعات التسيس وترسبات الكولونيالية "، مجلة ذوات، ع36، 2017، ص28.

[3]لخضر بولطيف، مداخلته، الخطايا الخمسة في المنهجية، فيديو مسجل على اليوتيب، إضافة إلى محاضرة مكتوبة ومسجلة بتاريخ :05–02–2019.

الضروري أن يرافقه من لحظة الاستشكال إلى صياغة العنوان وصولا إلى الخطة، فحضور الأستاذ في الخطة هو حضور ضروري[1]؛ أضف إلى ذلك فللنهوض بالجامعة الجزائرية وجب على الأساتذة إدراك أن التّعليم وظيفة حساسة للغاية، فإذا كان الحداد يتعامل مع الحديد، والنّجار مع اللّوح، والخباز مع الدقيق، فإن المعلم يتعامل مع النفس والعقل وبالتالي فهذه المهنة لا يحب أن تسند لأي كان فالمعلم هو الصّانع وهو المطوع وهو المكيف؛ فالتّعامل مع الإنسانية إذا مسؤولية يحاسب عليها صاحبها أمام الله، وبالتالي يجب أن تتوفر لدى هذا الصانع خصال الإخلاص في تأدية الواجب، فلا ينظر للواجب على أساس توفير" للمعاش" فقط[2].

من بين المنظرين أيضا لفكر التّجديد نجد الباحث "إبراهيم القادري بوتشيش" الذي يرى أن دق مجال التّغيير يبدأ من وضع الإصبع على ثلاثة قضايا، تشكل الأولوية للانطلاق في عملية التّجديد هي كالآتي:

-فك الحصار عن تاريخ البسطاء والمستضعفين، فتجديد التاريخ يكون انطلاقا من رؤية رصينة ومعايير موضوعية صارمة تهدف إلى سبكه وصياغته صياغة جديدة وترويضه المنظومة الشمولية[3]. وعليه وضع مجموعة من التغيرات والانتقالات التي يقوم بها الباحث في المجالات الآتية[4]:

-تحول الاهتمام من الفرد إلى الجماعة.

-تحول على مستوى خارطة الأشخاص.

---

[1] لخضر بولطيف، محاضرة بعنوان: "واقع الاشراف بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون"، ألقيت بتاريخ: 19-02-2019م، وهي مكتوبة ومسجلة.

[2] لخضر بولطيف، محاضرة بعنوان : الدراسة الجامعية بين الشهادة والرّسالة، ألقيت بتاريخ 09-10-2019. وهي مكتوبة ومسجلة .

[3] إبراهيم القادري بوتشيش، تجديد التّاريخ الإسلامي.كيف ومن أين يبدأ؟، مجلة الاجتهاد، ع1994،22،ص132.

[4] إبراهيم القادري بوتشيش، "تغير مجالات اهتمامات المؤرخ لقراءة التّاريخ من الأسفل تاريخ المهمشين نموذجا"،ندوة أسطور، ع 04، 2016، ص 284-285-286.

-تحول على مستوى خارطة المكان.

-انتقال على المستوى الثقافي من عالم النّخبة إلى عالم الأميين.

انتقال نحو العالم المتخيل.

تحول على مستوى الجندر.

تحول في شبكة التحقيب التاريخي، وذلك بالانتقال من الزمن القصير إلى الزمن الطويل.

-انتقال من المجال الشّرعي إلى الفضاء المحظور.

-انتقال من تاريخ الأكثرية إلى تاريخ الأقليات.

-انتقال إلى تاريخ الذهنيات.

-توسيع مجال الوثيقة والمصدر والحفر في التراث المخطوط، فمجال الوثيقة صار أرحب وأشمل وأوسع فهو يتغذى من مختلف الروافد: أنثروبولوجيا، سوسسيولوجيا، علم الفلم، علم النّفس...إلخ[1]

وقد رأى ضرورة البحث والتنقيب في المواضيع التي سكتت عنها المصادر التاريخية، من خلال الغوص في التّاريخ، وضرورة الحث في البوادي ذلك لأن معظم تاريخنا تاريخ حواضر[2]، في هذا المجال يقول "محمد حسن": "ظلت الدّراسات الخاصة بالبادية المغربيّة نادرة ومتفرقة"[3]، ولقد ضمن "محمد حبيدة" مقالا في كتابه "بؤس التّاريخ" معنون بـ:" التّاريخ القروي في المغرب الأقصى"، وهو مقال يسعى إلى لفت انتباه المؤرخين إلى ضرورة الحفر في تاريخ القرى والبوادي ومحاولة سبر أغوار هذه الحقول [4].

وقد أشار"القادري" إلى فكرة جوهرية في التغيير مفادها ضرورة إعادة النّظر تحقيب

---

[1]إبراهيم القادري بوتشيش،" تجديد التّاريخ الإسلامي ..كيف ومن أين يبدأ؟"، ص137.

[2]إبراهيم القادري بوتشيش، تجديد التاريخ الإسلامي ..كيف ومن أين يبدأ؟، ص143.

[3]محمد حسن، المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي، أوريس للطباعة، 1999، ج01، ص08.

[4]محمد الطاهر المنصوري، "التّاريخ العربي وأزمة المناهج من خلال كتاب محمد حبيدة بؤس التّاريخ" ، مجلة أسطور، ع 04، 2016، ص 163.

تاريخنا الإسلامي الذي لا يزال مرتبطا بالتحقيب الكلاسيكي الأوروبي[1]، فمن الأجدر أن يكون لنا تقسيم أكثر انطباقا على عهود حضارتنا وثقافتنا[2]، وقد سعى "محمد حبيدة" في كتابه "بؤس التاريخ" إلى مراجعة التّقسيم الكلاسيكي للتاريخ (قديم، وسيط، حديث، معاصر)، لكن "محمد الطاهر المنصوري" رغم أنه أعجب بما قدمه "حبيدة" فهو محق في ضرورة النظر ومحق في طرح البديل، لكنه تساءل عن مدى نجاح المؤلف في ذلك، فيقول: "كيف نرفض التّقسيم الغربيّ ونستعمل مصطلحاته؟ فإذا كان التّقسيم: وسيط، حديث، معاصر، لا معنى له في حدوده الزّمنية، وربما حتى في محتواه فالأفضل أن نتخلى عليه"[3].

ولا يكتمل التجديد إلا بالرجوع إلى منهج يقوم على أساس عقلاني يكون بعيدا عن الفكر الخرافي والغيبي، هكذا صرح "القادري"[4]، من جهة أخرى يرى "حبيدة" أن تطور الكتابة التّاريخية مرهون بتطور البنية الاقتصادية بشكل أعم وبإصلاح الاختلالات التي تعرفها المنظومة والدفع نحو مزيد من الدّيموقراطية والانفتاح[5]، وبخصوص الجانب الماديّ يصرح "محمد ساعو" أنه لا يمكن للمؤرخ أن يصل إلى أهدافه البحثية دون مساندة مؤسسات الدّولة وتوفير الإمكانيات اللأزمة وضمان هامش الحرية والمجال للتحرك والبحث دون قيد[6] .

إذا فمن الواضح أن مسألة بواعث التجديد لكتابة التاريخ الإسلامي تقوم على مزيج متكامل بين ما يجب أن يكون عليه الفرد وما يحويه من خصال طيبة تمكنه من دخول

---

[1]إبراهيم القادري بوتشيش، تجديد التاريخ الإسلامي ..كيف ومن أين يبدأ؟، ص 145.

[2]عمر فروخ، تجديد التّاريخ في تعليله وتدوينه "إعادة النظر في التّاريخ"، ط1، دار الباحث، بيروت، 1980، ص 16.

[3]محمد الطاهر المنصوري، "التّاريخ العربي وأزمة المناهج من خلال كتاب محمد حبيدة بؤس التاريخ " ، ص162.

[4]إبراهيم القادري بوتشيش،" تجديد التّاريخ الإسلامي ..كيف ومن أين يبدأ؟"،ص 143.

[5]حسن بودلال، "لا تاريخ بدون تجاوز النظرة التقديسية للماضي" ، ع 36، 2017،ص 69.

[6]محمد بن ساعو، مسيرة الكتابة التّاريخية في الجزائر بين أثقال التّقديس ونزعات التسيس وترسبات الكولونيالية، ص34.

مجال التعليم والتي هي ضرورة لا بد منها وقد تشكل الأساس والجوهر واللب، وبين مجموعة البدائل الأخرى التي تختلف من ميدان إلى آخر، وصولا إلى فكرة حرية التّعبير عن الرأي هذه الخاصية وحدها تمكن الباحث من صناعة ذاته بذاته وتخرجه عن نطاق التبعية، وبالتالي تمكنه من الإبداع مستقبلا لأنه تشبع بروح الحرية.

ثانيا- من إعادة كتابة التّاريخ إلى تحيين قراءة التّاريخ:

لا شك وان بين فكرة إعادة كتابة التّاريخ وفكرة تحيين قراءته فروق جوهريّة، رغم أن القراءة والكتابة هما في الأصل كلمتين لفعلين متصلين، فنحن نقرأ لنكتب، ونكتب ما نقرأ.

سنكون في هذا العنصر بين وجهتي نظر مختلفة؛ الأولى ترمي إلى إعادة كتابة تاريخنا نظرا لعدم تقبل وضعه الخالي؛ والأخرى تهدف إلى إعادة النّظر فيه وإعادة قراءته.

1- إعادة كتابة التاريخ:

يرى أنصار هذا الطّرح أن إعادة كتابة تاريخنا الإسلاميّ هو ضرورة لا بد منها نظرا لما طاله من عبث أياد خبيثة وأخرى غير أمينة دونته لغرض تشويهه[1]، إنني هنا أتحدث عن ظاهرة الاستشراق فمن المعروف أن تاريخنا كتب بأقلام أجنبية، بسبب ما عرفته البلاد العربية بشقيها الإسلاميّ والمسيحي من دمار في مختلف البنى نتيجة الاستدمار، وعندما خرج المستعمر سياسيا ترك ما يدعه دائما مسيطر وهو الغزو الفكري الذي يعد أخطر من أي غزو، وقد ساهمت العولمة[2] فيه بالتّأكيد.

يبدو أن ظاهرة الانبهار بالفكر الغربي استفحلت عالمنا العربي، وذلك بسبب انقياد

---

[1] مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون (ما لهم وما عليهم)، دار الوراق، ص، 05.

[2] "إن العولمة كظاهرة ثقافية تحاول بما أتيت به من قوة ثقافية واعلامية اكتساح التّاريخ الإسلامي ونتنمطه حسب توجهاتها..."، للتزيد أنظر : (إبراهيم القادري بوتشيش، "رؤية مستقبلية لكتابة التّاريخ الإسلاميّ في ضوء العولمة"، عصور الجديدة،ع22-2014،23،ص30.

بعض المحسوبين على الفكر العربي إلى ظاهرة تقليد الغرب والدعوة إلى السّير صوبه كونهم أصبحوا مفتونين به[1].

وقد قام أحد الباحثين بذكر مجموعة من المثقفين العرب الذين تأثروا تأثيرا بالغا بمناهج الغرب فحاولوا إسقاطها على التاريخ الإسلامي، نذكر من بينهم:

-جورجي زيدان صاحب الرّوايات البطولية والغراميّة في التّاريخ الإسلاميّ، وقد صور حياة الصّحابة من بعد وفاة الرسول -صلى الله عليه وسلم- بأنها حياة مجون ولهو وفساد، كما وقد نسب لتاريخ الفتوحات الإسلاميّة ارتباطه بالسعي وراء الشهوات واللذات الدنيويّة.

-طه حسين هو الأخر قام بتشويه الفكر الإسلاميّ انطلاقا من تشويه صورة النّبي -صلى الله عليه وسلم- في كتابه المعنون بـ: على هامش السيرة، فقد صوّر الرّسول بصورة العاشق الولهان الذي تعلق قلبه بامرأة في عصمة غيره وهي "زينب بنت جحش"، تحت عنوان عريض كان: شوق الحبيب إلى الحبيب[2]. يبدو أن طه حسين كان منبهرا كثيرا بمناهج الغرب ما جعله يؤكد على أن العقلية المصرية أقرب من العقلية الغربية أكثر من العقلية الشرقية منها وما هي إلى امتداد للعقلية الغربية، وحثّ على أن الغرب هم المثال الأعلى الذي يجب أن يقتفي المثقفون خطاه وينسجون على منواله[3].

وبالتالي فقد نجح الغرب باستغلال بعض العقول العربية، التي بدورها لم تتغاضى عن إكمال مسيرته، رافعة شعار التّجديد لكنهم في الحقيقة مجرد نقلة مقلدين للفكر الغربي، وقد حاول البعض منهم تطبيق مقاييس الحضارة الغربية على حضارتنا واتّخاذ

---

[1] مهدي فضل الله، العقل والشّريعة مباحث في الابستمولوجيا العربية الإسلامية،ط1، دار الطليعة، بيروت، 1995، ص08

[2] أبو جميل الحسن العلمي، إعادة كتابة التّاريخ الإسلامي في ضوء منهج الجرح والتّعديل، معهد الغرب الإسلامي للتكوين والبحث العلمي، القنيطرة ،2006، ص27-28.

[3] مهدي فضل الله، العقل والشريعة مباحث في الابستمولوجيا العربية الإسلامية، ص08.

القيم الغربيّة أساسا لمحاكمة قيمنا[1]. مع أنه من المعروف أن التّراث الإسلامي يتأثر بالمنهج المستخدم وقد تشوه صورته في الأذهان في حال ما إذا طبقنا عليها مناهج العلوم الإنسانية الغربية، فإذا طبقنا منهج التّحليل النفسي "لفرويد" على قطاع مهم من قطاعات الفلسفة الإسلامية وهو التّصوف، فإن النتيجة المترتبة عن ذلك هي أن التّصوف كنايه عن: نكوص وسيلة، وانهزامية وعقد شخصية وأمراض نفسية وانفصام شخصية. وستصيب هذه النتيجة على الملايين من مريده ودارسيه بالخيبة والأسى والغضب[2].

وتكمن الخطورة أيضا في هذا (أي عند تطبيق مقاييسهم) في أننا سنشغل أنفسنا بقضايا تصرفنا عن التّوفر على ما ينبغي أن تنصب عليه جهودنا، فمثلا لقد شهد الغرب انفجار ثورة على الكنيسة قامت على أعقابها حركة الإصلاح الدّينيّ، هل معنى هذا أن نقول كما قال البعض أنه لابد من ثورة دينية؟ وهناك من يقول: نحن بحاجة إلى لوثر مسلم، فهل نحن حقا بحاجة إلى واحد مثله[3]؟

يبدو أن هذه الوقائع كافية لقيام بعض المفكرين العرب من أمثال "عماد الدّين خليل" الذين يملكون غيرة على تراثنا الإسلامي بالدعوة إلى مجابهة الغرب والوقوف معهم وقفة النّد للند، فبعد معرفة الدّاء لابد من البحث على الدّواء المناسب له، إلا أن هذا لن يتحقق دون امتلاكنا للمنهج الذي سيقودنا حتما إلى وضعية أحسن شريطة أن يكون منهجا دقيقا واضح الأبعاد محدد المفردات، وبالتالي هو واحد من أولئك الذين يضعون على عاتقهم ضرورة إعادة كتابة التّاريخ[4].

وقد أقر "عماد الدين خليل" أن المنهج ضربة لازب في الكتابة التّاريخية في حقل التّاريخ الإسلامي، وذلك لعدة أسباب، نذكر منها[5]:

---

[1] محمود يوسف زايد، الحاجة إلى إعادة كتابة التّاريخ الإسلامي،ص72.

[2] مهدي فضل الله، العقل والشريعة مباحث في الابستمولوجيا العربية الإسلامية،ص11.

[3] محمود يوسف زايد، الحاجة إلى إعادة كتابة التّاريخ الإسلاميّ73.

[4] عماد الدّين خليل، حول إعادة كتابة التّاريخ الإسلاميّ، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 2005، ص 07-08.

[5] عماد الدين خليل، حول إعادة كتابة التّاريخ الإسلامي، ص10-11-12.

– غياب الهدف وانعدام الرّؤية للكثير من مؤلفاتنا التاريخيّة القديمة والحديثة.

– غياب النقد الحسي أو عدم حضوره بشكل مؤكد في معظم الأعمال التاريخية الخاصة بنا.

–غياب الرؤية الإسلامية الأصلية نظرا لتأثرهم بالمستشرقين.

ينبه الباحث السابق أن اعتماد المنهج في أنشطتنا الفكريّة ليس اقتباسا عن حضارة الغرب بقدر ما هو رجوع إلى الجذور والتّقاليد الأصلية التي صنعناها نحن على هدي كتاب الله وسنة نبيه، ومعطيات أتباع هذا الدّين زمن تألقهم الحضاريّ. فعقيدتنا بما تحويه من مضامين ثقافية لا يمكن مقارنتها بالفكر الغربي لتفوقها عليهم فنحن نملك مبادئ ثابتة وهذا ما قد اعترف به غيرنا والذي يعوزنا فقط هو نهج المنهج السليم[1]. وبالتالي نستطيع تكوين رؤية واضحة لموقع تاريخنا من التّاريخ العالمي انطلاقا من مبادئنا الإسلامية الواضحة الأبعاد خاصة وأن الإسلام يحمل نظرة مغايرة للإنسان والطبيعة، كما لا يجب أن ننسى أن عصر السيادة الأوروبية يستمر لمدة أربعة قرون مضت منذ حملة الكشوفات الأوروبية، في حين سيطرت الدّولة الإسلامية وأثبتت قوتها على مدار عشرة قرون من الزمن بدءا من عهد الخلفاء الراشدين[2]، ولأننا في عصر الانتشار الواسع للإيديولوجيات والمذاهب واختلاط الحابل بالنابل، لابد وأن تكون مهمة الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية ومسألة تعميقها بالدرجة الأولى من مسؤولية المؤرخ كي تتضح الرؤية الصّحيحة لدى القارئ ويوضع في الجو المناسب والملائم له، إضافة إلى تزكية الشعور لديه بالاعتزاز بنفسه وبقومه وبتراثه[3].

يبدو أن أنصار هذا الطرح يتفقون في المبدأ والشّرط الأساسي الذي ينبغي أن يتوفر لدى المؤرخ كي يحقق كتابة عادلة تخلو من التّشويهات التي نسبها إلينا أهل الاستشراق

[1] عماد الدين خليل، حول إعادة كتابة التاريخ الإسلاميّ، ص 08–09.

[2] محمود يوسف زايد،الحاجة إلى إعادة كتابة التّاريخ الإسلامي،ص 75–76.

[3] محمود يوسف زايد، الحاجة إلى إعادة كتابة التّاريخ الإسلامي، ص 78.

وتلامذتهم، وهو ضرورة العودة إلى منهج التّشريع الإسلاميّ.

2- تحيين قراءة التاريخ:

لقد مرّ التّاريخ الإنساني بعدة قراءات تطورت بمرور الزّمان، فكانت القراءة الأولى للتاريخ قراءة أسطوريّة محملة بالخيال، ولم تتوفر على المنهج العلميّ، ثم جاءت القراءة الدّينيّة للتاريخ التي استهدفت أغراضا مختلفة؛ فالقراءة اليهوديّة مثلا قامت على فكرة "شعب الله المختار" وراحت تدافع عن فكرتها، فكانت قراءة مشوشة تخلو من المنهج لأن هدفها لم يكن الوصول إلى الحقيقة؛ ثم جاءت القراءة المسيحيّة وهي الأخرى كانت غائيّة تخلو من المنهج، ذلك لأنها ترى أن الإنسان يحمل ذنب الخطيئة الأولى وما حياته الدنيا إلا مرحلة تتوسط مجيء المسيح الأول ومجيئه الثّاني؛ أما فكرة الإسلام والتّاريخ فهي فكرة مغايرة تقوم على احترام الذات الإنسانية، كون الله ميّز الإنسان بالعقل وجعله خليفة في الأرض، وللتاريخ غرض تعليمي جاد في القرآن الكريم يتمثل في سرد قصص الأمم والشّعوب السّابقة من منطق العظة والعبرة، وهكذا قد كان فيه المنهج متقدما رغم أنه لم يكن علميا بالقدر الكافي، إلى أن تقدمت فيه الدّراسات سواء من الجانب المعرفي أو المنهجي على أيدي مؤرخيه مثل: ابن خلدون والكافيجي والسخاوي...[1]، فالقراءة التاريخية إذا مرّت بتطورات كان الإنسان الجزء الفاعل فيها والمحرك لها.

ويشهد العالم المعاصر كما جاء على لسان أحدهم علوا للأمم التي استطاعت أن تعيد فهم تاريخها بشكل جيد، بينما تتحجر تلك الأمم التي تفشل في فهم صيرورة تاريخها[2]. وكما هو معروف فإن التّاريخ همزة وصل بين الماضي والحاضر والآتي، وأحداثه متداخلة لا تتوقف، فيمكن للباحث فيه أن يفسر ظاهرة حدثت في زمن قريب على

[1] قاسم عبده قاسم،تطور مناهج البحث في الدّراسات التّاريخيّة، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 2006، ص07-08-09.

[2] أسامة الزّكاري، "إعادة قراءة التّاريخ "، مجلة رهانات، ع17، 2016ص58.

ضوء التّاريخ إيمانا منه أن ذلك الحدث لم يمكن ابن ساعته وإنما كان نتيجة لأسباب كثيرة وتطور طويل، فيعيد تدوين عدد من فصول التّاريخ من جديد ليؤكد جانب العوامل الجديدة التي كانت قد برزت في الحياة العامة منذ زمن قريب[1]. ومنه فـ: "إن إعادة كتابة التاريخ لا تقتضي البحث فقط عن وثائق جديدة، بقدر ما تتطلب قراءة المتوفر منها قراءات متعددة اعتبارا لتطور أدوات البحث واحترام خصوصية كل جنس منها"[2]. فالكتابة التّاريخية عملية متجددة تواكب المستجدات الحضارية فإذا كانت الحقيقة التّاريخية واحدة فقراءتها قد تكون متعددة[3].

إذا وفي ضوء الحديث السّابق فإن المسوغ الأول لتجديد التّاريخ هو "أن الوقائع تتوالى بتوالي الأيام فكل يوم جديد يأتي بوقائع جديدة يجب أن تدون وتضاف إلى سلسلة التّاريخ التي لا تنتهي، ثم إن عددا من الوقائع تنكشف لها مع الأيام تفاصيل جديدة. وتختلف الأحوال باختلاف الأزمان فيحتاج المؤرخ إلى عرض الوقائع القديمة عرضا جديدا لفهم تلك الأحوال فهما أدق واصح وأحسن[4].

إن تحيين قراءة التاريخ تقوم في الأساس على ضرورة فهم التّاريخ وإعادة قراءة التّاريخ لا تعني تزوير التّاريخ بقدر ما هي انخراط في مسعى تفعيل التّاريخ لخدمة أغراض الحاضر والتّطلع للمستقبل[5].

ناهيك عن أن التاريخ مرتبط بالعدالة (بالعلم والأمانة والخلق)، إذا فالغاية من تحيين

---

[1]عمر فروخ، تجديد التّاريخ في تعليله وتدوينه –إعادة النظر في االتّاريخ –، ص 11–12.

[2]محمد ياسر الهلالي،" اغتيال السّلطان يوسف بن يعقوب المرينيّ قراءة في نصوص تاريخية ومناقبية لحادثة المنصورة"، ضمن الكتاب الجماعيّ: التّاريخ والفقه (أعمال مهداة إلى المرحوم محمد المنونيّ)، تنسيق: محمد حجي، ط1، منشورات كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، الرّباط، 2002 ، ص01.

[3]محمد بن ساعو، "مسيرة الكتابة التّاريخية في الجزائر بين أثقال التّقديس ونزعات التّسيس وترسبات الكولونيالية"، ص 27.

[4]عمر فروخ، تجديد التاريخ في تعليه وتدوينه إعادة النظر في التاريخ، ص11.

[5]محمد بن ساعو،" مسيرة الكتابة التّاريخية في الجزائر بين أثقال التّقديس ونزعات التسيس وترسبات الكولونيالية، ص27.

القراءة ليست إلغاء لما سبق من الوقائع التي يخالف فيها بعض الناس بعضا من الرأي السّياسيّ والدّيني والاجتماعيّ أو حتى الشّخصي، فلا يجب طمس ما جاء به السّابقين[1].

إذا فالمطلوب هو إعادة النظر في التّاريخ وتقبله دون إلغاء للكتابة الأولى وذلك لارتباط التّاريخ بخاصية التّطور والاستمراية والمواكبة.

[1] عمر فروخ، تجديد التّاريخ في تعليله وتدوينه –إعادة النظر في التاريخ –، ص10.

الفصل الأول:

التّجديد على مستوى الموضوعات

مدخل

أولا: تاريخ البنيّة بديلا عن تاريخ الحدث

ثانيا: من تاريخ البنيّة إلى تاريخ القيمة

أولا- تاريخ البنيّة بديلا عن تاريخ الحدث:

في عالم الفكر تتغير الرّؤى والأنظار، الحتميّة أمر منبوذ والتّغيير هو المطلوب المحمود، الذي ينال به الباحث وسام البحث الجاد، ولقب المؤرخ الدّائم العطاء. إن دليلنا في حديثنا هذا يعتمد أساسا على ما أحدثته، فيزياء الكوانتا من تغيرات قلبت الموازين، في عالم كان ثابتا، فبعد إيمان نيوتن بأن الزمان كلي الحتميّة ؛فمن خلال قياس مابين زمان وزمان، يمكن معرفة مصير الكون بحتمية كبيرة؛ ولكن بفضلها -فيزياء الكوانتا- استبدلت المفاهيم وتغيرت المعطيات، فصارت النسبية والاحتمال، محل الحتمية والثبات[1].

ومن نافلة القول هنا: كيف لمعطيات فكر كان ثابتا أن تتغير، ولا يمكن تغيير ما هو في الأصل متغير، "عالم الأفكار" ؟

ومن هذا المنطلق يصح للباحث التساؤل الآتي: ما هو السّبيل الذي يقودنا إلى الانعتاق عن التّأريخ التّقليدي؛ وكيف يمكننا كتابة تاريخ جديد من معطيات سابقة؟ كيف يمكن للباحث أن يتوسع في تلك المعطيات إذا كانت تعتمد على جزئية التاريخ الاقتصادي والاجتماعي؟

[1] خالد الطاهري، "الجابري والحوليات اللقاء المنهجي الصّامت"،مجلة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، د.م،ص07.

1- مدرسة الحوليات.. تاريخ جديد:

بعد خروج العالم من الحرب العالمية الأولى تغيرت معالم الخريطة الفكرية، واتسع نطاق البحث العلمي ليطال الاقتصاد باعتباره القطب الأساسي في تحريك عجلة التطور والحضارة[1].

لقد انفجرت الأزمة المالية الكبرى في عام 1929، من بورصة وول ستريت في تشرين الأول/أكتوبر، وعمت أروبا وامريكا، وبدأت الاضطرابات الدّراميّة للاقتصاد الرّأسماليّ،مرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى،وسادت فكرة التقدم ثقافة القرن التاسع عشر ميلادي، وقد كشفت هذه الأزمة عن أهمية الأسئلة التي كانت بدأت تثورتدريجيا عن أسباب الجمود والانكماش والبطالة[2].

لقد أحدثت هذه الأزمة شروخا عميقة في الذهنيات حيث ضربت فرنسا في عمقها ولعلها كانت السبب الأول والأهم الذي أدّى بالمفكرين إلى الاهتمام أكثر بالمسائل الاقتصادية[3]، أمثال "فرانسوا سيميان"، و"أرنست لابروس" وغيرهم[4]تأتي مجلة الحوليات لتدشن عصرا جديدا من التدوين التاريخي[5].

---

[1]نصيرة مصابحية، "مدرسة الحوليات الفرنسيّة من تاريخية التّوجه إلى تاريخيّة التّمثل" مجلة أبوليس، م05، ع09، 2018، ص86.

[2]وجيه كوثراني، تاريخ التّأريخ اتّجاهات-مدارس-مناهج،ط2،المركز العربي للأبحاث ودراسة السّياسات، قطر، 2013، ص199.

3هذا التوجه بدأ منذ أوائل العشرينيات مع عالم الاجتماع والاقتصاد الألماني "ماكس فيبر(1864-1920)،صاحب نظرية النّمط المثاليّ التي طبقها على دراسته الأحداث التاريخية والظواهر المنفردة كأطر توجيهية لعمل المؤرخ .للتزيد

[3]أنظر:(فريد بن سليمان،مدخل إلى دراسة التاريخ،مركز النشاط الجامعي، تونس،2000،ص107.

[4]الهادي التيمومي،المدارس التاريخية الحديثة،ط1،دار التنوير للطباعة والنشر،لبنان،2013،ص179.

[5]يرى ألبان -ج-ويدجرى، أن التدوين التاريخي شيء والتأليف شيء آخر مختلف تماما ؛فالأول مجرد نقل الأحداث والأخبار من الذاكرة إلى صفحات مهما كان نوعها، وبالثاني سرد الأحداث وتبويبها وتفسير لطبيعتها وتسلسلاتها واسبابها، فالأول مادة التاريخ هو التاريخ والتأريخ .للتزيد أنظر :(آلبان،ج،ويدجرى، التاريخ وكيف يفسرونه من كونفوشيوس إلى توينبي، تر:عبد العزيز توفيق جاويد، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب،ج1،ص133.

حيث حطمت مفهوم الحتميات والنزعات العقلية التي رافقت التدوين[1].

وإنّ الدّارس المتخصص يعلم حتما من خلال قراءاته المتعددة عن مجلة الحوليات، أنها ظهرت كرد فعل عن المدرسة الوضعية [2]ونقائصها العديدة[3]، ولقد تم اختيار أحسن الأساتذة الفرنسيين للتدريس بجامعة "ستراسبورغ"، ثأرا من التبحر العلمي الألماني؛ أمثال "شارل بلوندال"، وعالم الجغرافيا "هنري بولنق"، وعالم الاجتماع "موريس هليواخ"، وعلماء التّاريخ "مارك بلوخ" و"لوسيان فيفر" و"جورج لوفافر"، وقد كانت تضم هذه الجامعة كلية للحقوق وكلية دينية،وهذا التعدد في الاختصاصات أتاح تلاحق الأفكار واخصابها[4].

لقد كانت البدايات الأولى لهذه المدرسة مع صدور العدد الأول من دورية "حوليات التاريخ الاقتصادي والاجتماعي" في 15 يناير من سنة الأزمة –1929–، والتي أصبحت منتدى للعديد من المؤرخين شديدي الارتباط بالعلوم الاجتماعية والإنسانية الأخرى، فقد أعيد إدراج الموضوعات الثقافية والسيكولوجية والاجتماعية والاقتصادية في كتابة التاريخ

---

[1]نصيرة، مصابحيّة، "مدرسة الحوليات الفرنسيّة من تاريخيّة التوجه إلى تاريخيّة التّمثل"،ص86.

[2]أعادت مدرسة الحوليات التي جعلت الحدث خصما لها، النظر في باقي مسلمات المدرسة الوضعانية من قبيل القول بحيادية المؤرخ،في وجه الأحداث وبإمكانية نقلها دون تدخل فيها،فالعالم المؤرخ مطالب بالتجرد الكامل أمام الأحداث،وهذا ما خالفه "مارك بلوك "و "لوسيان فيفر"..للتزيد أنظر :(خالد طحطح، عودة الحدث التاريخي،ط1،دار توبقال للنشر،2014،ص22).

–في هذا المنوال تجدر الإشارة إلى أن المفكرين الألمان وعلى رأسهم "ليوبلد فون رانكه" (1795–1886م)،قد آمنوا بالنقد الجديد،وجعلوا المانيا معلمة لأساتذة العالم بأسره في فن التاريخ الحديث.للتزيد أنظر: (أسد رستم، مصطلح التاريخ،ط1،المكتبة العصرية، بيروت، 2002،ص08).

–ولابد من أن نذكر أن ليوبلد فون رنكه قدم خدمة كبيرة للمنهج البحث التاريخي،وذلك بإصراره على أن المؤرخ لا ينبغي عليه أن يقف عند حد استخدام المصادر المعاصرة للفترة التي يبحثها بل عليه أن يجري دراسته لشخصية ونشاط وظروف صاحب هذا المصدر ومعنى هذا أنه يتعرف بقدر الإمكان على الجانب الشخصي عند سرده للأحداث . للتزيد أنظر: (هاري إلمر بارنز، تاريخ الكتابة التاريخية، تر:محمد عبد الرحمان برج،مراجعة:سعيد عبد الفتاح عشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1987،ج2،ص56).

[3]لقد عاب أنصار مدرسة الحوليات على المدرسة الوضعية، أهمالها للوثائق الغير مكتوبة، وخاصة الوثائق الأثرية واغفالها للقضايا الاقتصادية مقابل انصباب اهتمامها على الحدث السياسي والعسكري والدبلوماسي،إضافة إلى غياب التأويل والروح التأليفية في أعمالها وابحاثها .للتزيد أنظر: (فريد بن سليمان،مدخل إلى دراسة التاريخ،ص108–107).

[4]الهادي التيمومي، المدارس التاريخية الحديثة،ص180

الذي هيمنت عليه طويلا الدراسات الدبلوماسية والحربية[1]. وقد صدر العدد الأول عن دار نشر أرمان كولان وقد كان "لوسيان فافر (ت 1956م) وهو مؤرخ التاريخ الحديث أي الفترة مابين (1492-1789م) و"مارك بلوخ" (ت 1944م) وهو مؤرخ في التاريخ الوسيط الأوروبي، ومديرا المجلة آنذاك،وقد تدربا على صناعة التاريخ منذ القرن العشرين في المجلة التأليفية التاريخية[2]، التي أسسها "هنري بير" عام 1900م.

وقد غيرت المجلة اسمها في الكثير من المرات،"حوليات التاريخ الاجتماعي (1939-1941) ، ثم" أمزاج تاريخية" (1942-1944م)، ثم عادت إلى اسمها القديم عام 1945م، "حوليات التاريخ الاجتماعي" وفي عام 1946 تبنت اسم "الحوليات: اقتصاديات-مجتمعات-حضارات[3]، وقد تجاوزت الحوليات التاريخ التاريخاني والتاريخ البيوغرافي بتوجهها نحو دراسة البنى الاقتصادية والاجتماعية[4] هذه الرؤية الرّافضة للسياسة كممارسة أسهمت بشكل كبير في تجديد الرؤية التاريخية للمدرسة،فقد قامت برفض ما يطلق عليه الأصنام الثلاثة :الصنم السياسي وصنم الفردية -وهو التّقليد التّاريخيّ الذي سار عليه معظم المؤرخين، الذين ركزوا على الفرد[5] ، باعتباره صانعا

---

[1] خالد طحطح،عودة الحدث التاريخي،ص20.

لقد كانت هذه المجلة ملتقى لايمايل دوركايم ومحبيه من علماء الاجتماع وفيدال دي لابلاج واصدقائه الجغرافيين، وفرنسوا سيميان، واخرين من علماء الاقتصاد و "فالون" واخرون من علماء النفس،وقد اعترف "بروديل" بفضل "هنري بير" في إنشاء مدرسة الحوليات .للتزيد أنظر: (خالد طحطح، الكتابة التاريخية، ط1، دار توبقال، المغرب، 2012، ص85.)

تجدر الإشارة إلى أن هذه المجلة لملمت العديد من التخصصات تحت جناحها بغية تحطيم الحواجز بين علوم الإنسان للوصول إلى فهم أعمق وادق للواقع الاجتماعي . للتزيد أنظر : (محمد حبيدة، "بحر بروديل" ، محضارات الدكتور محمد حبيدة، من تجميع: الحرش رضوان،06-مارس -2011،ص 72.).[2]

[3] الهادي التيمومي، المدارس التاريخية الحديثة،ص180.

[4] خالد طحطح،عودة الحدث التاريخي،ص 23.

[5] "فمن المؤرخين من ركز اهتمامه على الحوادث والأخبار ومنهم من قال ان التّاريخ ليس فقط أخبارا ترتبط بالكاهن أوالملك وانما هو ثبت لأعمال الناس،الشّعب الذي يملأ المدينة ويعمر الرّيف ماذا كان يعمل ؟وكيف كان يفكر ؟فذلك هو المؤرخ الاجتماعي،ومنهم من زعم أن الشعب بلا اقتصاد عبث باطل ومن ثم ركز اهتمامه على النّاحية الاقتصاديّة." للتزيد أنظر: (آلبان -ج- ويدجرى،التاريخ وكيف يفسرونه من كونفونشيوس إلى توينبي،ص13.)

للحدث-إضافة إلى رفض صنم الحدث[1] ،وبالتالي قد طالبت ببعث تاريخ جديد يولي أهمية خاصة للبنى المستترة، ويقلص من السياسي تاريخ الكر والفر، ومن التاريخ الحدثي بصفة عامة ويعنى بالناس العاديين والمهمشين والمغيبين[2] ومنه فإن المجلة عمدت على توطيد دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، وتاريخ الحياة اليومية والتصورات مما جعل فضول المؤرخ يتناول بنيات بطيئة التحول[3] سنأتي بشرحها لاحقا.

ومنه يتم إخراج التاريخ من بؤرة العادات القديمة، وخاصة تحريره من انغلاقه على ذاته وذلك بإسقاط الجدران العازلة التي تجاوز بها الزمن،وقد كان الهدف من التوجه صوب الاتجاه الاقتصادي[4] هو دفع البحث في مجال يكاد يكون مغيبا تماما وهو نفسه الهدف بالنسبة للجانب الاجتماعي الذي أغرى بلوخ وفافر بطابعه الفضفاض الذي يسمح بالحديث في كل شيء[5] لابد وان يستشعر القارئ عند التّحدث عن الاقتصاد أو المسائل الاقتصادية أو الاقتصادانية ضرورة حضور المدرسة الماركسية، كيف لا ؟، وقد أبدت مدرسة الحوليات اهتماما ملحوظا وتأثرا كبيرا بهذه النظرية، ولهذا الاهتمام طبعا ما يبرره في إطار إعادة بناء ما خربته الحرب العالمية الثانية من مصانع وطرقات وجسور وموانئ ...إلخ وكذا قد ظهرت في المجلة دراسات عن النشاطات الاقتصادية والهياكل العائلية، وظهر في صلبها شغف بالتاريخ الجداولي[6]. يجدر على الباحث أن يفيد القارئ فيما

---

[1]عادل الطاهري،"الجالري والحوليات :اللقاء المنهجي الصامت"،ص 4-5.

[2]الهادي التيمومي، المدارس التاريخية الحديثة،ص 181.

[3]عبد الأحد السبتي، تقديمه لكتاب:التاريخ واللسانيات، النص ومستويات التآويل، أعمال المائدة المستديرة،مراكش أيام 25-26-ماي-1990، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1992،ص08.

[4]لا ينبغي للمؤرخ العربي أن يتناسى أو يهمل أو يغفل الدّور الكبير الذي قدمه العلامة "ابن خلدون "تفي تفسير التاريخ تفسيرا اقتصاديا، فهو الذي اعتبر الاقتصاد أهم عامل يحرك التاريخ؛ ولهذا السبب هنالك من اعتبره مبشرا بالفلسفة المادية التاريخية،فهومن خصص فصولا لدراسة المعاش على سبيل المثال .للتزيد أنظر : (زينب الحضيري،فلسفة التاريخ عند ابن خلدون،دار الثقافة،القاهرة،1989،ص141.)

[5]جاك لوغوف، التاريخ الجديد، تر: محمد الطاهر المنصوري،ط1،المنظمة العربية للترجمة،بيروت،2007،ص 84-85-886.

[6]الهادي التيمومي، المدارس التّاريخيّة الحديثة،ص 184.

يخص التيار الماركسي، هذا التيار الذي أسال أحبار العديد من المؤرخين ؛ إنّ هذا التيار يجري في مجرى معين واضح المعالم فهو يعبر عن فلسفة شاملة في تعليل الكون والإنسان والتاريخ، والمادة هي أصل الكون والإنسان وقد نشأ منها بالتطور والارتقاء[1]، وقد صرح الباحث "مالك بن نبي" الجزائري –رحمه الله– أن النّظرية الماركسيّة صادقة في الحدود التي يمكن أن تفسر فيها الظاهرة الاجتماعية تفسيرا اقتصاديا.[2] وقد حاول الفكر الماركسي تبيان ضروب جديدة لم تشقها الحداثة الغربية، وذلك من خلال الكشف عن الشيء الذي جعلها تتناسى بأن الواقع الاجتماعي (الاقتصاد والمجتمع والسياسة) يعمل بشكل أو بآخر في بناء التاريخ وتحديد مساره، وتتوافق فلسفة "ماركس" مع فلسفة "هيجل" في كون العالم يتطور طبقا لصيغة جدلية، بيد أنها تختلف بصدد القوة المحركة لهذا التّطور فعند ماركس المادة لا الروح –العقل المطلق – هي القوة المحركة بينما عند هيجل الروح أولا، وبالحديث عن المادة هنا فالمقصود علاقة الإنسان بها بالإضافة إلى مختلف المجالات الحياتية، فهو يرى –"ماركس"– أنه لا أهمية للملكات والقدرات الذاتيّة ما لم يحركها نوع من النزوع الاجتماعي، وبالتالي الواقع الاجتماعي والنفسي والتاريخي هو الذي يصنع الإنسان[3].

ولعل أن النّزعات التي تؤثر في الفكر الماركسي ثلاثة نذكرها على النحو الآتي[4]:

–النزعة الإقطاعية المتمثلة في صاحب الأرض.

–النّزعة الرّأسماليّة المتمثلة في صاحب العمل .

–النزعة الاشتراكيّة المتمثلة في الأجير .

---

[1] قسطنطين زريق،نحن والتاريخ مطالب وتساؤلات في صناعة التأريخ وصنع التاريخ،،ص39.

[2] مالك بن نبي،مشكلات الحضارة، المسلم في عالم الاقتصاد،ط3 ،دار الفكر،دمشق،2000 ، ص 15.

[3] أحمد حسن، كارل ماركس والتفسير المادي للتاريخ، ضمن الكتاب الجماعي :فلسفة التاريخ جدل البداية والنهاية، تحت إشراف: علي عبود المحمداوي، ط1، ابن النديم للنشر، وهران، دار الروافد الثقافية، بيروت، 2012، ص189–190–191.

[4] أحمد حسن، كارل ماركس والتفسير المادي للتاريخ،ص191

ومنه فالتاريخ عنده هو تاريخ قائم على مبدأ الصراع الاجتماعي والمادي.

من المعلوم أن "فرناند بروديل" أعطى دفعا قويا لمدرسة الحوليات[1]، وقد شكل فكره في مجال البحث التاريخي حلقة أساسية بل ومركزية ضمن النسق الأستوغرافي في فرنسا،تحت راية مدرسة الحوليات،حيث خلق مجموعة من العناصر الجديدة والحاسمة في دراسة وكتابة التاريخ وذلك بـ[2]:

-توسيع حقل لمعرفة التاريخية بالانفتاح على مختلف العلوم الاجتماعية والاحتكاك المتواصل بها.

-الاهتمام بقضايا أساسية وجديدة تمس التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والديموغرافي والذهني.

- إفراز أسلوب جديد في طرح الإشكاليات التاريخية وتقديم تصور جديد لزمن التاريخ.

وتجدر الإشارة إلى أن برنامج المدرسة أضحى أكثر وضوحا على يد "بروديل"، تلميذ ومساعد "لوسيان فافر"[3]، والذي تولى رئاسة المجلة عام 1969م[4]، وقد دعا إلى ضرورة إلغاء المسافات الفاصلة بين العلوم، خاصة الاجتماعية منها، وتحطيم حواجز التباعد بينها، وذلك من أجل التّمكن من تشييد صرح تاريخ شمولي[5].

مع بداية الستينات برزت بوضوح هيمنة الأنثروبولوجيا البنيوية بفعل تأثير عالم الأنثربولوجيا الفرنسي "كلود ليفي ستراوس"، وظهر ما يسمى عام 1978م بـ: "التاريخ

---

[1]الهادي التيمومي، المدارس التّاريخية الحديثة،ص 183./خالد طحطح، الكتابة التاريخية،ص 97. /نصيرة مصابحية، المرجع السّابق،ص90./ محمد حبية، بحر بروديل،ص 72.

[2]محمد حبيدة، "مدرسة الحوليات مفاهيم التّحليل البروديلي"،مجلة أمل،م1،ع2020،3،ص77.

[3]عبد الله العروي، مفهوم التاريخ،1،ط4، منشورات المكز الثقافي العربي،المغرب،لبنان،2005،ص188.

[4]الهادي التيمومي، المدارس التّاريخيّة الحديثة،ص183.

[5]خالد بلعربي، "مسار التجديد في الكتابة التاريخية عند القادري بوتشيش قراءة في كتاب المضمون في تاريخ الغرب الإسلامي إشكاليات نظرية وتطبيقية في التاريخ المنظور إليه من الأسفل"، مجلة أسطور،ع10،2019، ص172-173.

الجديد" وبرز فيه أسماء عديدة مثل: "لوغوف"، إيمانويل لوروا لادوري، مارك فار، جورج دوبي...إلخ، وقد رفع بعضهم شعارا جديدا للحوليات قائلا: "لا للمسيح، لا لماوتسي تونغ، لا لتوينبي، قليلا من ماركس واكثر ما يمكن من العلم "؛ واصبحت الموضة هنا هي دراسة البنى الفوقية وتاريخ الذهنيات، لا البنى التّحتيّة وبذلك صعدت الحوليات من الدّهليز إلى بيت المتروكات العلوي، ووقع التّركيز على المخيال الذي يعتبر ميدان تلاقح بين الماركسيين والفرويديين وظهرت دراسات عديدة حول الموت، العلاقات الجنسية،أنماط الحياة اليوميّة، الطقوس الدّينيّة، الحب، الخوف...إلخ[1]، وقد اهتمت الماركسية بالسطح وبالجماعة أكثر من اهتمامها بالفرد، وبالتالي ليس من الغريب أن نلاحظ تأثير الماركسية في التاريخ الجديد حتى أن أحدهم صرح بأن الكثيرون يستعملونها سواء بدراية أم لا[2]. كما وقد قدمت أطروحة "بروديل" حول "البحر الأبيض المتوسط في عهد فيليب الثاني "–والتي بدأ في إنجازها في العشرينيات ثم قام بتحريرها بعد الحرب العالمية الثانية، ونوقشت عام 1947– طرحا جديدا يقوم على أساس تعدد الازمنة[3] وتجدر الإشارة إلى أنه قد استعار الفكرة الماركسية التي تمييز ثلاثة مستويات في كل كيان اجتماعي،وقال بأن البنية التحتية –البيئة– دراستها من اختصاص الجغرافيين والاقتصاديين، بينما البنية الفوقية –أي كل ما يتعلق بالروحيات والذهنيات والنّفسيات– من اختصاص علوم المنطق واللغة والعقل والنفس، أما البنية التي تعني التنظيم القانوني والترتيب السياسي والسلوك، فهي من اختصاص المؤرخين التّقليديين وكذلك الفقهاء الاجتماعيين والأنثروبولوجيين[4]. وهو ما يمكن التعبير عنه بصورة أوضح وطريقة أيسر، من خالتا توضيح الأزمنة السابقة الذكر بمصطلحات أكثر تبسيطا:

الهادي التيمومي، المدارس التاريخية الحديثة، ص184

[2]غي بوا، الماركسية والتاريخ الجديد، ضمن الكتاب الجماعي :التاريخ الجديد،ص413.

[3]خالد طحطح،الكتابة التاريخية،ص97.

[4]عبد الله العروي، مفهوم التاريخ1،ص186.

-الزمن الجغرافي أو الزمن الجغرافي- التاريخي أو الزمن طويل الأمد: وهو زمن بطيء ويهتم بعلاقة الإنسان بمحيطه الجغرافي.

-الزمن الاقتصادي والاجتماعي أوالزمن الظرفي والدوري: وهو زمن أمده متوسط والتغيير فيه بطيء ويهم المجموعات البشرية والاقتصادية والدول.[1]

-الزمن القصير: وهو زمن الأحداث المرتبطة بالتاريخ التقليدي السردي ذو البعد الفردي، اعتبره "بروديل" تاريخا خطيا، ودعا إلى ضرورة تجاوزه لأنه بمثابة الزّبد الذي يطفو فوق موجات بحر التّاريخ، سريع متقلب، غالبا ما ينتهي إلى النسيان[2].

إن مدرسة الحوليات،مدرسة شامخة في عطائها العلمي، إذ أن الاندثار لم يدق بابها -ولوان في عالم الفكر، لا فكرة تقبل الزوال ن كل فكرة هي قابلة للتجدد- وهذا حتما يرجع لقدرتها على التّأقلم والتكييف مع الأوضاع والمستجدات الحاصلة في العالم، وهذا ما يعكسه تماما تغير عنوان مجلتها الناطقة باسمها في الكثير من الأحيان.

ولقد تقاطعت مع المعطى الماركسي في مشربها، إذ أنه يقوم في الأساس على التاريخ الاجتماعي مستصحبا التفسير المادي للتاريخ القائم على منطق الصراع الطبقي.

ولعل أن قدرتها هاته على التأقلم هي التي جعلتها لا تنحصر في فرنسا فقط وهذا ما قاله بالفعل الدكتور "عبد الله العروي": "أطلنا الكلام على مدرسة الآنال لأن سمعتها تجاوزت حدود فرنسا، نجد ممثلين عنها في كل أنحاء المعمورة، من الهند إلى البرازيل، ومن السينغال إلى تركيا، مرورا باليونان وتونس"[3].

---

[1] الهادي التيمومي، المدارس التّاريخيّة الحديثة،ص186.

[2] خالد طحطح، الكتابة التّاريخيّة، ص98.

[3] عبد الله العروي، مفهوم التّاريخ 1،ص189.

2- التّاريخ الاقتصادي والاجتماعي:

توطئة:

في إطار عرف بالتراكميّة العلميّة، التي هي أساس كل ما هو جديد ومبتكر كونها حصيلة تجمع بين الكثير من المظاهر العلمية، من أجل تخريج كتابة علمية وفق شروط علموية واعية، وقد رأينا سابقا كيف تعانق الفكر بين مدرسة الأنال والمدرسة الماركسيّة لتلاقيهما في نقاط بحث مشتركة –ميدان التاريخ الاجتماعيّ الاقتصاديّ–.

ومن المعلوم ان العلم لا تحده حدود جغرافية، وانتقال المعارف وعبورها للحدود،أمر سارت عليه الطبيعة البشرية .

بلاد المغرب العربيّ هي الوجه المطل على أروبا، وأن تنتقل إليها المعارف الأوروبية، فهذا أمر طبيعي جدا، خاصة وقد لعبت الحركة الاستعمارية دورا كفيلا في هذا الانتقال وتبادل المعطيات .

من هذا المنطلق نطرح التساؤل الآتي : كيف كان تجاوب النخبة العالمة من المغرب العربي مع المعطيات الغربية القادمة من أروبا؟ وهل استفادت من تغيير مجالات البحث التاريخي (التاريخ الاقتصاديّ والاجتماعيّ). في التأريخ لتاريخ الغرب الإسلامي؟

أ- محمود إسماعيل.. مواضيع جديدة مضبوطة وأكيدة:

لا ينفك الباحث الفذ "محمود إسماعيل" عن تقديم إغراءات علميّة حول مواضيعه ودراساته التي ينشرها،حتى باتت سمة التجديد لصيقة به ؛ وهذا واضح من خلال العديد من كتبه التي تتبعناها، ففي مؤلفه أو بالأحرى رسالته للماجيستير " الأغالبة (184-296هـ) سياستهم الخارجية" يؤكد على أنه بالرغم من أهمية دور الأغالبة في تاريخ العلاقات الدولية، "فإنّ أحدا من المؤرخين – فيما نعلم – لم يول هذا الموضوع ما يستحق

من عناية ودراسة"[1] وقد وافقه الرأي تماما الدكتور حسن أحمد محمود، إذ أكد على جديّة الموضوع بقوله: "يسعدني أن أقدم للمهتمين بتاريخ الإسلام في المغرب هذا الموضوع الجديد بحق عن "سياسة الأغالبة الخارجية"[2].

وقد صرح في كتابه المعنون بـ: "الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، الذي هوفي الأصل رسالة دكتوراه "... وعلى الرغم من ذلك نفتقر إلى دراسة متكاملة عن الخوارج في المغرب وأثرهم في تطوره السياسيّ ودورهم في تاريخه من بدء الثورة إلى تحقيق الاستقلال، ثم العودة إلى الثّورة مرة أخرى"[3].

وانتهج نفس النهج في مؤلفه عن الأدارسة حيث قال: "كما أن الكتابات الحديثة العربية والاستشراقيّة لم تؤرخ قط لدولة الأدارسة في مؤلفات مستقلة بذاتها..."[4].

إلا أن هذه المطارحات التي تولى فيها الباحث الدفاع عن جدية بحوثه بدعوى السّبق، ليست مرتبطة به فقط أو خاصية تخصه فقط، فكل باحث صغير كان أوكبير، يسير في مضمار التّجديد، سينتهج أسلوب المطارحة وتبيان أن دراسته بكر؛ غير أن الأكيد في هذا أن دراسات "محمود إسماعيل" هي في الأصل دراسات مؤسسة ذلك أنها مبنية ومؤسسة على منهج ورؤية متينة سنأتي في توضيحها لاحقا.

قد يتساءل القارىء عن سبب اختيارنا "لمحمود إسماعيل " وهو مصري الأصل، لكن كما وضحنا سابقا فإن المعرفة الإنسانية لا تحدها حدود ح فهذا الباحث تواجد في المغرب الأقصى لمدة ليست بالهينة لقد قضى عشرة أعوام في المغرب، إبّان هذه الفترة

---

[1] محمود إسماعيل، الأغالبة (184-296هـ) سياستهم الخارجيّة، ط3، عين الدّراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 2000، ص 08.

[2] حسن أحمد محمود، تقديم كتاب : الأغالبة (184-296هـ) سياستهم الخارجية، ص03.

[3] محمود إسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري،ط2، دار الثقافة، المغرب، 1985،ص05.

[4] محمود إسماعيل، الأدارسة في المغرب الأقصى (172-375هـ)حقائق جديدة، ط1، مكتبة الفلاح، الكويت، 1989، ص09.

حاول تأسيس وتأصيل مدرسة مغربية لدراسة التاريخ الإسلامي[1]. حتى بات يفكر في أن مستقبل الفكر العربي يصنع آنيا في المغرب، فمصير النخبة في المشرق بالنسبة له آل إلى طور الشيخوخة،بينما النخبة في المغرب راحوا يعاركون "مرحلة المراهقة"، فإن كانت الشيخوخة تؤدي إلى الموت، فإن المراهقة توصل إلى الرجولة [2].

ويعتبر من الجيل الثاني من المؤرخين المصريين الذين اهتموا بتاريخ المغرب والأندلس، بعد الرّعيل الأول أمثال : "حسن أحمد محمود" الذي أرخ لدولة بنوزيري في رسالة الماجستير، ولدولة المرابطين في الدّكتوراه، و"محمد عبد الهادي شعيرة " والدكتور "حسين مؤنس" و"أحمد مختار العبادي"...إلخ[3].

في السّبعينات من القرن الماضي، ذاع صيت الخطاب الماركسيّ في السّاحة العربيّة فكان أحد الخطابات التّعبويّة النّشطة آنذاك، والتي كانت –الخطابات الماركسيّة– تحاول إضفاء العلميّة على تخريجاتها، رغم شحنتها النضاليّة، وفي هذه الأثناء اشتهر المفكر "محمود إسماعيل"[4]. وفعلا فمن يقرأ لمحمود إسماعيل سيلاحظ حتما أن كتاباته تتضمن هاجسا نضاليا مصرحا به إلى جانب ارتفاع منسوب الايديولوجية لدرجة المصادرة على الجانب الابستمولوجي[5]. وكما يقال بالمثال يتضح المقال، ففي كتابه الموسوم ب:"المهمشون في التّاريخ الأوروبي"، يوضح للقارئ أنه يرغب في إنعاش ذاكرة

---

[1]محمود إسماعيل، تقديم كتاب : إبراهيم القادري بوتشيش، بين أخلاقيات العرب وذهنيات الغرب دراسات في الأنثربولوجيا الاجتماعية والثّقافية، ط1، دار رؤيا، مصر،2005،ص10.

[2]محمود إسماعيل،فكرة التاريخ بين الإسلام والماركسية،ط1،مكتبة مدبولي،القاهرة، 82،1988.

[3]عبد الرحيم بنحادة، "حوار مع محمود إسماعيل " ، مجلة أسطور، ع6،2016، ص296.

لخضر بولطيف، من المدرسة المادية إلى المدرسة القيمية ...مدرسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي استعاب وتحاوز وبشارة،ص10.[4]

[5]تجدر الاشارة إلى أن هذه الملاحظة كنا قد تناولناها في إحدى محاضرات المؤرخ :"لخضر بولطيف " في مقياس "حلقات بحث" والتي كان عنوانها :"العلائق والصلات والتباينات بين مدرسة الحوليات والمدرسة القيمية ".وذلك يوم 18-12-2019، وهي مدونة ومسجلة .

الشعوب بتقديم" تأريخ بانورامي[1]" للفكر الاشتراكيّ وتطبيقاته وتجاربه . والأهم تبيان تفسير نجاح تلك التّجارب وكذا الوقوف على علل أسباب إخفاق البعض الآخر، بهدف استشراف مستقبل الاشتراكيّة في ظل الصّراع الرّاهن، متسلحين بما انطوت علية الاشتراكيّة العلميّة من جدلية تعطيها القدرة على التّكييف والاتّساق، مع معطيات الظروف الأخرى في الزّمان والمكان وهذا كان هدفه "المعرفي" ، أما هدفه النّضالي، فيكمن في تبصير المهمشين والمستضعفين في الأرض بإمكانية الكفاح،رغم ضرورة الخصوم وتعقيد الظروف التاريخية آنيا، وذلك بتقديم نماذج دالة عن هبات وانتفاضات وثورات اجتماعية في التاريخ الأوربي[2].

وفي كتاب آخر له يصرح "لقد استهدفت بإصدار الكتاب آنئذ غايتين أساسيتين، الأولى نضاليّة عن طريق العودة إلى التّراث الثّوري الإسلاميّ ورصد نماذج ما فوق المعارضة في الإسلام، بتبيان الظروف الصّعبة التي عاركتها على الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وحتى الفكرية"[3].

كما أنه لا ينفك عن التّنويه إلى أهمية العطاء الماركسي، ذلك لأنه عطاء إنساني، لا يمكن التّشكيك فيه، مصرحا بأن النّظريات والمناهج البديلة والمستحدثة لا يمكن لها أن تنافس المادية التاريخية، على صعيد دراسة العلوم الاجتماعية والإنسانيات، إنه" عاجزة[4].

غير أن هذا الحضور الماركسي في الجامعة المغربية، لم يكن مرتبطا أساسا باللحظة المحمودية، فقط كانت الجامعة المغربية على موعد معه بصدور المجموعة الرّباعية للكتابة الماركسية التي نشرها " c e r m" الفرنسي سنة 1970م وقد كان

---

[1]لقد خصص للرؤية البانورامّية مقالا في كتابه الموسوم ب :المهمشون في التّاريخ الإسلاميّ، ط1،دار رؤيّة، مصر، 2004، ص12-29.

[2]محمود إسماعيل، المهمشون في التّاريخ الأوروبي، ط1،دار رؤيا، القاهرة، 2009،ص08.

[3]محمود إسماعيل، الحركات السرية في الإسلام، ط 5، دار سينا للنشر، مصر، 1994،ص07.

[4] محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي،طور الازدهار (1) ، الخلفية السوسيوتاريخية،ط3، دار سينا للنشر، مصر، 2000،ص07.

"جرمان عياش" أحد الباحثين المغاربة المتبنين لمبادىء أسس النّظريّة الماركسيّة ومفاهيمها الماديّة التاريخيّة، في دراسة المغرب، غير أن الفرق بينه وبين "محمود إسماعيل " في كونه أي محمود إسماعيل مشرقي وافد وينشئ باللغة العربيّة، ذو ملمح عربيّ مشترك، ومحسوب على التّاريخ الوسيط، في حين أن "جرمان" مغربي محلي، محسوب على التّاريخ المعاصر، ينشىء باللغة الفرنسيّة وانشغالاته لا تنفصل عن خصوصية مغربيّة محلية[1].

يدعو الباحث المفكر "محمود إسماعيل" إلى ضرورة التّوجه السّليم في اختيار موضوعات البحث وذلك عن طريق اطراح الجوانب السياسية والعسكرية، في التاريخ الإسلاميّ جانبا، وذلك راجع إلى أنها قتلت بحثا ودعا إلى مراجعة حقائقها في ضوء الماديّة التّاريخيّة، وتوجيه الاهتمام، نحو التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي[2]. فالماديّة التّاريخية في نظره أداة بحث يمكن الاسترشاد بقوانينها العامة في قراءة الواقع الاجتماعي التاريخي[3].

ولقد استفاد من مدرسة الأنال الفرنسية، وذلك باهتمامه بمفردات التاريخ الاقتصاديّ كشرط أساسي للوقوف على أنماط الإنتاج وعلاقتها في بحثه حول "الأدارسة" مثلا [4].

ويبدو أنه مقتنع تماما بأن العامل الاقتصادي هو العامل الفاعل في تخليق البنى الاجتماعية وبالتالي في توجية الضّرورة التّاريخية [5].

وكي نفهم أكثر ما يود الوصول إليه وضخ لنا فكرته بالتحدث عن القبيلة، فبروزها" كمظهر عام صبغ قيام وسقوط الدّولة المغربيّة والأندلسيّة سابقا كان تعبيرا عن الجانب

---

[1] لخضر بولطيف، "من المدرسة المادية إلى المدرسة المادية" ...، ص11.

[2] محمود إسماعيل، دراسات في الفكر والتاريخ الإسلامي، ط1، دار سينا للنشر، مصر،1994،ص06.

[3] عمر بنحادة،"حوار مع محمود إسماعيل عبد الرزاق "، ص297.

[4] محمود إسماعيل، الأدارسة في المغرب الأقصى(172-375هـ)،ص17.

[5] محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، طور الانهيار (1) الخلفية السوسيوتاريخية، ط1،دار سينا للنشر، مصر،2000،ص165-166.

الماديّ الذي يشكل الحافز الأول على الصّراع. فقيام دول الطوائف في الأندلس كان تعبيرا عن الحافز المادي المصطبغ بالاقليميّة والعصبيية ..."[1]

إنّ القارئ لكتابات المحمود إسماعيل سيلاحظ تركيزه على استخدام مصطلحات تدل على عدم الثبات في المجتمع الإسلامي بصفة عامةّ وهذه المصطلحات هي وليدة البيئة الأوروبية، كالصراع الاجتماعي[2]، والطبقة [3] والإقطاع[4].

وقد جسد هذه المصطلحات في عناوين رسائل واطروحات تلامذته كما يوضح في الجدول[5] أدناه.

اسم الطالب	عنوان الرسالة الجامعية في إطار دبلوم الدراسات العليا دكتوراه السلك الثالث[76]
عبد الكريم بيضاعين	الصراع الأموي الفاطمي على بلاد المغرب.
إبراهيم القادري بوتشيش	أثر الإقطاع في تاريخ الأندلس السّياسي من منتصف القرن الثالث الهجري حتى ظهور الخلافة
أحمد الطّاهري	عامة قرطبة في عصر الخلافة
محمد تضغوت	العراق في عصر تسلط الأتراك

[1] محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي طور الانهيار (1) ،ص167.

[2] محمود إسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري،ط2، دار الثّقافة، المغرب، 1985، ص305.

[3] محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي محاولة للتنظير،ط1،دار المحروسة،القاهرة،2005،ص50.

[4] محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي طور الازدهار (1) ، ط3، دار سينا للنشر،القاهرة، 2000.(ينظر على سبيل التوضيح إلى الفهرس).

اسم الطالب	عنوان أطروحة دكتوراه الدّولة	السنة الدراسيّة
إبراهيم القادري بوتشيش	الحياة الاجتماعية بالمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين	1991م
مولاي هاشم العلوي	مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن الرابع الهجري	1994م
أحمد الطاهري	عامة أشبيلية في عصر الطوائف	1995م
محمد تضغوت	الحياة الاقتصاديّة في العراق واثرها الاجتماعي والسياسي والثّقافي في العصر البويهي	1998م
عبد الإله بنمليح	الرق في بلاد المغرب والأندلس	2000م
أحمد المحمودي	عامة قرطبة خلال عصر الموحدين	2000م

تجدر الإشارة إلى أن الباحث "محمد ياسر الهلالي" أشار إلى مسألة استخدام المصطلحات، فمرادفات اللغة العربية كثيرا ما تكون متموجة الماول ومتحولة المعنى، فالمعاني المستفادة منها قد تختلف من زمان إلى زمان ومن مكان إلى آخر، وحتى أنها تختلف من مؤلف إلى آخر، وقد تتحول على قلم الواحد منهم من موضع إلى آخر حسب

سياق الكلام ؛ كما أنه نوّه على ضرورة التزام الباحث بمصطلحات عصره ما أمكن ويستعملها بوعي وتبصر ويسمي الأشياء بمسمياتها حتى لا يسقط في لا تاريخية بحثه[1].

ب- مواضيع بوتشيش امتدادات فكرية أم محطات فكرية استثنائية

توطئة:

عادة ما ينقاد المريد في اتّجاه شيخه، فيتبعه في طريقة معالجته للموضوعات البحثية، لأن الشيخ يكون قد دربه على ذلك مسبقا، -فحاله يشبه ذلك الفلاح المزارع الذي يحرص على العناية بنباتاته عن طريق الإحسان إليها بالسّقاية الجيدة، وكلما كان المنبت جيدا كلما نضجت الثّمرة جيدا- وقد غرس فيه ما يحب أن يراه فيه بل وفي جيل كامل، كيف لا ؟ وإذا كان الهدف هو انشاء مدرسة قائمة بحد ذاتها.

إنني هنا أتحدث عن الباحث "محمود إسماعيل" لا يفوت أي فرصة في الكلام عن تلامذته وفخره بإنجازاتهم تحت "محموديته" وخلف خطاه "ومن جانبنا نشيد بظهور مدرسة من المؤرخين الشباب... ويشرفنا أن نذكر من أسماء هؤلاء: إبراهيم القادري بوتشيش، هاشم العلوي، أحمد الطاهري، محمد تصغوت، أحمد المحمودي، عبد الإله بنمليح، بوبا مجاني، الذين أبلوا بلاء حسنا وشكلوا ريادة في مجال التأريخ الاقتصادي والاجتماعي"[2].

وقع اختيارنا في هذا المطلب على تلميذ الدكتور "محمود إسماعيل"، "إبراهيم القادري بوتشيش"، نظرا لغزارة إنتاجه، وسنرى هل سار القادري حقا على خطى شيخه أم أنه غير الاتّجاه؟.

---

[1] محمد ياسر الهلاليّ،"المصطلحات التّاريخية ومفاهيمها :حصيلة تجربة،مجلة مقاربات،م8،مؤسسة مقاربات للنشر والصناعات الثقافية واستراتيجيات التواصل،2011،ص08-09. / للتوسع أكثر في مجال استخدام المصطلحات، ينصح بالرّجوع إلى دراسة : محمد عمارة، قاموس المصطلحات الاقتصاديّة في الحضارة الإسلاميّة، ط1، دار الشّروق، بيروت، القاهرة، 1993.

[2] محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي محاولة للتنظير، ط1، دار مصر المحروسة، القاهرة، م10، 2005، ص26 /عمر بنحادة "حوار مع محمود إسماعيل عبد الرزاق" ص297.

إبراهيم القادري بوتشيش، أكاديمي ومؤرخ مغربي من مواليد 1955م[1]، ولد في بيت شريف النسب، ووسط علمي ديني، أشتهر بالطريقة البودشيشيّة، احتل المراتب العل، نال الإجازة في تخصص التاريخ سنة 1977، فراح يواصل دراسته العليا، متخصص في التاريخ الإسلامي الوسيط[2].

وكما ذكرنا سابقا فهو واحد من تلامذة الدكتور "محمود إسماعيل" الذي عودنا على مدحه في الكثير من الكتب التي مرت على أعيننا "يعتبر القادري بوتشيش" من أنبه تلامذتي واكثرهم حماسا وشغفا وجهدا ومثابرة ...[3]؛ ومن أهم أعلام تلك المدرسة "المدرسة المغربية المحمودية . تلميذي النّابه "القادري بوتشيش"... ولا غرو، فهو بمثابة الإبن الأكبر"[4].

وبدوره الطالب الوفي "إبراهيم القادري بوتشيش" لا ينكر فضل شيخه عليه، إد أنه اعتزازه الدائم بانتسابه لمدرسته[5].

ولربما أن هذا الاحترام المتبادل من الشيخ ومريده والمريد وشيخه ناجم بداية عن وعي المشرف بالآداب اللأزمة التي تبنى عليها العلاقة العلمية بين الأستاذ والتلميذ، وذلك بالرجوع طبعا إلى مصادر العصر الوسيط التي تعد ميراثا في التربية والتعليم[1].

---

[1]نفيسة خضراي، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي عند إبراهيم القادري بوتشيش من خلال ثلاثية الإستعارة والتأصيل والتفسير، مذكرة ماستر، تحت إشراف : الطاهر بونابي، قسم التّاريخ، جامعة المسيلة، 2018-2019، ص07.

[2]التاريخ الاقتصادي والاجتماعي وتاريخ الذهنيات بالمغرب والأندلس قضايا واشكاليات، ج1 ، قضايا في التاريخ الاقتصادي، أوراق الندوة الدولية التكريمية المهداة للأستاذ المؤرخ القادري بوتشيش، تقديم وتنسيق محمد الشريف، الجمعية المغربية للدراسات الأكاديمية، ص15.

[3]محمود إسماعيل، تقديمية كتاب "القادري بوتشيش"، أثر الإقطاع في تاريخ الأندلس السياسي من منتصف القرن الثالث هجري حتى ظهور الخلافة (250هـ . 316هـ) ،(د.ط) ، مطابع منشورات عكاظ، الرباط، (د. ت)، ص10.

[4]محمود إسماعيل، تقديم لكتاب " إبراهيم القادري، بوتشيش بين أخلاقيات العرب وذهنيات الغرب دراسات في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية،ص11.

[5]القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، ط 1، دار الطليعة، بيروت، ص06 / الإهداء في كتابة المعنون بالإسلام السري في المغرب العربي، ط1، دار سينا لنشر /كتاب بين أخلاقيات العرب وذهنيات العرب، ص17.

ولعل أن هذه العلاقة الوطيدة هي التي حركت أقلام العديد من الباحثين بغية الوصول إلى الاتجاه الذي سار نحوه التلميذ، ومن بين أراء هؤلاء الباحثين نذكر رأي الباحث "لخضر بولطيف" ورأي الباحث "خالد بلعربي" لما لاحظناه من تباين في الآراء بينهما، في حين يصرح الأول بأن العمل الأول للقادري بوتشيش هو فقط الذي يحيل بصمة أستاذه الفكرية[2] بقوله "فأعماله الغزيرة تجعلنا نتردد كثيرا في الزج بها تحت نطاق المدرسة المادية"[3]، فإن الثاني يعتبره "تلميذا وافيا لأستاذه، إذ اتبع رؤيته ومنهجيته في دراسة التاريخ الإسلامي"[4].

وكما هو معلوم ومتعارف عليه في وسط المتخصصين في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، فإن المؤرخ القدير "بوتشيش" ذو انتاج علمي وفير، وإنتاجه هذا نظرا لأهميته وقيمتها العلمية، جعله يحظى بالعديد من الندوات التكريمية[5].كما يجب التنويه في هذا المقام أن العديد من المؤرخين لأهمية ما كتبه الباحث الفذ قاموا بتقديم قراءات في كتبه، كالباحث "محمد تضغوت" الذي تناول كتاب "مباحث التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين" وقد عن شرفه بقراءة هذا العمل الذي يدور في حقل

---

1 نذكر على سبيل المثال: آداب المتعلمين لسحنون، الرسالة القابسي....إلخهذه المعلوماتتم الاستفادة منها من خلال محاضرة الدكتور "الطاهر بونابي" المعنونة بـ:"المشرف والطالب" ، وهي محاضرة مسجلة ومكتوبة بتاريخ :09-01-2020م

[2] إبراهيم القادري بوتشيش، أثر الإقطاع في تاريخ الأندلس السيسي من منتصف القرن الثالث الهجري حتى ظهور الخلافة .

[3] لخضر بولطيف، من المدرسة المادية إلى المدرسة القيمية... مدرسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي استيعاب وتجاوز وبشارة، ص12.

[4] خالد بلعربي، "مسار التجديد في الكتابة التاريخية عند القادري بوتشيش قراءة في كتاب المضمون في تاريخ الغرب الإسلامي إشكاليات نظرية وتطبيقية في التاريخ المنظور إليه من الأسفل، ص173.

[5] نذكر من بين هذه الندوات: الندوة الدولية التكريمية المهداة للأستاذ المؤرخ القادري بوتشيش، من تقديم وتنسيق محمد الشريف، تنظيم الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، ندوة دولية تكريمية للأستاذ المؤرخ إبراهيم القادري بوتشيش، تحت عنوان التاريخ الاجتماعي والاقتصادي وتاريخ الذهنيات بالمغرب والأندلس مقاربات ورؤى متقاربة، تطوان أيام 18 . 19أبريل 2020.

التاريخ الاقتصادي والاجتماعي هذا الحقل الذي لا تزال العديد من قضاياه لم تدخل ضمن دائرة البحث التاريخي[1].

كما وقد قام الباحث "محمد حناوي" لمراجعة كتاب "أثر الإقطاع في تاريخ الأندلس السياسي في منتصف القرن الثالث الهجري حتى ظهور الخلافة (250هـ . 316هـ)، وقد عبر هو الآخر عن جدية الدراسة واصالتها بقوله "إن الدراسة الجدية تتجلى جديتها صاحبها لرؤية تاريخية هامة وواضحة حللت مرحلة دقيقة من التاريخ الأندلسي وفق منظور اقتصادي اجتماعي [2].

بالإضافة إلى قراءات أخرى لم نحظ بها كقراءة "الحسين بولقطيب" في كتابه "المغرب والإسلامي" وأيضا في كتابه "التواصل الحضاري بين عمان وبلاد المغرب" و"محمد فتحه" في كتابه "الإسلام السري في المغرب العربي" وأيضا قراءة "مصطفي نشاط" في كتابه "حلقات مفقودة من تاريخ الغرب الإسلامي"[3].

وبدورنا قمنا بالاطلاع على مجموعة من الكتب التي أصدرها المؤرخ "بوتشيش" ولاحظنا جديته في طرح المواضيع، وتبنيه لمبدأ التجديد ومحاولة خلقه للتجديد في مواضيع التاريخ الوسيط، حتى أن مداخلاته العلمية مبنية على هذا الأساس. وقد صرح بضرورة وجوب التّجديد في المداخلات العلمية فإن كانت تخلو من الجدية فما الداعي لها ؟[4].

---

[1]محمد تضغوت' إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، حولية التاريخ الإسلامي، مصر العربية للنشر، مصر، 2002، م 2، ص285.

[2]محمد الحناوي، "مراجعة لكتاب أثر الإقطاع في تاريخ الأندلس السياسي من منتصف القرن الثالث الهجري حتى ظهور الخلافة (250هـ . 316هـ)، مجلة الاجتهاد، دار الاجتهاد، بيروت، 1994، ص256.

[3]لخضر بولطيف، من المدرسة المادية إلى المدرسة القيمية ...ص08.

[4]لقاء صحفي،تمت مشاهدته في قناة المؤرخ الجزائري عبر اليوتيب، بعنوان: النكتة ...كمصدر للكتابة التّاريخيّة/إبراهيم القادري بوتشيش.

وقد انصب محور الاهتمام في كتابات "القادري بوتشيش" حول حقل التاريخ الاقتصادي والاجتماعي.

فشكلت بداية رسالته حول الإقطاع في الأندلس 1984م، جدلا واسعا وأحرزت تحولا عميقا في الكتابة التاريخية حول الأندلس وتاريخها الاقتصادي، كما وأنها قد أفرزت نقاشا واسعا حول أنماط الإنتاج في بلدان العالم الثالث وضمنها الأندلس والمجتمعات العربية الإسلامية[1].

فقد عمد الباحث إلى تتبع الأوضاع السياسية في الأندلس في منتصف القرن الثالث الهجري حتى ظهور الخلافة (250هـ . 316هـ) انطلاقا من أثر النمط الإقطاعي فيها، وقد تعامل مع الأفكار بطريقة تحليلية، حيث قام بتحليل مصطلح الإقطاع الإسلامي واتضح له الاختلاف الكائن في كتب الفقه من حيث تعريفه لذلك عرف أسباب تباين نتائج الدارسين المحدثين مستشرقين أو عرب، فما برح حتى قام بعرض تلك النتائج ثم صنفها في اتجاهات ثم حلها ونقدها.

علاوة عن هذا لم يفوت فرصة الحديث عن جدية موضوعه حيث أن الإقطاعية لازالت مثار جدل بين منظري التاريخ الإسلامي[2].

وفي سنة 1991م دخل "القادري" مجال التاريخ الاجتماعي من بابه الواسع حيث ناقش أطروحته حول "الحياة الاجتماعية في المغرب والأندلس خلال العصر المرابطين" وهي الأطروحة التي اعتبرت نقطة تأسيس للتاريخ الاجتماعي بالغرب الإسلامي وبداية مشروع لإعادة كتابة التاريخ، كما أنها فتحت شهية الباحثين للتعمق البحث في ثنايا التاريخ الاجتماعي[3].

---

[1] الندوة الدولية التكريمية المهداة للأستاذ المؤرخ، ص15.

[2] إبراهيم القدري بوتشيش، أثر الإقطاع في تاريخ الأندلس السياسي في منتصف القرن الثالث الهجري حتى ظهور الخلافة (250هـ . 316هه)،ص333. 13.

3 الندوة الدولية التكريمية المهداة للأستاذ المؤرخ، ص16.

في عام (1993م) أصدر كتاب "المغرب والأندلس في عصر المرابطين . المجتمع . الذهنيات . الأولياء" وقد درس فيه جانبا "أنثروبولوجيا واجتماعيا"[1]وقد لاحظ أن معظم الدراسات حول المغرب والأندلس انصبت في التاريخ السياسي فقتلته، بحثا في حين عد تاريخ المجتمعات من اختصاص السوسيولوجين والأنثربولوجين أكثر من المؤرخين، غير أنه في الواقع يحمل عطاء صادقاً وانعكاساً جيداً لأرضية تاريخية تجعل منه في الواقع حقلا خصبا للبحث التاريخي وموضوعاً في أمس الحاجة إلى الاستقصاء والبحث، فتتبع الحياة العائلية وتكوين الأسرة وما اعترضها من مشاكل، ودور المرأة، والطرق التربوية السائدة، وتناول العادات والتقاليد[2].

وفي عام (1998م) نشر الباحث نفسه مؤلفاً آخر عن مجتمع الغرب الإسلامي بعنوان "مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس من خلال عصر المرابطين" وكلا المؤلفين السابقين الذكر جزء من رسالة دكتوراه الدولة التي قدمها الباحث في دراسة أصلية اعتمد فيها520مرجعاً مخطوطا ومطبوعاً من مصادر ودراسات حديثة، فاعتمد فيها 77 مصدراً مخطوطاً ومطبوعاً و278دراسة حديثة فيها97 دراسة بلغات أجنبية من القرن التاسع عشر[3].

أشار فيه إلى أهمية التاريخ الاجتماعي، ذلك أنه يساعد على الإلمام بالعناصر الفاعلة في حركة التاريخ ومنه تأسيس تاريخ شمولي يتجاوز التاريخ التقريري الحدثي، ولأنه تم إسدال ستار من الصمت على تاريخ المجتمع، تعتبر دراسة جديدة ومكملة لكتاب "المغرب والأندلس في عصر المرابطين" حيث سلطت الضوء على مكونات المجتمع في

---

[1]عز الدين حبوس، " الغرب الإسلامي بين البحث التاريخي العربي والغربي"، ضمن كتاب التأريخ العربي وتاريخ العرب كيف كتب وكيف يكتب؟ الإجابات الممكنة، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة الكتابات، بيروت، 2007، ص666.

[2]إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين المجتمع- الذهنيات- الأولياء، (د. ط)، دار الطليعة للنشر، بيروت، ص05- 06.

[3]عز الدين حبوس، الغرب الإسلامي بين البحث التاريخي العربي والغربي"، ص666.

المغرب والأندلس من حيث عناصره الإثنية والطائفية وخريطة الديموغرافية وبنائه الطبقي وتكوينه القبلي [1].

ومن البحوث التي ركز عليها أيضا المعلم الاقتصادي والاجتماعي نذكر دراسته حول مدينة مكناس التي انصبت الدراسات حول عصريها الحديث والمعاصر في حين الوسيط لم يأخذ حيزا من اهتمام المؤرخين، زد على هذا غالبية الإنتاجات أجنبية حركتها حواز مصلحية وقد وضح بأنها بقيت خارج دائرة الاستقطاب قبل الفترة الإسماعلية لأنها لم تكن قاعدة الملك لأي دولة من الدول التي تعاقبت على حكم المغرب، كما أنه أشار إلى أهمية ما كتبه الدكتور المفكر "محمد المنوني" حول المدينة فأنار بعضا من جوانبها المعتمة [2].

كما أنه درس نمط اقتصاد المغازي وتساءل فيها إذ شكل أسلوبا للإنتاج في مغرب العصر الوسيط، ورأى أن أبرز الإشكاليات لم يعمق فيها البحث كفاية هي الوقوف على عوامل التطور البطيء الذي عرفه الاقتصاد المغربي خلال العصر الوسيط، وبغية رصد ظاهرة هذا التطور البطيء وجب البحث في العلل الاقتصادية الكامنة وراءها، حتى أن دراسة ظاهرة التطور الاجتماعي البطيء تستلزم دراسة نمط الإنتاج الاقتصادي لم يستوح فقط من الواقع التاريخي والكتابات الخلدونية فحسب بل ساعدته في توضيح الرؤية لكتابات أوربية مثل كتابات "جورج دوبي" وغيره من المؤرخين الأوربين الذين تحدثوا عن اقتصاد الحرب[3].

---

[1] إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، د. ط، دار الطليعة، بيروت،ص05.

[2] القادري بوتشيش، إسهامات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمدرسة مكناس خلال العصر الوسيط،ط1، منشورات عمادة جامعة مولاي إسماعيل، 1997، ص09- 10.

[3] إبراهيم القادري بوتشيش، حلقات من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي، ط1، دار الطليعة، بيروت، 2006، ص09- 10 -11.

إلى جانب هذه الدراسة بحث المؤرخ في ظاهرة تجسد مشهداً من مشاهد الحياة اليومية، تتمثل في ظاهرة الدين والسلف في المجتمع المغربي، فهي معاملات حاضرة في مجتمع الغرب الإسلامي لكن طالها نوع من الإغفال والإهمال في مجال البحث التاريخي[1].

وقد اعتمد الباحث "القادري بوتشيش" في أحد كتبه عنوانا جذابا صرح بجدية بحثه علانية فكان عنوانه "تاريخ الغرب الإسلامي قراءات جديدة في قضايا المجتمع"[2].ومثل هذه العناوين المغرية كان لها استشاريين أواسط المؤرخين[3]، فصارت أكثر تداولا واعتماداً. ولكن السؤال الذي نطرحه هو هل كل من اعتمد في عناوين كتبه جملة قراءات جديدة، قد أتى فعلا بالجديد؟.

إن الإجابة حتما عن هذا السؤال يتطلب قراءة عميقة أولاً في مقدمات الكتب حيث تعتبر المقدمة واجهة البحث وأساسه والأستاذ الخبير المتمكن يستطيع التمييز بين بحث جاد وأخر غير جاد انطلاقا منها.

وبعد تجاوز المقدمة وما تحتويه على المنهج الذي يعتبر الوجهة في البحث والركيزة، وجب التدقيق في المتن والمقارنة بينه وبين المقدمة، واستيعاب ما إن فعلا احتوى على ما قد كتب في المقدمة.

فهناك مقدمات تحوي على افكار ووجهة معينة، ولكن البحث كله يكون في وجهة أخرى وبالتالي يحدث تناقض في البحث العلمي، وكمثال على هذا نطرح المثال الذي

---

[1] إبراهيم القادري بوتشيش، حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي،ص30.

[2] إبراهيم القادري بوتشيش، دار الطليعة، بيروت، 2000.

[3] تذكر بعض الدراسات التي جاءت فيها جمل دالة على التجديد: -عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، ط1، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، 2005، 3ج. /-محمود أحمد أبوصوة، تاريخ الغرب الاجتماعي والاقتصادي قراءة مغايرة، منشورات ELGA ، مالطا. /- عصمت عبد اللطيف دندش، أضواء جديدة على المرابطين، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991./--محمود إسماعيل، الأدارسة في المغرب الأقصى (172هـ -375هـ) حقائق جديدة.-/ محمد بنتهيلة، نحوقراءات جديدة لتاريخ المغرب والأندلس في القرن السادس الهجري، د. ط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية،آكادير،2014.

جاء به "علي صالح المولى" يقول: "يوجد كتاب عنوانه مناهج البحث في الإنسانيات والعلوم الاجتماعية ألفه "عبد الإله بنمليح" و"محمد آستيتو" ووضع محمود إسماعيل للكتاب مقدمة، في العنوان إغراء كبير يدفعك إلى توقع كتابه في الميتودولوجيا على غرار العناوين التي توسم بها كتب المنهج في الآكديميا الغربية .ويزداد هذا التّوقع وثوقية حين تقرأ مقدمة "محمود إسماعيل" التي محضها للميتودولوجيا ونقد فيها بعنف تقصير العرب في الكتابة في هذا العلم... غير أنك تفاجأ بمتن الكتاب مخصصا لفن كتابة الرسالة الجامعيّة في اختصاص التاريخ موجها إلى الطلبة الباحثين المقبلين على إعداد بحوث ورسائل أواطروحات جامعيّة، ولاسيما في الخطوات والتّجارب الأولى"[1].

وقد احتوى كتابه السابق الذكر على مجموعة من الأبحاث والدراسات التي شارك فيها صاحبها في العديد من المؤتمرات والندوات داخل المغرب وخارجه، وقد تشجع للملمتها في كتاب واحد، ولما أثارته من نقاش، على اعتبار أن موضوعاته المطروقة لاتزال بحرا وحتى التي سبق إثارتها فإنها على حد تعبيره عادة ما تكون طافحة بالمغلطات والتخريجات الملغومة، كما وقد وضح أن هدفه الرئيسي في النهاية هو وضع الأصبع على الإشكاليات المعقدة والتمرد على ما هو شائع ومتواتر[2].

ومن بين المواضيع التي تطرق إليها في هذا الكتاب، موضوع العوام الذي كتب عنه الإستوغرافيا التقليدية، ولم تشر للحياة اليومية للعوام والمهمشين إلا بأنصاف الكلمات، فأسدلت ستارا من الصمت والأهمال باستثناء ما ورد في ثنايا أخبارهم من إشارات شحيحة جاءت بكيفية عفوية، وقد اعتبر المؤرخ المغاربي معاديا للعوام باعتبارهم ممثلي الطرف المحكوم لا الحاكم، لذلك صنفهم في عداء المارقين والعصاة... ويعتبرهم سفلة

[1] علي الصالح مولى، "جغرافية الحقل التاريخي في ضوء تقاطع الاختصاصات محاولة في إعادة تشكيل المفهوم"، مجلة أسطورة، ع11، كانون الثاني 2020، ص68.

[2] لقادري بوتشيش، تاريخ الغرب الإسلامي قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة، ص05.

وغوغاء لأنهم لا يملكون أي وزن في نظره لذلك تم وضعهم في خانة على هامش التاريخ[1].

وكان إبراهيم القادري بوتشيش المهتم بمجال المهمشين يحاول خلق نوع من الصراع الذهني الايديولوجي لدى مؤرخ العصر الوسيط، فالذين ينعتهم المؤرخ الوسيطي بالغوغاء والسفلة هم جزء لا يتجزأ من المجتمع وليس كل المجتمع وهم جزء بسيط من مجموع العامة، ولربما تجاهلهم أو سكوتهم عنهم أي العامة كان بسبب قلة فاعليتهم في المجتمع لكن لا يمكن لأحد أن يتغاضى عن حضورهم، وطبيعة التأريخ آنذاك القائمة على التأريخ اللحظي فرضت على المؤرخ استثنائهم من الحديث. كما أنه لا يجب على المؤرخ المعاصر أن يتهم المؤرخ الغائب بإيديولوجية معاصرة، وهذا ما أوضحه أحد الباحثين بقوله: "ما من شك أن أكثر الانقطاعات حسما هي تلك القطيعات التي ينجزها تحول نظري ما عندما يؤسس علما يفصله عن ايديولوجيا ماضيه أو يحكم على ذلك الماضي بأنه ماضي ايديولوجي"[2].

وفي موضوع آخر عن المصادر الدفينة وضح أهميتها في التأريخ للتاريخ الاجتماعي ذلك أنها تتحدث عن بعض القضايا المهملة في كتب التاريخ كأهل الذمة، وفئة اللصوص والمشعوذين والسحرة ...إلخ[3].

وقد تطرق إلى ظاهرة الزواج في العديد من كتاباته لما تحمله من مكانة اجتماعية، فالمؤرخين القدامى سكتوا عنها على اعتبار أنها مسألة عائلية صرفة[1].

---

[1] القادري بوتشيش، " تاريخ العوام في المغرب العصر الوسيط بين فقر الوثائق وإمكانيات التجاوز طرح ومناقشته من خلال كتب العهود والوثائق"، ضمن كتاب تاريخ الغرب الإسلامي قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة، ص28.

[2] ميشال فوكو، حفريات المعرفة، ترجمة: سالم يفوت، ط2، المركز الثقافي الغربي للنشر، بيروت، الدار البيضاء، 1987، ص07.

[3] القادري بوتشيش، دور المصادر الدفينة في كشف الجوانب الحضارة المنسي للمدينة المغربية دراسة تطبيقية حول مدينة مراكش من التأسيس حتى أواخر عصر الموحدين، ص130.

من تقصينا لما توفر لدينا من دراسات للباحث النابه الدكتور القدير "إبراهيم القادري بوتشيش"، لاحظنا أنه غاص بعمق في قضايا المجتمع من خلال طرحه للعديد من الإشكاليات حول الأسرة، وتكوينها وحياة العوام، كذلك في قضايا اقتصادية على غرار اقتصاد المغازي الذي تحدثنا عنه سابقا والأسواق...إلخ.

وبالتالي فإنه فتح نافذة البحث أمام الباحثين للتوغل أكثر فأكثر في الجزئيات البسيطة في المجتمع كالمتسولة مثلاً، وإثرائها من المصادر الدفينة بغية إيجاد لا إجابات نهائية، وإنما تشكيل مجموعة من الإشكاليات ذات طابع العلمية، ولاشك في أن "القادري بوتشيش" تأثر بمدرسة الحوليات.

رغم سكوت "محمد الطاهر المنصوريّ" في تقديمه للكتاب الجماعي الذي أشرف عليه "جاك لوغوف" عن ذكر اسمه مع قائمة المتأثرين بالمدرسة[2]، قد وضح "لخضر بولطيف" سبب ذلك في كون القادري لم يكن منبهرا كثيرا بالمدرسة[3].

ولكن ما يمكن إضافته في هذا المقام هو انه لا يمكن إفراز ظاهرة اجتماعية بمعزل عن الظروف المحيطة بها كالمناخ السياسي الذي ترعرع فيه، فالسياسي والاقتصادي والاجتماعي عناصر متفاعلة فيما بينها [4].

---

[1]إبراهيم القادري بوتشيش، ظاهرة الزواج في الأندلس إبان الحقبة المرابطية من خلال نصوص ووثائق جديدة أعمال الندوة الدولية تحت عنوان "حضارة الأندلس والزمان والمكان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، المحمدية، أيام 16- 8 أبريل 1992،157.

[2]فقد ذكر لائحة من المؤرخين الذين تأثروا صراحة بفكر مدرسة الحوليات من أقطار المغرب العربي (تونس- الجزائر – المغرب الأقصى) وهومن ضمنهم أي "المنصوري" للتزيد أنظر : (مقدمة محمد الطاهر المنصوري للكتاب الجماعي :التّاريخ الجديد، تحت إشراف :جاك لوغوف، ص26.

[3]لخضر بولطيف، "من المدرسة المادية إلى المدرسة القيميّة ..مدرسة التّاريخ الاقتصادي والاجتماعي استيعاب وتجاوز وبشارة "، ص20.

[4]السعدية فاغية،"مصادر التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس"، ضمن الكتاب الجماعي :جوانب من التاريخ الاجتماعي للبلدان المتوسطية خلال العصر الوسيط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية،مكناس،1991 ص16.

وقد ذكر الباحث "ناصر الدين سعيدوني" جملة من القناعات التي يجب توفرها لدي الباحث المقبل على معالجة مواضيع اقتصادية، اجتماعية هي كالآتي:

– الرغبة في التعرف على بنية المجتمع وذلك من خلال دراسة أوضاع هذه البنية الخاصة والبحث في مظاهرها المختلفة.

– الاقتناع بأن التاريخ في أبعاده الاجتماعية والاقتصادية وحتى الثقافية الروحية مجال معرفي واسع وبالتالي يحتاج إلى زيادة التطلع في الثقافات التاريخية.

النظرة إلى التاريخ كظواهر وواقع اقتصادي ومفهوم ثقافي وبعد روحي ليس كأحداث مستجدة وفترات متعاقبة وسير حكام لأن هذه أو تلك الأحداث هي القشور واللّب يكمن في محاكاة الجانب الاقتصادي والاجتماعي والثقافي[1].

3- تاريخ الأفكار والذهنيات:

أ- مفاهيم المضامين:

تطلب تعدد المفاهيم التي تدور في فلك واحد أن نقوم بتقديم تعريف للمصطلحات التي واجهتنا أثناء بحثنا في ميدان التاريخ الثقافي والذهني.

✓ مفهوم الثقافة[2]:

يصرح المؤرخ العالم" مالك بن نبي" –رحمه الله– أن كلمة الثقافة لم توجد في كتابات ابن خلدون رغم أنه يعتبر المرجع الأول في علم الاجتماع، وقد وجدت مرتين أو ثلاثة ولكن بصورة أدبية في المقدمة، وبعد بحث مطول حولها لتعريف شامل لها فعرفها بقوله:" مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته

[1] ناصر الدين سعيدوني،أسسيات منهجية التّاريخ،دار القصبة،الجزائر،ص123.

[2]يجب التنويه إلى أن غايتنا ليست البحث في المضمون اللغوي للمصطلحات،إنما غايتنا هي التعرف على ماتمّ الاصطلاح عليه .

وتصبح لا شعورياً، العلاقة التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لا شعوريا، العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه فهي على هذا التعريف المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه بشخصيته"[1].

وقد استخدم العرب هذا المصطلح ولكن في نطاقه اللغوي فقط، وردت في مقدمة "طبقات فحول الشعراء" وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم..." ولعل المعنى الأقرب لمعنى الثقافة في هذا السياق هو الحذق والفهم[2].

وقد صرح أحد الباحثين أن مصطلح الثقافة زئبقي[3]، تتعدد مصادره ومكوناته وكذا تعريفاته، وأخذ على عاتقه –الباحث– استحضار بعضاً من التعاريف المصطلح عليها لهذا المصطلح فكان من بين تعريفاته أنها "الرقي في الأفكار النظرية، وذلك يشمل الرقي في القانون والسياسة، والإحاطة بقضايا التاريخ المهمة والرقي كذلك في الأخلاق والسلوك، وأمثال ذلك من الاتجاهات النظرية"[4].

وقد يعبر عن الثقافة بأنها ثمرة كل نشاط إنساني محلي نابع عن البيئة ومعبر عنها أو مواصل لتقاليده في جل الميادين[5].

ولكون الثقافة كمصطلح لم تكن حاضرة عند العرب القدماء، سنقدم فكرة بسيطة عن ظهورها في الفكر الغربي.

---

[1] مالك بن نبي، مشكلات الحضارة مشكلة الثّقافة، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1984،ص –74.

[2] جميلة بنت عيادة الشّمري،مفهوم الثّقافة في الفكر العربي والفكر الغربي،ص06.

[3] وهونفس الرّأي الذي حذا حذوه الباحث" محمد الكتاني" إذ اعتبرأمر الثقافة مختلف عن بقية العلوم لذلك اختلف في تحديدها ومواقع النّظر إليها .للتزيد أنظر: (محمد الكتاني، "الدّور المزدوج للثقافة "،مجلة المناهل،ع37،وزارة الشؤون المغربية،الرباط،1989،ص49.)

[4] لزهر مساعدية،"في مفهوم الثّقافة وبعض مكوناتها (العادات –التّقاليد–الأعراف)"،مجلة الذّاكرة،ع09،2017،ص34.

5 بشير رمضان التّليسي،الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي من خلال القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي،ط0،دار المدار الإسلامي، بيروت،2003،ص31.

لقد كانت كلمة الثقافة في القرن الثامن عشر ميلادي قريبة من كلمة أخرى من كلمة حضارة، فلكلمتين تنتميان إلى ذات الحقل الدلالي وتعكسان التصورات الأساسية، وقد كانت كلمة حضارة ناجعة في المعجم الفرنسي، غير أن الفرق بين الكلمتين، يكمن في كون أن الثقافة "تستحضر أكثر التقدم الفردي" بينما الحضارة تستحضر التقدم الجماعي، وقد انتقلت هذه الكلمة أي الثقافة إلى ألمانيا، فكانت تنطق بمعناها المجازي في اللسان وبدت أنها نقل حرفي للكلمة الفرنسية cultur وذلك لما كانت تحظاه هذه اللغة من تقدير عند الطبقة العليا في ألمانيا، إلا أنها في منتصف القرن المذكور شهدت نقلة نوعية في ألمانيا، وذلك لتبني الطبقة البرجوازية المثقفة لها، وبدأت هذه الطبقة التي ينتمي أصحابها إلى أوساط جامعية تؤاخذ الأمراء على إهمالهم لجانب الفنون والآداب[1]. وبما أن الثّقافة تعبر عن كل ما أنتجه الإنسان أوكل ما ينتمي إلى العالم الإنساني[2]، فإنه يجدر بنا أن نعرف أولاً المدخل الأساسي للتاريخ الثقافي؛يبدوا أن الأنثروبولوجيا هي المدخل لكل تاريخ ثقافي[3]، كون علم الإنسان والأنثربولوجيا يهتم بثقافة الإنسان البدائي والتطور البيولوجي الذي يميز به، ويتناول السلالات البشرية وتوزعها وتنوع ثقافتها الشفاهية ومعارفها العلمية، فهو العلم التركيبي الذي يهتم أساساً بنمط الحياة وخصائص الجماعات البشرية[4].

وقد ذهب "تايلور إدوارد بارنات" إلى تعريف الثقافة ضمن المحتوى الإثنولوجي بأنها أكثر اتساعاً، فهي الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون

[1]دنيس كوش،مفهوم الثّقافة في العلوم الاجتماعيّة، تر:منير السّعيداني، ط1، منشورات المنظمة العربية للترجمة، بيروت،2007،ص19-20-21.

[2]لونيس بن علي، "النّقد المقدس :في انزلاقات النقد:من نقد الدّين إلى النّقد الدّيني"،مجلة مؤمنون بلا حدود، 2016، ص10.

[3]هاري المر بارنر، تاريخ الكتابة التّاريخية، تر:محمد عبد الرحمان برج، الهيئة المصرية للكتاب، د.م،1987،ص159.

[4]ناصر الدين سعيدوني،أساسيات منهجية التّاريخ،ص17.

والعادات وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع[1].

وقد عبر باحث آخر عن الثقافة في ضمن حقل التاريخ الثقافي إذ اعتبره حقل مميز للدراسات التي تنخرط في الزمن الطويل، وهو موضوع التقى فيه كل من بروديل وأرنست لابروس، وقد دعا هذا الأخير المؤرخين إلى افتتاح ندوة التاريخ الاجتماعي في سان كلوسنة 1965 إلى مر المستوى الثالث أن تاريخ الذهنيات[2].

✓ تاريخ الذهنيات:

يرى" بول ريكور" حسب "محمد حبيدة" أن تاريخ العقليات حفر أخدوده الطويل بين التاريخ الاقتصادي، والتاريخ الاجتماعي المشع بمفهوم الأمد الطويل والرد على التاريخ الفكري بما يمارسه الفلاسفة ومؤرخو العلوم انطلاقا من الثقافة بمفهومها المتنبه للإحساس والسلوك والرمز مخترقاً بذلك تصوير "بروديل" للتاريخ الشامل الذي يحتل فيه الاقتصاد مكانة كبيرة[3].

وقد ولد هذا المجال –تاريخ الذهنيات– منذ الحرب العالمية الأولى عند بعض المؤرخين الفرنسيين "لوسيان فافر" "مارك بلوخ" والبلجيكي "هنري بيران" وعند بعض الجغرافيين "أ. د. منجون" وعند بعض علماء الاجتماع "ليفي برول" و"هاليواكس" وغيرهما، وقد صرح "هويزنغا" بضرورة أن يهتم تاريخ الحضارات بالدرجة ذاتها بالحلم والجمال وبالخيال الرومانسي كما يهتم بعدد السكان[4]، وقد صرح "فيليب أرياس" بأن تاريخ الذهنيات قد قلب أسس الكتابة التاريخية الفرنسية رأسا على عقب، فقد تغيرت فهارس

---

[1] دنيس كوش،مفهوم الثّقافة في العلوم الاجتماعية،ص31.

[2] ميشيل فوفيل، التّاريخ والأمد الطويل،ضمن الكتاب الجماعي :التّاريخ الجديد،تحت إشراف :جاك لوغوف،ص144-145.

[3] محمد حبيدة،"ابستمولوجيا المعرفة" ،ضمن المقالات المجموعة من طرف الحرش رضوان، 2012،ص02.

[4] فليب أرياس، تاريخ الذهنيات،ضمن الكتاب الجماعي : التاريخ الجديد،ص281.

المجلات الكبرى وتغيرت بحوث الطلبة وتراجعت المواضيع الاقتصادية والاجتماعية وفي سنة 1973 نشرت جمعية الديمغرافيا التاريخية عدداً خاصاً من المجلة التي تصدرها موضوع" الطفولة والمجتمع"[1].

وبالتالي فإن تاريخ الذهنيات يحتل حضوره ضرورة لابدا منها إذا ما أراد الباحث القيام بدراسة موسوعية في سياق تاريخ عالمي[2].

✓ الذاكرة:

يحيل مفهوم الذاكرة إلى آليات تمثل الماضي واستحضاره هذا التمثل الاسترجاعي لنسق الذّهنيات والتصورات الرمزية يستدعي حفراً شاملاً في الذّاكرة البشرية كإنتاج اجتماعي وسياسي ثقافي وتفاعلا لعدة مباحث انسانية من التاريخ والفلسفة وعلم نفس، سوسيولوجيا، أنثروبولوجيا، علوم سياسية، لسانيات، سيميولوجيا... فالذاكرة على حد تعبير "بيير نورا" تمثل: "ماتبقى من الماضي في أذهان الناس أو ما يتصورونه بخصوص الماضي فهي موروث ذهني تختزل مسيرة من الذكريات الفردية والجماعية التي تغذي التمثلات المجتمعية [3].

✓ المتخيل:

لا يمكن تحديد تعريف معين له كونه يمتاز بشساعة مجاله وديناميةمكوناته وكذا صلته العضوية بالرمزيّ سواء كان حركيا – شعائريا أو لفظيا – حكائيا أو بصريا– أيقونياً[4]، و"يتكون المتخيل من جملة التمثلات التي تفيض على الحد الذي وضعته

---

[1] فليب أرياس، تاريخ الذّهنيات، ص288.

[2] إبراهيم القادري بوتشيش،"تجديد التّاريخ الإسلامي .كيف ومن أين يبدأ؟–وجهة نظر"،ص48.

[3] مولاي عبد الحكيم الزّاوي، "جدل التّاريخ والذّاكرة في الاسطوغرافيا المغربية حفريات في الذات المغربية المقهورة بلون السياسة" ، شبكة ضياء للمؤتمرات والدراسات، ص05.

[4] نور الدين الزاهي،المقدس والمجتمع، أفريقيا الشرق، المغرب،2011،ص09.

الملاحظات الناتجة من التجارب ومن تسلسل الاستنباطات التي تسمح له هذه الملاحظات بالوجود، وهذا يعني أن كل ثقافة لها متخيلها ومن خلال كل مجتمع وربما كل مستوى من مستويات مجتمع مركب له متخيله"[1].

من خلال التعريفات السابقة يمكننا ملاحظة دخول العديد من العناصر في المجال الثقافي والذهني، فمجال الأدب والفن حاضران فيه والعادات والتقاليد والأعراف حاضرة بقوة ضمنه، وبالتالي يجب أن نتساءل عن مكانة التاريخ الثقافي والذهني من التاريخ الاجتماعي؟

كما هو واضح فإن تاريخ الثقافات والذهنيات لا يخرج أبداً عن نطاق التاريخ الاجتماعي، بل هو احد أبوابه، بل ويعتبر ركيزة له إذ أنه يعتبر مادة له، وبغياب المادة أكيد سيغيب المضمون.

وبالتالي فإن دائرة التاريخ توسعت بفعل ازدياد الإلمام بالثقافة في أوسع معانيها مثل: تاريخ الفن والأدب والسلوك وغيرها من الجوانب الأخرى[2].

وبحصر الانتباه في الثقافات والإثنيات والذهنيات، تتوسع دائرة المواضيع أيضاً وبالتالي تكسر رتابة المواضيع التاريخية التي كانت تدور في فلك السياسة والجانب العسكري[3].

وبهذا يجب أن تكون هناك علاقة بين تاريخ الأفكار والذهنيات والتاريخ الاجتماعي لذا يمكن القول بأن التاريخ الذهني هو وجه من وجوه التاريخ الاجتماعي الذي يحصر ميدان بحثه في الظواهر الرمزية (phénomènes symboliques) إذاً تاريخ اجتماعي

---

[1] إفلين باتلاجين،تاريخ المتخيل،ضمن الكتاب الجماعي :التاريخ الجديد،ص481.

[2] هاري المر بانز، تاريخ الكتابة التاريخية، ص137.

[3] الصّادفي الدّاوديّ،"الكتابة التّاريخية بالمغرب من تاريخ سياسي إلى تاريخ هامشي "،مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية،ع50،متوفرة على اللأنترنيت.

للتمثلات (histoire social des représentation) إنه ابن لتاريخ العقليات كما بلورته كتابات "روبير ماندرو" و"فليب أرياس" بفرنسا[1].

وبما أن التاريخ الثقافي يدرس قضاياه ضمن الإطار الاجتماعي وعلى مستوى الأفراد فلا بدا من أن تكون هنالك علاقة وطيدة تربط التاريخ الفكري بتاريخ الأفراد حيث أن الأفكار لا تتطور بمعزل عن الأفراد الذين أنتجوها، ولذا وجب دراسة الأفكار باستحضار السياقات الاجتماعية والتاريخية والثقافية التي أفرزتها، ومنه لا يمكن تناول التاريخ الثقافي والفكري دون معرفة المثقفين الذين أنتجوا هذه الأفكار[2].

فالتاريخ الذّهني يميل إلى تغطية الحقل الاجتماعي ويندمج فيه ضمن تواصل الطّبيعة الإنسانيّة التي لا تتزحزح.[3]

ومنه نستنتج أن العلاقة بين التاريخ الاجتماعي وتاريخ الذهنيات والثقافات علاقة تكاملية وظيفية، كل جزء يخدم الآخر بطريقة أوبأخرى، وبالتالي إذا تحدثنا عن التاريخ الأفكار والذهنيات فلا بدا أن نعرف أنه جزء لا يتجزء عن التاريخ الاجتماعي .

ب- إسهامات[4] مغاربية في حقل تاريخ الأفكار والذهنيات:

لقد تعددت الدراسات في مجال تاريخ الأفكار والثقافات والذهنيات وذلك لما تحتويه من مساحة واسعة قد يجد الباحث نفسة أكثر راحة فيها، على الرغم من أنه مجال غير ميسور كما صرح الباحث "عبد العزيز فيلالي"يقول :"البحث في مجال الدّراسات

[1] الندوة الدّولية التكريمية للمؤرخ :إبراهيم القادري بوتشيش،تحت عنوان :التاريخ الاجتماعي والاقتصادي وتاريخ الذّهنيات بالمغرب والأندلس مقاربات ورؤى متقاربة،من تنظيم :الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، تطوان،أيام 18-19-أبريل 2018،ص02.

[2] خالد طحطح، البيوغرافيا والتاريخ،ط1،دار تولقال،المغرب،2014،ص97.

[3] فرنسوا دوس، التّاريخ المفتت من الحوليات إلى التاريخ الجديد،تر:محمد الطاهر المنصوري،ط1،المنظمة العربية للترجمة،2009،ص307.

[4] تجدر الإشارة إلى أن كلمة إسهامات جاءت بصفة نكرة لا معرفة ؛ ذلك أنني لم أقم بإحصاء جميع الدّراسات في هذا المجال العريض، فاخترت نماذج معينة حسب ماتوفر لدي من المادة العلمية .

الاجتماعيّة والعقلانيّة والذّهنيات ...ليس سهلا ميسورا بل [له] من الصّعوبة بمكان لنقص المصادر المونوغرافية والاستوغرافية في هذا المجال "[1].

ويبدو أنه قد طرق هذا المجال في دراسته عن تلمسان حيث يرى أن المجتمع التلمساني اكتسب ثقافة واسعة ورقيا حضاريا [2]،وقد أورد فصلا كاملا عن الحياة العامة لتلمسان ذكر فيه العادات والتّقاليد، وتحدث عن المأكولات والاحتفالات سواء بالأعياد أوالزواج، وتطرق إلى موضوع دور المرأة في المجتمع التّلمساني، حتى أنه ذكر أبرز المثقفات الزاهدات في تلمسان...[3]ويبدو أن خوضه لهذا المجال لم يقتصر فقط في دراسته عن تلمسان فقد توالت له دراسات أخرى في هذا المال نذكر منها :دراسته حول قسنطينة في مؤلفه المعنون ب: "مدينة قسنطينة في العصر الوسيط (دراسة سياسية، عمرانية، ثقافية)، وكذا في دراسته المعنونة بـ: "بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط" وفيه على سبيل المثال ذكر الجذور التّاريخية لينابر[4]، وهو موضوع ثقافي بامتياز جذوره لا تزال متصلة بالزمن الحاضر.

ومن الباحثين الجزائريين أيضا الذين خاضوا تجربة الكتابة في المواضيع الثّقافية نجد الباحث "محمد الأمين بلغيث" الذي دعا إلى ضرورة تحرير الكتابة التّاريخية من التّاريخ المدوي السياسي والعسكري [5]، وبما أن العمران يشكل معطى حضاري ويعبر عن ثقافة العصور، فقد ألف دراسة في مجال العمران الذي أشار أنها كانت مداخلات يلقيها على طلبته بقسم لتّاريخ بجامعة الجزائر، فاحتوى كتابه على مجموعة متنوعة من

---

[1] عبد العزيز فيلالي، بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط، دار الهدى للطباعة للطباعة والنّشر، ص05.

[2] عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزّياني (دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية)،موفم للنشر، الجزائر، 2007، ج01، ص05.

[3] عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني،ص 264-298.

[4] عبد العزيز فيلالي، بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط،ص163.

[5] محمد الأمين بلغيث، نظرات في تاريخ الغرب الإسلامي، دار الخلدونية للنشر والتّوزيع،الجزائر،2007،ص04.

الدراسات والأبحاث، كان لتطور حواضر الغرب الإسلامي حصة فيه[1]. ويمكن أن نعتبر مؤلفه " دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي" مؤلفا حافلا بالمواضيع الثّقافية، حيث تطرق إلى موضوع "الثقافة الإسلامية وروح التسامح:اليهود والمستعربون بالأندلس في عصر المرابطين والموحدين نموذجا" فتحدث عن ترعرع الثقافة اليهوديّة في دار الإسلاميّ، وكيف تطعمت بجوهر الثقافة الإسلامية فكرا وتأليفا.[2] كما وقد تطرق إلى موضوع "مشاركة المرأة الأندلسية في الحياة الأدبية والعلمية في عصر المرابطين (479هـ-1086م/539هـ-1145م) فذكر بداية "زينب بنت إسحاق النّفزاويّة" وبين كيف أن لذكائها دور في دخولها معترك السّياسة بامتياز[3].وقد طرق كذلك موضوع "المنطق والفكر العقدي من أبي عبد الله يوسف بن محمد السّنوسي إلى عبد الرحمان الأخضري (قراءة في الدرس المنطقي والأصولي)"وهو موضوع ثقافي فكري، وقد تساءل فيه الباحث عن كيفية استقبال الغرب الإسلامي لعلوم الإسلام[4]، وفي ذات الكتاب كانت له دراسة عن مدرسة مازونة الفقهية خلال القرن التّاسع الهجري /الخامس عشر الميلادي واثارها (قراءة تاريخيّة)[5].

تتضمن مواضيع المخيال دراسات موضوعية تتخطى هالة التّقديس في تناولها للشخصيات التي جرى في العادة تقديسها كالصحابة مثلا، أو الأشخاص الايجابيين على حد تعبير"المنصوري" الذي ثار على مسألة ذكر الخصال الطيبة فقط للأبطال التاريخيين،وأعطى مثالا عن ذلك في بلاد المغرب قائلا:"لا نرى في عقبة بن نافع الفهري إلا ذلك الرجل الذي فتح البلاد وأرسى ركائز الدّولة العربيّة الإسلاميّة في المغرب، وشيد مدينة القيروان، ونرى فيه الرّجل ذا الكرامات والخوارق. والحال أنه يجب أن ننظر إليه

[1] محمد الأمين بلغيث، فصول في التّاريخ والعمران بالغرب الإسلامي، ط1،أنتر سنيتي، الجزائر، 2007، ص06.

[2] محمد الأمين بلغيث، دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي، ط1،دار التنوير،الجزائر،2001،ص22.

[3] محمد الأمين بلغيث، دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي،ص68.

[4] محمد الأمين بلغيث،دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي،ص104.

[5] محمد الأمين بلغيث،دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي،ص129.

أيضا على أساس الرّجل الغازيّ، الذي فتك بالكثير من سكان البلاد دون تروومن دون عطف ...إلخ"[1] فالجزء الأول من الحديث هو جزء يتضمن مخيالا مغربيا، كما أنه نوه إلى ضرورة التّفريق بين إسلام النّص وإسلام التّاريخ، على اعتبار أن مجال المقدس من المجالات المغلقة أمام المؤرخين العرب، نظرا لعلاقة الموضوع بوجدان النّاس وأحساسيهم الدّينية والخلط الواضح بين الإسلام والتاريخ الإسلامي، فإذا كان الإسلام دينا يعتمد على كتاب مقدس،وعلى جملة من العناصر التي يؤمن بها المسلم، فإن التّاريخ الإسلامي هو عمل بشري فيه ما يتطابق مع النصوص الدينية وفيه ما يتنافر معها ؛وبالتالي فإنه لا يوجد مانع من إجراء قراءة تاريخية لأعمال "عمر بن الخطاب " مثلا أو لأعمال الصّحابة أو الخلفاء على اختلافهم، ونوّه –المنصوري– إلى ضرورة تناول الدّراسات عن الرسول وعلاقته بمحيطه بدءا من نسائه دون قداسة أوبعد منقبي لا تاريخي[2]. وقد خاض الباحث التّونسي "بسام الجمل " تجربة البحث في مجال المتخيل، فألف كتابا عن المتخيل في سيرة فاطمة –رضي الله عنها – فكان اهتمامه بها ليس الغرض منه إعادة سيرة فاطمة بأدوات المؤرخين المحترفين ومناهجهم الحديثة والمعاصرة في المقاربة،و" إن كان النّظر في ذلك مهما" بل كان الغرض منه هو معرفة كيفيات الانتقال من سيرة تاريخيّة يعتقد أنها كذلك لدى منتجيها إلى سيرة متخيلة [3].كما قام باحث تونسي آخر باقتحام باب المخيال واسقاطه على الصّحابة، فاختار زوج النبي –صلى الله عليه وسلم– "عائشة" – رضي الله عنها– محورا لبحثه الذي عنونه ب:"عائشة أم المؤمنين بين خيال الرّواة وواقع الحياة "وهذا البحث كان بمثابة قراءة جديدة –كما أعلن صاحبه–ومختلفة كما هو سائد

[1]محمد الطاهر المنصوري، مقدمة الكتاب الجماعي :التاريخ الجديد،ص22.

[2]محمد الطاهر المنصوري،"المجالات المهملة في الكتابة التّاريخية العربية"،ندوة أسطور،ع4، 2016،ص282.

[3]بسام الجمل، جدل التّاريخ والمتخيل سيرة فاطمة،ط1،مؤسسة مؤمنون بلا حدود، المغرب،2016،ص187.

في أدبيات الفكر الإسلامي القديم والحديث في خيال الباحثين المعاصرين من مسلمين ومستشرقين[1].

ومن الباحثين المغربيين الذين تطرقوا في كتاباتهم للمواضيع التي تدور في فلك الذهنيات نجد الباحث "إبراهيم القادري بوتشيش"، إذ يعد كتابه "المغرب والأندلس في عصر المرابطين (المجتمع- الذّهنيات-الأولياء) مساهمة هامة في حقل تاريخ الذهنيات وقد تطرق فيه لمواضيع الزّواج، المهر، بيت الزّوجية،العادات والمعتقدات الشعبية، وتناول فيه حتى جانب الأطعمة والأزياء والاحتفالات والمواسم وظهور التّصوف[2]. ويبدو أن موضوع السحر والشعوذة قد أخذ حيزا من اهتمامه، كونه يعبر عن حالة من الحالات الذّهنيّة التي يعايشها المجتمع المغربي، فأورد دراسة عنه بعنوان "حركة المتنبئين والسّحرة في الغرب الإسلاميّ إعادة تقييم لحركة حاميم خلال القرن الرابع الهجري"، وأشار إلى أن دراسة حركة المتنبئين بالنسبة له تعد من القضايا المبهمة والغامضة، خاصة وقد اعتبرها بعض المؤرخين مروقا وخروجا عن الشّريعة والسّنة لذلك لم ترد عنهم الكثير من المعطيات [3]؛كما وقد قام في بحث آخر معنون ب:"علوم النّجوم والفلك والتنبؤ بأحداث المستقبل في بلاد الغرب الإسلامي خلال عصري المرابطين والموحدين " بترصد الظّروف التي الثّقافية التي انبلج منها علم النجوم والتنبؤ بأحداث المستقبل [4].وقد تناول ذات محور البحث في دراسة أخرى بعنوان:"الفكر السّحري والعرافة بالمغرب والأندلس خلال العصر

[1] محمد حسن بدر الدين،"عائشة أم المؤمنين بين خيال الرّواة وواقع الحياة"،مجلة مؤمنون بلا حدود،2016،ص02.

[2] إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين المجتمع-الذهنيات -الأولياء، أنظر الفهرس على سبيل المثال.

[3] إبراهيم القادري بوتشيش،المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي إشكاليات نظريّة وتطبيقيّة في التّاريخ المنظور إليه من أسفل،ط1،دار رؤية،مصر،2014،ص60.

[4] إبراهيم القادري بوتشيش،حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي،ص104.

المرابطي" أين أظهر الدور الذي لعبته سذاجة العامة في تكريس الاعتقاد بالسّحر والعرافة [1].

ومن جهته الباحث محمد الشّريف يبدو أنه مهتم بمجال الذّهنيات فقد ضمن أحد كتبه مقالا "لسعيد بنحمادة" بعنوان : "الماء والإنسان خلال القرنين و8هـ/13و14م" الذي بحث في العلاقة الجدلية الرابطة بين الماء والمجال في الأندلس وما أفرزته من ثقافة مائية ببعدها العلميّ وحمولتها الأنثربولوجية، وما كان لها من تأثير في سلوكيات الأندلسيين وتصوراتهم[2]. ومن المعروف أن للطبيعة دور هام في برمجة تفكير الإنسان[3].

وقد خطى الباحث "عبد الهادي البياض" مجال البحث في الطبيعة لم لها من تأثير على ذهنية المغاربة عامة، وهو يرى أن البحث في مجال الذهنيات والسلوكيات قد قطع أشواطا مهمة في الغرب لأن مصادره متوفرة ومتاحة ومحفوظة على عكس العرب بحيث لازال البحث في هذا التّوجه لم يبرز كفاية .وقد عالج –ذات الباحث– موضوع الكوارث الطّبيعية، فحاول دراسة العلاقة الجدليّة بين الاضطرابات المناخيّة والإنسان من خلال إماطة اللّثام عن بنية الأنماط السّلوكية والذهنية، وقد ركز على المخزون الثّقافيّ والحضاريّ لإنسان الغرب الإسلامي، من خلال رصد الموروث الديني والاجتماعي من عادات وتقاليد وأعراف في بلورة الذهنيات[4]. وقد صرح"إبراهيم القادري بوتشيش" بأن موضوع الكوارث الطبيعية وانعكاساتها في ذهنية وسلوك إنسان العصر الوسيط معتم وهو موضوع يمثّل حوارا جديا بين تاريخ الطبيعة وتاريخ الإنسان، يروم إلى الكشف عن سقف

---

[1] إبراهيم القادري بوتشيش،"الفكر السّحريوالعرافة بالمغرب والأندلس خلال العصر المرابطي"، ملتقى الدراسات المغاربية الأندلسية، تيارات الفكر في المغرب والأندلس الرّوافد والمعطيات، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة، تطوان، ص346.

[2] محمد الشريف،قضايا في تاريخ المغرب،ط1،منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية،ج1،ص125.

[3] لقد ذكر هذا أرلوند توينبي، في نظرية التّحدي والاستجابة.

[4] عبد الهادي بياض،الكوارث الطبيعية واثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب الأندلس (ق6–8هـ/12 –14م)، ط1، دار الطّليعة، بيروت، 2008، ص10.

التّفاعل بين المتغيرات المناخية والافرازات السلوكية والذّهنية للإنسان، ويتداخل فيها الزّمن التّاريخيّ بالزمن الاجتماعيّ بالزمن الذّهني ليكشف عن دور الطبيعة في نسج خيوط البنيات السلوكية ويرصد التموجات الذهنية ويجس نبض المعتقدات الشعبية والمشاعر والأحاسيس لإنسان الغرب الإسلاميّ[1].

ويبدو أن موضوع الموت أثار فضول الباحثين المغاربة فاسترسلت الدراسات عنه. وقد خاض الباحث "رابحي رضوان" غمار هذا البحث، الذي يبدو لي مخيفا وذو هيبة من جهة ومن جهة أخرى مشوقا،فالموت لم يغب عن تفكير البشر يوما وظل موضع تأمل منذ القدم، تفاعل الإنسان معه بإنتاج طقوس وممارسات عكست مستوى فهمه وتصوره له[2].

من جانب آخر تمثل الظاهرة الصوفية ملاذا يستهوي الباحثين الدارسين في حقل الأفكار والذّهنيات، كونها تعبر عن حالة ذهنيّة، دينيّة، ثقافيّة، اجتماعيّة متكاملة .

ولسنا هنا من أجل التعريف بالتّصوف[3]، وانما نحاول ترصد أولى الدّراسات المغاربية التي حاولت أن تعكس صورة أخرى عن الدراسات التي جسدتها الدراسات الأكاديمية الاستشراقية .

فقد اهتم المستشرقون الأوربيون من مؤرخين وانثربولوجيين وسوسيولوجيين بظاهرة الأولياء والصّوفيّة، لكن اهتمامهم هذا كانت له أغراض استعمارية أكثر منها ثقافية

---

[1] إبراهيم القادري بوتشيش،تقديمه لكتاب: عبد الهادي بياض، لكوارث الطبيعية واثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس (ق6-8هـ/12-14م)،ص07.

[2] رضوان رابحيّ،"البحث التاريخي في موضوع الموت في المغرب الأقصى الوسيط حصيلة وافاق" مجلة البحث التّاريخي،ع14،ص139.

[3] للاطلاع أكثر أنظر: (الطاهر بونابي،التّصوف في الجزائر خلال القرنين 6و7الهجريين /12و13الميلاديين نشأته – تياراته–دوره الاجتماعي والثّقافي والفكري والسياسي،دار الهدى،الجزائر،2004.)

فكرية،فزعماء المقاومة الوطنيّة كان أغلبهم مرابطين–صوفية، ما ولد لديهم رغبة في فهم هذه الظاهرة بغية تفجيرها من الدّاخل أو تدجينها للحد من نشاط المقاومة وابادتها[1].

تجدر الإشارة إلى أن جامعة محمد الخامس بالمغرب الأقصى هي من كان لها السّبق في تناول موضوع المجتمع والصوفيّة وبدأت بأقسام الأدب أولا، مع الدكتور "محمد مفتاح" الذي قدم بتاريخ: 26-03-1981 بحثه المعنون بـ: "التّيار الصّوفي والمجتمع في المغرب والأندلس خلال القرن الثامن الهجري "لنيل دكتوراه الدولة في الآداب، تحت إشراف الأستاذ الدّكتور "محمد أركون"[2]. وهي أول دكتوراه عندنا في بلاد المغرب العربي، قد طبع منها جزء صغير منها تحت عنوان التصوف والآخر.[3]

بعدها بسنوات وفي نفس الجامعة أقدم الدكتور "عبد اللّطيف الشاذلي" على الخوض في دراسة كان عنوانها: "التّصوف والمجتمع نماذج من القرن العاشر الهجري"، وذلك كان سنة 1989م[4].

ولم يقصد صاحبها تعريف المحوريين البادين في العنوان أي التّصوف والمجتمع كل على حدة، وانما أراد إنجاز دراسة تركيبيّة تحاول وصف جانب من ميكانيكيّة تطور المجتمع المغربيّ[5] في فترة معينة،من خلال دراسة ظاهرة التّصوف.

ثم بعد ذلك توالت الدراسات المغاربية في هذا المجال فكانت دراسة "القادري بوتشيش" في سنة 1993م بعنوان: المغرب والأندلس في عصر المرابطين (المجتمع-

---

[1] الطاهر بونابي،عصر المتصوفة بالمغرب الأوسط دراسة في الحركة الصوفية خلال العصر الوسيط (الماهية–الجذور –المدارس– الأدوار) من القرن 2هـ/8م إلى نهاية القرن 7هـ/13م. منشورات كليّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، جامعة المسيلة، 2017، ج1،ص07.

[2] محمد مفتاح،.الخطاب الصّوفي مقاربة وظيفيّة،ط1،مكتبة الرشاد،1997،ص04.

[3] محاضرة الأستاذ الطاهر بونابي،بعنوان:الصوفية والمجتمع في الغرب الإسلامي خلال العهد الصّنهاجي والموحدي، ألقيت يوم:19-12-2019 ، وهي مسجلة ومكتوبة .

[4] تم الحصول على هذه المعلومات انطلاقا من محاضرة الأستاذ الطاهر بونابي ، بعنوان :الصوفية والمجتمع في الغرب الإسلامي خلال العهد الصنهاجي والموحدي. وهي مكتوبة ومسجلة بتاريخ :19-12-2019.

[5] عبد اللّطيف الشّاذليّ،التّصوف والمجتمع نماذج من القرن العاشر الهجريّ،مطابع سلا، المغرب، 1989،ص08.

الذهنيات–الأولياء)، والتي تعد في الأصل جزءا من أطروحته الجامعيّة التي تقدم بها لنيل (دكتوراه الدّولة) وقد كنا نوهنا إلى أهمية هذه الدراسة سابقا إلا أننا سنضيف ما حاول الوصول إليه صاحبها بحيث تطرق إلى ظاهرة الأولياء والصلحاء والمتصوفة وهي ظاهرة نشأت مع استفحال الفوارق الاجتماعيّة،وازدياد الرفاه المادي لطبقة تمثل الأقلية من المجتمع وسخط قطاع عريض منه على الوضع السّائد، ومن ثم طرح مسألة الكرامات والبركة والاعتقاد في ظاهرة الولاية[1].

وفي أفريل 1996م ناقشت الباحثة "نللي سلامة العامري "رسالة دكتوراه تحمل عنوان: "التّصوف في إفريقية في العهد الحفصي (من القرن السابع هـ/الثالث عشرم إلى نهاية القرن التاسع هـ/الخامس عشر م) بجامعة تونس الأولى[2]؛ وقد أثنى على هذا البحث الأستاذ الدكتور "هشام جعيط" واعتبره بحثا تاريخيا موثقا، فهي ليست دراسة روحانية حول الحياة الصوفية أوسردا بيبليوغرافيا للأولياء المشهورين،"إنه شيء آخر تماما فهويعتمد على المصادر الأكثر اتساعا ويأتي بنظرة متعمقة وتفهيمية لماهية التّصوف الافريقي والتحامه بالمجتمع ودوره السياسي والإنساني عامة [3].

وفي يوم25–جانفي–2000م ناقش الباحث الجزائري " الطاهر بونابي" أطروحة الماجستير الخاصة به في التّاريخ الإسلامي، والتي كان عنوانها: "الحركة الصّوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين السّادس والسّابع الهجريين/12و13 الميلاديين"[4]. وكان صاحب هذا البحث سباق إلى تناول موضوعه الذي عرضه فيما بعد في دراسة من

[1] إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين المجتمع الأولياء الذهنيات، ص06.

[2] نللي سلامة العامري، الولاية والمجتمع مساهمة في التّاريخ الاجتماعي والديني لإفريقية في العهد الحفصي، ط0، دار الفارابي، بيروت،2001،ص09.

[3] هشام جعيط، تقديمه لكتاب :نللي سلامة العامري،الولاية والمجتمع مساهمة في التاريخ الاجتماعي والديني لافريقية في العهد الحفصي، ص06.

[4] الطاهر بونابي، التّصوف في الجزائر خلال القرنين 6و7 الهجريين /12و 13 الميلاديين نشأته تياراته دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسّياسي، ص 07.

أربعة أجزاء جاءت تحت عنوان عصر المتصوفة والتي كان الجزء الأول منها نسخة أصلية من رسالة الماجستير أما الأجزاء الثانية والثالثة والرابعة فتعد تتمة للجزء الأول ولكن تتضمن الحركة الصوفية بالمغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين/14و15 الميلاديين، كان قد تقدم بها لقسم التّاريخ بجامعة الجزائر لنيل دكتوراه في العلوم وذلك يوم: 24-فيفري-2010 وبهذا يكون كتابه "عصر المتصوفة" حصيلة خمسة عشر سنة من البحث الأكاديمي الجاد، والذي كان تحت إشراف الأستاذ الدكتور: "عبد العزيز فيلالي"[1]؛ الذي بيّن صعوبة ما أقدم عليه الباحث قائلا :"لقد أشفقت على الباحث " الطاهر بونابي" في بداية مشواره العلمي عند اختياره لموضوع الحركة الصوفية في المغرب الأوسط لأطروحتيه "الماجستير والدكتوراه" لأنه موضوع صعب، متشعب، فطقوسه وفلسفته معقدة ونصوصه غامضة ومادته شحيحة ..." لكنه في المقابل ذكر كيف استطاع الباحث "الطاهر بونابي" خوض معركته الفكرية والمنهجية بسلاح الجد والمثابرة فراح ينقب عن أمهات الكتب والمصادر في الجزائر وتونس وخزائن المغرب الأقصى ليحصل على درر المعلومات،فجمع المادة العلمية من مظانها الأساسية، وبالتالي استطاع تحدي صعاب الموضوع والبحث واخترق جدار التّصوف وتعمق فيه[2].

إن ظاهرة التأريخ لتاريخ الأفكار والذهنيات، تعطي نظرة مغايرة نوعا ما للواقع الاجتماعي للغرب الإسلامي في الفترة الوسطيّة، بعيدا عن الجانب السّياسي والعسكري الذي طغى فعلا على الأبحاث التاريخية خاصة في فترة ما بعد الاستعمار.

وهذا ما جعل الباحثين عموما يحاولون إنارة الزوايا المظلمة في الجانب الحضاري للغرب الإسلامي، لأن باب الثقافة يعد معطى فاعل ومؤثر في مجرى التاريخ بصورة شاملة وفكرة كاملة لا تنحرف عن علموية التاريخ .

[1] الطاهر بونابي، عصر المتصوفة بالمغرب الأوسط، ص 02.

[2] عبد العزيز فيلالي، تقديمة لكتاب : الطاهر بونابي، عصر المتصوفة بالمغرب الأوسط،ص05-06.

ثانيا- من تاريخ البنية إلى تاريخ القيمة:

يبدو أن سؤال القيم أصبح أمرا مطروحا للغاية في عصرنا الحالي، إنه يعد انشغالا عالميّا، واسع غير محدود، وهو على حد تعبير رائد المدرسة القيمية الباحث "لخضر بولطيف" من بين الأسئلة الأكثر إلحاحا التي مافتئت تستقطب اهتمام الباحثين في العلوم الإنسانية والاجتماعية وهو ليس حكر على الفضاء العربي الإسلامي بل له نظائر في فضاء الغرب المسيحي[1]. فمثلا استطاع "فرانسيس فوكوياما" في أحد كتبه أن يستعرض لنا كتاب "عالم شجاع جديد"[2] لمؤلفه "ألدوس هكسلي" الذي بيّن ميوله له،وقد أعرب فيه عن تشابه رأي "هكسلي" مع الباحث "سي إس لويس" فبما يخص أن الدّين ليس المصدر الوحيد الذي يمكننا من خلاله فهم ما يعنيه كوننا بشرا، وقد بيّن كلأهما أن الطبيعة البشرية لها دور خاص في تعريفنا بما هو صائب وما هو خطأ، وما هو منصف وما هو جائر، وما هو مهم وما هو غير مهم، لذلك فالحكم النّهائي على ما هو خطأ في عالم هكسلي الشجاع الجديد سيختلف وفقا لنظرتنا لمدى أهمية الطبيعة البشرية كمنبع للقيم، فكون الطبيعة البشرية موجودة بالفعل مفهوم ذو مغزى وقد وفر استمرارية ثابتة لتجربتنا كنوع حي، وهي بصورة مترافقة مع الدّين ما يحدد أعمق ما فينا[3]. وقبل فوكوياما علينا أن ننوّه إلى أن القيم تميزت بمباحث خاصة في فلسفات الحضارة الغربية، رغم اختلاف مرجعيتها. فالأفلاطنيون جعلوا مرجعيتها محاكاتها للعالم العلوي أي عالم المثل، والمشاؤن جعلوا مرجعيتها في مقدار ما تحققه من التّطابق بين الإرادة والعقل، والرواقيون

---

[1] لخضر بولطيف، المدرسة القيمية،موجود على الأنترنت .

[2] ومن قبله كتاب "1984" لمؤلفه "جورج أورويل" فعلى حد تعبيره أن المستقبل –لمن نشأ مثله في القرون الوسطى من القرن العشرين– واحتمالاته المرعبة يتحددان من خلال الكتابان السابقين الذكر . للتزيد أنظر: (فرانسيس فوكوياما،مستقبلنا بعد البشريّ عواقب ثورة التّقنية الحديثة، تر:إيهاب عبد الرّحيم محمد،ط1،مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبوظبي،2006،ص 13.)

[3] فرانسيس فوكوياما،مستقبلنا بعد البشري عواقب الثورة التّقنية الحديثة، ص13-18.

جعلوا مرجعيتها في مقدار موافقتها للطبيعة، والأبيقوريون جعلوا مرجعيتها في مقياس اللّذة التي تحققها ومقدارها.[1]

وفي غالب الأمر ترتبط القيم بالدين وهذا ما وضحه أحد الباحثين وذلك بتحدثه عن هذين المجالين وتبعيتهما لبعضهما البعض (تبعية الأخلاق للدين وتبعية الدّين للأخلاق) مبينا مستندات الفلاسفة الغربيين في هذين المجالين، فمثلا في المجال الأول أي تبعية الأخلاق للدين مثله أوغسطين والقديس توماس الأكومي، الذين استندا إلى الايمان بالإله وإرادة الله ...، بينما في تبعية الدّين للأخلاق نجد الفيلسوف " ايمانويل كانط " الذي أقام نظريته الأخلاقية على مبدأ الإرادة الخيرة للإنسان.[2] ، ويبدو أن للأخلاق علاقة وطيدة بالدين، هذا ما جعل طه عبد الرحمان يجعل مهمة الجمع بين الأخلاق والدين على عاتقه لأنه يعلم تماما أن أسباب الأخلاق موصلة بأسباب الدّين حتى أنه لا حدود بينة مرسومة بينهما .[3]

وما من شك أبدا –بغض النّظر عن مفهوم القيم– أن للقيم دور كبير في صنع الحضارات، والحضارة الإسلامية خير شاهد على هذا، هذا لأنها تقوم على مبدأ القيم الذي جاء ذكره في القرآن الكريم وحثت عليه السّنة النبوية. وفي هذا المقام يتبادر إلى أذهاننا قوله –صلى الله عليه وسلم–: "تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه"[4]، ولكي لا يتحول كلامنا إلى ما يشبه خطبة الجمعة، لأن مجالس الوعظ عادة ما ترتبط بها، فإننا من الضروري أن نبين أن المبادئ هي أساس وجوهر كل

---

[1] محمد عمارة، العطاء الحضاري للإسلام،ط1، مكتبة الشروق الدّوليّة، القاهرة، 2004، ص104.

[2] طه عبد الرّحمان،سؤال الأخلاق مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة،ط1،المركز الثّقافي العربي، المغرب، 2000، ص 31–35.

[3] طه عبد الرحمان، سؤال الأخلاق مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية،ط1، منشورات المركز الثّقافي العربي، المغرب، 2000،ص25.

[4] أخرجه مالك في موطئه، كتاب الجامع، باب النّهي عن القول بالقدر، رقم 1874، أنظر: (مالك بن أنس، الموطا، تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود خليل، مؤسسة الرسالة،1412هـ،ج2، ص ص70.

نجاح، والأمة التي لا تملك مبادئ لها، لا يمكنها أن تكون ناجحة في أي شيء "... فالذي يقود العالم هو المبادئ ومن ثم أولئك الذين يتقمصونها وينشرونها"[1].

تعلن المدرسة القيمية عن نفسها كلحظة تأسيسية وككل مشروع مؤسس تجمع بين الاستيعاب والتّجاوز، فلا يمكن للتاريخ بعد "ابن خلدون" أن يظل متعثرا في أثوابه ويكتفي بدوره كوصيف للفلسفة[2]، وقد دعا "لخضر بولطيف "إلى ضرورة التّغيير وعدم البقاء رهنا للتاريخ كتاريخ مجريات أي وقائع وأحداث .[3]

وقد بيّن "لخضر بولطيف" نيته بتأسيس مشروع فكري قائم بحد ذاته، منذ بداياته الأولى في مجال البحث التّاريخي أين صرح بنواياه التأسيسية لأساتذته من ذوي العلم والمراتب العلا. وهذا مقتطف مما قاله عن نفسه: "**وقف بيننا كنبي متفرسا في وجوه مشدوهة إليه، وقال -كأنما يلقي في روعنا-:'ن المدرسة التّاريخية التي أفل نجمها بالمشرق[4] قد آن نجمها أن يبزغ بالمغرب**"[5].

وقد بيّن الباحث نفسه، لطلبته أنه لا يمكن لأي باحث أن يتجرد من منطلقاته الفكرية، لأنه لا يمكن أن يقارب أو يتعاطى موضوعا من فراغ، واذا توهم أنه تجرد من منطلقاته الفكرية، فإن منطلقات بديلة ستتسرب إليه حتما من غير وعي منه وتمارس تأثيرها دون أن يتمكن من مراقبتها[6]. فالموضوعية ليست ذلك التّجرد الذي يسمح لنا

---

[1] صاحب الفكرة في الأصل هو "غوستاف لوبون" ، للمزيد أنظر: (مسفر بن على القحطاني، صدام القيم قراءة مابعد التّحولات الحضارية، ط1،مكتبة الفجر الجديد،بيروت، القاهرة،2015،ص24.

[2] محاضرة لخضر بولطيف، المدرسة القيمية، 01، موجودة على الموقع الالكتروني:
https://archive.org/details/boultif-hhh-yahoo-01-201906

[3] مداخلة لخضر بولطيف في جامعة بجاية، بعنوان:نواة مشروع المدرسة القيميّة لدراسة التّاريخ، "فيدو " متوفر على اليوتيب في قناة المؤرخ الجزائري .

[4] كنا قد تطرقنا إلى هذه الفكر مع الباحث محمود إسماعيل .

[5] لخضر بولطيف، "من المدرسة المادية إلى القيمية.. مدرسة التّاريخ الاقتصادي والاجتماعي.. استيعاب وتجاوز وبشارة"، ص 01.

[6] لخضر بولطيف، الموضوعية هل يمكن لها أن تتحقق ؟،محاضرة ألقيت يوم :06-11-2019، لطلبة السّنة الثانية ماستر، تخصص:تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، مقياس حلقات بحث وهي مكتوبة ومسجلة .

بالوقوف على مسافة واحدة من أراء متعارضة وقضايا متضاربة، ويفوتنا في خضم ذلك أنه ليس في متناول العقل الإنساني أن يعالج مسألة ويقارب ظاهرة من فراغ تصور، أو عماء فكري .ولكن الموضوعية التي مدارها على التحقق بالإنصاف الذي يأتي عن طريق النّأي بالنّفس والرّوح والفكر معا بعيدا عن مهاوي الشر والباطل والظلم .وعلى المؤرخ المسلم أن لا يتنكر لانتمائه وقيمه الحضارية تارة بدعوى العقلانية التي تعني الارتهان للحس والإعراض عن المعنى وتارة أخرى وتارة أخرى باسم العلمانية التي تحيل إلى عالم الشهادة ولا تقيم لعالم الغيب وزنا[1]. وهذا ما أشارّ إليه "طه عبد الرحمان" في حديثه عن أزمات النمط المعرفي الحديث الذي يقوم على أصلين أولهما:" لا أخلاق في العلم " ومقتضى هذا الأصل أن لكل واحد أو جماعة أن يضع بنيان نظريته بحسب ما شاء من القرارات المعرفية والاجراءات المنهجية ماعدا أن يجعل أن يجعل فيها مكانا للاعتبارات التي تصدر عن التّسليم بقيم معنوية مخصوصة عن العمل، ويتفرع عن هذا الأصل مبدآن مشهوران الأول مبدأ المشروعية والثاني مبدأ التساهل، ما يهمنا هنا هو مبدأ الموضوعية الذي أطلق عليه الباحث اسم "الموضوعية الجامدة"؛ ذلك لأنه يفضي إلى ضرورة استقلال النظر العلمي عن آثار الذّات الإنسانيّة، وهذا أمر لا يتحقق، إذ لابد لقيم الذات الدّاخلية أن تشترك مع مدركات النّظر الخارجيّة في تأسيس المعرفة تأسيسا موجها ومقوما لا تأسيسا مجردا[2].

ولكن هذه المرجعية التي يحاول الباحث "لخضر بولطيف" ترسيخها في ذهنية طلبته، لا تعني أبدا أن الهدف من قيام المدرسة القيمية هو حجب وجحد ما قدمته المدارس التّاريخية من قبلها رغم إيمانه الكامل بأن الإبداع ليس مصدره الغرب الذي يبقي

[1]لخضر بولطيف،" من المدرسة المادية إلى المدرسة القيمية ..مدرسة التّاريخ الاقتصادي والاجتماعي استيعاب وتجاوز وبشارة، ص 27.

[2]طه عبد الرحمان،سؤال الأخلاق مساهمة في النّقد الأخلاقي للحداثة الغربية، ص 92-93.

من الشّرق المتلقي والمتتبع والمقلد له[1]؛ بالعكس تماما، فالمدرسة القيمية تثمن الانجاز الذي قدمته مدرسة الحوليات مثلا ، وليس هذا لانفتاحها على منجز العلوم الإنسانيّة، ولكن بتوسيعها لمفهوم التاريخ ليشمل: تاريخ الظّواهر وتاريخ الأنساق، إلا أنها تحاول أن تتفادى مآلا كالتي آلت إليها مدرسة الحوليات، وذلك بعدم الانخراط فيما يمكن أن يسلب التّاريخ هويته، فيما يمكن أن يشتت ويبدد ويفتت التّاريخ[2].

وقد ذكر الباحث "يوسف القالي " الذي يعتبر من الرّعيل الأول لهذه المدرسة[3]. جملة من المميزات التي تجعل الباحث يفكر في الانضواء في إطار المدرسة القوية نذكر من بينها [4]:

– إعطاء الكلمة للتاريخ وفرض وجوده من خلال دراسة القيميات التي تتلقفها العلوم الأخرى .

– تناول دراسات طريفة الحيثيات رفيعة المبنيات بتعمق والابتعاد عن السطحية والاجترار.

نضيف إلى هذه المميزات، كون المدرسة القيمية تهدف إلى إعادة تفعيل المنتج الحضاري الإسلامي،فهي تنظر بعين الاحترام إلى منتجنا العربي، فهو منتج يستحق كل الاحترام والتّقدير، فمن العيب أن نعلم ما لدى الآخر ولا نعلم ما لدينا، سنكون أشبه بذلك الرجل الكثير السّفر لكنه يجهله بلاده وما تحتويه من خيرات ونعم .

---

[1] لخضر بولطيف،التّباينات بين مدرسة الحوليات والمدرسة القيميّة، محاضرة ألقيت يوم:–18–12–2019، على طلبة السّنة الثانية ماستر، مقياس :حلقات بحث، وهي مسجلة ومكتوبة .

[2]مداخلة لخضر بولطيف في جامعة بجاية،بعنوان :نواة مشروع المدرسة القيمية لدراسة التّاريخ، فيديو موجود على اليوتيب في قناة المؤرخ الجزائري .

[3]لخضر بولطيف،" من المدرسة المادية إلى المدرسة القيمية ".. ص32.

[4]يوسف القالي،تطور المنهج التّاريخيّ من التّفسير الإسلامي للتاريخ إلى المقاربة التّاريخية للمنظومات القيميّة، مذكرة ماستر، تحت إشراف: لخضر بولطيف، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، تخصص : تاريخ القرون الوسطى، جامعة المسيلة محمد بوضياف،السنة الدراسية :2016–2017 ،ص73–74.

-تطمح المدرسة إلى تجاوز حالة الجمود والاجترار التي آل إليها البحث التّاريخي في العقود الأخيرة[1].

وقد جعلت المدرسة القيمية من أولوياتها المعرفية والمنهجية صرف عنياتها إلى دراسة "المنظومات" و"المدونات" و"الخطابات"[2].

وقبل الخوض في الميادين السّالفة الذكر أرى أنه من الضروري تبيان مقومات المدرسة القيمية وذلك بعرض حقولها، يتفرع عن المدرسة القيمية فرعان رئيسيان، الأوب ميدان التّأليف والثني ميدان التحقيق، ثم ينقسم مجال التأليف إلى مجالين، مجال منهجي، وآخر معرفي، ينقسم المجال المعرفي بدوره إلى سياقيين، سياق استكشافي وسياق استشكالي .وكلأهما يتضمن العديد من الحقول[3]. ومن نافلة القول أن السياق الاستشكالي هو من سيرافقنا في هذا المبحث، وذلك راجع إلى أنه يمثل حجر الزّاوية في المدرسة القيمية، لما أنه يجعلنا في عمق "تاريخ القيم"، وينزع البحث في السياق الاستشكالي إلى طرح الأسئلة وتوليد المعاني، ما يجعل حاجة الباحث ماسة إلى الأنسة بالمدونة التّراثيّة والمراس بالمناهج[4].

من هذه المنطلقات يتسنى للباحث السؤال عن مدى راهنية قيام المدرسة القيمية كند للمدارس التّاريخية الغربية في دراسة المواضيع التاريخية؟ وهل يمكن للتاريخ إذا ما درسناه من هذه النّاحية أن يمدنا بمخرجات جديدة؟ الإجابة حتما سنجدها في أعمال رواد هذه

---

[1] لخضر بولطيف، المدرسة القيمية 1.
https://archive.org/details/boultif-hhh-yahoo-01-201906

[2] لخضر بولطيف، "من المدرسة المادية إلى المدرسة القيميّة.."، ص32.

[3] لخضر بولطيف،المدرسة القيمية 1.
https://archive.org/details/boultif-hhh-yahoo-01-201906

[4] لخضر بولطيف، المدرسة القيميّة 3.
https://archive.org/details/boultif-hhh-yahoo-03-201906

المدرسة من طلاب، فمن المعقول والمعروف أن المدرسة لن تصبح مدرسة بعمل واحد، وانما بتظافر الجهود في سياقها .

1- البحث في تاريخ المنظومات:

ينطلق البحث في مجال المنظومات في المدرسة القيمية من كونها ذات منطلقات ومرجعيات، تهدف إلى دراسة المنظومات الثّاويّة في أعماق اللاوعي الجمعي الإنساني والمؤطرة للفكر والسّلوك[1].

ونتمكن بفضلها من النفاذ لأحداث ووقائع لم تكن لتفصح عنها الدّراسات السابقة أوقد تعطي عنها إشارة مقتضبة جدا، وعند البحث في تاريخنا وعالم الأفكار والذهنيات ونحن متسلحين بالمنظومة القيميّة سنتمكن من فتح أفاق جديدة تمكننا من فهم حاضرنا واستشراف مستقبلنا[2].

ولقد صرح "لخضر بولطيف" أن البحث في المنظومة القيميّة للمجتمعات الوسيطيّة، يعد من الأبحاث المستجدة في مجال التّاريخ الإسلاميّ، وجعله في مقام النّظير لا البديل للأبحاث القائمة على المنهج المادي،التي طالما اختزلت النشاط البشري في زاوية ضيقة لا تكاد تخرج عن تحصيل لقمة العيش، وهذا بحد ذاته تحد كبير، فضلا عما يكتنف البحث في القيم من محاذير، أقلها الانزلاق إلى أحكام معيارية أخلاقية على الأحداث والوقائع التّاريخية، إذ تكاد الحدود تتداخل بين التّقويم التاريخي والمحاكمة التّاريخية[3].

---

[1] لخضر بولطيف،المدرسة القيمية .-03.
https://archive.org/details/boultif-hhh-yahoo-03-201906

[2] يوسف القالي،تطور المنهج التّاريخي من التّفسير الإسلامي للتاريخ إلى المقاربة التّاريخيّة للمنظومات القيمية،ص63.

[3] لخضر بولطيف،ملامح المنظومة القيميّة للمجتمع القلعي الحمادي -منطلقات الفكر وانماط السلوك -، ضمن كتاب :الفقه والتّاريخ في الغرب الإسلاميّ مقاربات منهجيّة،ط1،دار رؤية، مصر 2013،ص208.

وقد دعا إلى ضرورة إخضاع تاريخنا إلى دراسات معيارية، تهدف إلى استبطان حياة المجتمعات التي عاشت ذلك التاريخ الذي يمثل الاستجابة الصحيحة أو المغلوطة لمنظومة القيم[1].

تجدر الإشارة إلى أن ثلة من الباحثين من ذوي النباهة والعزيمة قد مضوا في هذا المجال وهم على التّوالي :الباحثة "زهوة أعزيبي"، والباحثة "إلهام قاتل" والباحث "نذير برزاق"، وكذا الباحثة " فضيلة هدار".

لقد تناولت أطروحة الباحثة " زهوة أعزيبي" المعنونة ب :"ملامح المنظومة القيميّة لمجتمع المغرب الأوسط خلال العصر الزّيانيّ (633-962هـ/1235-1554م) ؛ملامح المنظومة القيميّة للمجتمع الزّيانيّ من منظور جدل المثال والواقع، حيث يتألف المثال من منظومة القيم الإسلاميّة، وينهض الواقع المتمثل في سلوك مجتمع المغرب الأوسط، عصر الدّولة الزيانيّة كمترجم للمثال[2].

وقد انطلق البحث من إشكالية مفادها: كيف أثر الخطاب الدّينيّ الفقهيّ والصّوفيّ والعقديّ في صياغة وبلورة المنظومة القيميّة لمجتمع المغرب الأوسط خلال العصر الزّيانيّ؟

وقد كانت الباحثة تهدف إلى فهم القيم المرجعيّة الإسلاميّة في المجتمع الزّيانيّ من حيث أن هذه القيم هي الموجه للفرد،في تصرفاته قصد تثبيت أو نفي ما كان شائعا لدى الكثيرين، من أن الانفصال بين القيم الدّينيّة وبين مظاهر سلوك الأفراد هي من مميزات العصر الزّيانيّ[3]. وقد استدعى البحث مقاربة منهجيّة فاعلة تفصل بين ما هو من

---

[1] لخضر بولطيف، ملامح المنظومة القيمية للمجتمع القلعي الحمادي -منطلقات الفكر وانماط السّلوك-،ص229.

[2] زهوة أعزيبي،ملامح المنظومة القيميّة لمجتمع المغرب الأوسط خلال العصر الزّياني (633-962هـ/1235-1554م)، رسالة دكتوراة، تحت إشراف:الطاهر بونابي، تخصص التّاريخ الوسيط،السّنة الدّراسية 2017-2018،ص ب.

[3] زهوة أعزيبي، ملامح المنظومة القيميّة لمجتمع المغرب الأوسط خلال العصر الزّيانيّ(633-962هـ/1235-1554م)، ص خ-د.

ضرورات السّياسة في توظيف القيم والأخلاق وبين ما هو فعلا قيمة أخلاقية في شخصية السّلطان الزّياني، وتعكس جانبا من ذهنيته الدينية في التّماهي مع النّماذج الخاصة في دأبه على الطّاعات والتّأليف ونسخ القرآن وفي مواكبته لموجة ما تعتقده فيه العامة في علاقتها بالأولياء والعلماء وفعل الخيرات.[1]

ثم تأتي رسالة الباحثة "إلهام قاتل" المعنونة بـ:"النّخبة العالمة في المغرب الأوسط (ق7-9هـ/13-15م) منطلقات الفكر وأنماط السّلوك".

لقد بينت الباحثة الاتّجاه الذي يسير فيه بحثها، بحيث أوضحت أنه يندرج ضمن ما يسمى بالتأريخ للأفكار والذّهنيات، الذي يمكن تصنيفه ضمن الدّراسات التّاريخية التي تهتم بالكشف عن المضمر من شخصيات المغرب الإسلامي، وتحاول استقصاء الإشارات للتأسيس لبعض ملامح الذّهنية المغاربية في العصر الوسيط[2]. فالنخبة العالمة جزء من المجتمع، عاشت حياة اجتماعية عادية، وقامت بأدوار كبيرة الأهمية على المستوى الاجتماعي، وتنوعت هذه الأدوار بين التّكافل الاجتماعي، والمشاريع الاصلاحية، فتدخلت لإيجاد حلول لمشاكل النّاس الاقتصادية والاجتماعيّة،كما وفقت إلى جانب أفراد المجتمع، من أجل تجاوز الأزمات الاجتماعية وساهمت في القضاء على مختلف الانحرافات[3]. كما ويعد موضوع منطلقات الفكر وأنماط السلوك من المواضيع البحثية المعتمة والتي لم يتم سبر غورها بشكل عميق في الدراسات العربية، خاصة وان الموضوع يعد وبكل المقاييس موضوعا إشكاليا مفعما بالمطبات التي تمتزج فيها ندرة المتون النّصية، ولهذا يعد هذا

[1]زهوة أعزيبي،ملامح المنظومة القيميّة لمجتمع المغرب الأوسط خلال العصر الزّيانيّ(633-962هـ/1235-1554م) ،ص ت.

[2]الهام قاتل النّخبة العالمة في المغرب الأوسط (ق7-9هـ /13-15م)منطلقات الفكر وانماط السّلوك، رسالة دكتوراه، تحت إشراف: الطاهر بونابي، ص02.

[3]الهام قاتل، النخبة العالمة في المغرب الأوسط (ق7-9هـ/13-15م) منطلقات الفكر وانماط السلوك، ص 284.

الموضوع حسب الباحثة "الهام قاتل" من بين المواضيع التي تسهم عند فتحها في كشف الغموض الذي يلف بعض الجوانب من تاريخ الذهنيات[1].

وتكمن أهمية الموضوع في أنه يمثل محاولة للولوج إلى قلب المنظومة الفكرية للنخبة العالمة في المغرب الأوسط من القرن السابع إلى القرن التاسع للهجرة /13-15م،

وكذا تتبع الممارسات السّلوكيّة للعلماء على اعتبار أن لهم حياة خاصة كباقي البشر فهم يخطئون ويصيبون، ولهم نزعات ولهم أهواء.

وقد أرادت الباحثة في بحثها هذا الظفر بمنهج شمولي وتكاملي لفهم المنطلقات الفكريّة والممارسات السلوكيّة للنخبة العالمة بالمغرب الأوسط من القرن السابع إلى القرن التّاسع للهجرة /13-15م[2].

وتعد أيضا رسالة الباحث "نذير برزاق" حلقة من حلقات البحث في مجال المنظومات، والتي كان عنوانها: "ملامح المنظومة الفكريّة لمجتمع المغرب الأوسط خلال القرنين 8و9هـ /13و15م. وقد بيّن صاحبها جدية طرحه، فولوج المواضيع البكر على حسب تعبيره هي من تحرك لدى الباحثين قناعات معرفية ومنهجية، ما يجعلهم يقبلون عليها بهواجس وتريث، وجاءت دراسته هذه لاستكمال إبراز المساهمة الحضارية لمجتمع المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط وكشف حركيته في التّاريخ، وبالتالي فالباحث يود إضاءة زوايا معتمة في محور المنظومة الفكريّة[3].

وقد أوضح قبل هذا طبيعة موضوعه الذي يندرج ضمن التاريخ الثّقافي والفكري، والديني خلال أواخر العصر الوسيط، أين ينصب حول معالم المنظومة الفكرية لمجتمع المغرب الأوسط، بما تتضمنه من الجوانب الفقهية والعقديّة والكلامية والصّوفيّة التي

---

[1] الهام قاتل،النخبة العالمة في المغرب الأوسط (ق7-9هـ/13-15م) منطلقات الفكر وانماط السلوك، ص 02.

[2] الهام قاتل، النخبة العالمة في المغرب الأوسط (قق7-9هـ/13-15م)منطلقات الفكر وانماط السلوك، ص05-06.

[3] نذير برزاق،ملامح المنظومة الفكرية لمجتمع المغرب الأوسط خلال القرنين8و9هـ/14و15م، رسالة دكتوراه، تحت إشراف:الطاهر بونابي، السنة الجامعية 2017-2018.، ص ت.

قدمتها النخبة في الفقه المالكي والكلام الأشعري والتّصوف الجنيدي. وهذا بغرض توجيه الحياة الدينية والسياسيّة والاجتماعيّة في الفترة الزّمنيّة المحددة (8 و9هـ/14 و15م) .

وقد كان الهدف المبرمج هذه الدراسة هو ابراز الأدوار المتكاملة بين المعالم المشكلة للمنظومة وتتبع رسمها وترسيمها وتجلياتها في الحياتين الاجتماعية والسّياسية[1].

فالمنظومة تعد تركيبا فكريا يهدف إلى أحداث نسق متكامل بين عناصر جزئية، بغية تقديم قراءة متكاملة تنفذ إلى جوهر الحقيقة الماثلة في الذهن والفكر المنعكسة على السّلوك والقيم[2].

وقد جاء اهتمام الباحث بالمنظومة الفكرية، لما تمثله من أولوية في تراتبيّة المنظومات المتكاملة للأمم، باعتبارها تعرض مقدمات وتصورات جديدة وواضحة يتم بها تشخيص الأوضاع والأزمات الظاهرة والباطنة الماديّة والمعنوية بإدراك علتها من صحتها والمساهمة في تقويمها ثم بثها ومتابعتها في الذهنيات والممارسات لأن فيها انتظام وسلامة للفكر واستقامة للقيم[3].

وقد صارح الباحث "نذير برزاق" أن موضوعه يمثل المحور الأكثر تأثيرا على ذهنية وسلوك مجتمع المغرب الأوسط وتداعياته على سلوكياته، فمجال المنظومات الفكرية هو المجال الذي يسمح بضبط منطلقات الفكر لديهم .

كما وقد بيّن الباحث ذاته أنه لا يمكن استنباط قاعدة السّيرورة الحضاريّة دون معرفة الوصفات الفكرية لإنسان المرحلة،كما يعب استنباط الفكر الأصيل من الوقائع الفكريّة المكونة من المتناقضات، وقصور النّظر في استيعاب التكامل المعرفي يستنبط من

[1] نذير برزاق،ملامح المنظومة الفكرية لمجتمع المغرب الأوسط خلال القرنين 8و9هـ/14و15م، ص ب.

[2] نذير برزاق،ملامح المنظومة الفكرية لمجتمع المغرب الأوسط خلال القرنين 8و9هـ/14و15م، ص ت.

[3] نذير برزاق، ملامح المنظومة الفكرية لمجتمع المغرب الأوسط خلال القرنين 8و9هـ/14و15م، ص ج.

مصدرها الذي يكون عاما وشاملا للمبادئ الأصلية التي لا مراء فيها وهذا بالعودة إلى الأصول المبثوثة في مختلف العلوم التي تشهدها شبكة تمثل منظومة[1].

نضيف إلى حلقة البحث في المنظومات رسالة الباحثة "فضيلة هدار" المعنونة بـ: "التّوظيف السّياسيّ للمرجعية الدّينيّة وأثره في الغرب الإسلامي ق2-7هـ/8-13م" وهو مشروع دكتوراه لم يبق له الكثير ليناقش.

2- البحث في تاريخ المدونات:

يزخر التّاريخ الإسلامي بالعديد من المدونات التاريخيّة[2] التي تعد واحدة من الأسس التي يقوم عليها وهي بمثابة الإرث الحضاري الخالد في جوهر الحضارة الإسلامية.

وقد صرح الباحث "لخضر بولطيف" بأن البحث في مجال المدونات يعتمد أساسا على النصوص والأنساق، انطلاقا من مقاربة المدونات الموارية والنصوص الغميسة، والتي تفصح عن قدر ضئيل من مكنوناتها[3].

لقد انضوى داخل هذا الفلك العلمي، مجموعة من الباحثين الذين خاضوا مهمة البحث في المدونات التّاريخية الإسلامية لم لها من قيمة علمية وتاريخية في كتابة التاريخ الإسلامي.

وقد رأينا أن نظهر اهتمام الباحثين الجدد في هذا المضمار العلمي الجاد من خلال رصد الأبحاث التي أنجزت طيلة السنوات العشرة الأخيرة في هذا المجال تحت رعاية الباحث " لخضر بولطيف".

بداية سننطلق من الموسم الدراسي 2012-2013[1]، الذي تم فيها إنجار بحث من طرف الباحثة "الهام قاتل" تحت عنوان: "النّص الخلدونيّ زوايا النّظر ومستويات القراءة".

---

[1] نذير برزاق، ملامح المنظومة الفكرية لمجتمع المغرب الأوسط خلال القرنين 8و9هـ/14و15م، ص ح.

[2] نذكر على سبيل المثال :المدونة الكبرى للإمام مالك بن أنس الأصبحي (ت179هـ)./-مدونة الفقه المالكي وادلته .

[3] لخضر بولطيف،المدرسة القيمية -03.

https://archive.org/details/boultif-hhh-yahoo-03-201906

الذي وضحت فيه الباحثة أهمية الكتابات الخلدونية وذلك لم تمثله من ورشة فكرية يتواصل بها عمل الباحثين والأكاديميين. وقد ذكرت في جملة اعتباراتها التي جعلتها تخوض في هذا البحث أن: "النص الخلدوني من أكثر النّصوص التّراثيّة التي مثلت مجالا خصبا للتأويل والقراءات الفكريّة والإيديولوجيّة المختلفة"[2].

في عام 2013-2014 أنجزت الباحثة "سجية بوساق" بحثها المعنون بـ: "العقل الفقهي في التّاريخ -مقاربة لمسلك الفقيه في الفهم والتّنزيل خلال العصر المرابطيّ-"، وتكمن أهمية هذه الدّراسة في مزاوجتها بين الفقه كقانون ضابط التّاريخ محل اشتغال

---

[1] انطلقنا من هذه السّنة نظرا إلى أن ما أنجز قبل هذه السّنة كان في المجال الاستكشافي، الذي يتكون من خمسة مجالات، سنذكر أهم الدراسات التي كانت قبل الموسم الدراسي 2012-2013.

1- حقل السّياسة والتّدبير : 2007-2008م بحث معنون ب :الفقه والمحنه في في تاريخ المغرب الوسيط -التّجليات والتّداعيات-

2-حقل الاجتماع والعمران : 2007-2008 بحث معنون ب :حضور المرأة في المجتمع المغربي -رصد وتقويم- - 2008-2009 بحث معنون ب:أثنولوجية البربر./2011-2012 بحث معنون ب :جواري مجتمع الخاصة بالأندلس الأموية (138-422هـ/755-1030م).

=3-حقل الفكر والعرفان :2006-2007 بحث :الصراع المذهبيّ السّنيّ الشّيعي ببلاد المغرب على عهد الدّولة الفاطمية ./2007-2008بحث:حقيقة المذهب التّومرتيّ الموحديّ (مقاربة تاريخيّة وفكرية)/2008-2009 بحثين :- الفقهاء والمتصوفة في بلاد المغرب الإسلامي بين الاتفاق والافتراق على عهدي المرابطين والموحدين (ق6-7هـ/م12-13م).-المصادرات الفكرية في االغرب الإسلاميّ على عهد المرابطين والموحدين من إحراق الإحياء إلى إحراق المدونة (ق5-7هـ/11-13م). وفي الموسم الدراسي: 2011-2012م بحثين: الإجازة العلميّة بالمغرب الأوسط (ق7-9هـ/ 13-15م)؛ وأسرة آل المقري بالمغرب الأوسط (8-10هـ/14-16م) -دراسة في عطائها العلمي وحضورها الاجتماعي-.

أما الحقلين الباقيين : (حقل الاقتصاد والمعاش وحقل التّربية والسّلوك) فإننا لم نتوفر على دراسات في إطارهما قبل الموسم الدراسي: 2012-2013. ومادون ذلك فقد توفرت فيهما العديد من الدراسات. للاستزادة أنظر: (لخضر بولطيف، محاضرة المدرسة القيمية -02-)

https://archive.org/details/boultif-hhh-yahoo-02-201906

[2] إلهام قاتل،النّصّ الخلدونيّ زوايا النّظر ومستويات القراءة،مذكرة ماستر،تحت إشراف:الطاهر بونابي ولخضر بولطيف، ص1-2.

الفقيه وتنزيله، فقط أثبتت المواقف الفقهية أن النّص لا يعمل بمعزل عن حركة الواقع التاريخي[1].

في نفس السّنة أقدمت الباحثة "حوريّة درفولي" على الخوض في مجال الأنا والآخر من خلال دراسة تتسم بالجدية ومحاولة للتجديد، تحت عنوان: "صورة الأنا والآخر في كتب الرّحلة –العصر الوسيط– وهو موضوع يندرج ضمن مجال الأفكار والذّهنيات وقد بينت فيه الباحثة أهمية كتب الرحلة هذا المصدر الدّفين في كتابة التّراث الإسلاميّ[2].

وفي سنة 2014–2015 ذهبت الباحثتين: "حليمة بوصبع" و"حليمة يحياوي" إلى البحث في دراسة كان عنوانها: "جدل المتعالي والتّاريخيّ في مدونة التّفسير الإسلاميّ من القرطبيّ إلى الطّبريّ." وفيه تعرضتا إلى موضوع التّراث وضرورة تجديده، على أساس أنه من المواضيع المستجدة والحاضرة بقوة في انشغالات الفكر الإسلامي. وتعاملات مع المدونة التّفسيرية كونها تمثل جوهر البحث، فتطرقوا إلى أفكار أصحاب التّمشي الحداثي والإتهامات الموجهة للتراث عموما وللمدونة التّفسيرية خصوصا، في فصلهم التأسيسي الذي جاء تحت عنوان: التّفاسير.. فهم.. تراث.. تجديد[3].

كما وقد أقدمت في ذات الموسم الباحثة "فهيمة بوشيبي" ومن معها على دراسة كان عنوانها: "المدونة السّياسيّة التراثية في الغرب الإسلامي بين نظر الفقيه وحاجة السّلطان"، وقد صرفت الباحثات فيه عنايتهن بدراسة المدونة السّياسية التراثية في الغرب الإسلامي

---

[1] سجية بوساق، العقل الفقهي في التاريخ– مقاربة لمسلك الفقيه في الفهم والتنزيل خلال العصر المرابطي–، مذكرة ماستر تحت إشراف:لخضر بولطيف،ص ب.

[2] حورية درفولي، صورة الأنا والآخر في كتب الرّحلة –العصر الوسيط–، مذكرة ماستر، تحت إشراف: لخضر بولطيف، ص ب.

[3] حليمة بوصبع وحليمة يحياوي، جدل المتعالي والتّاريخي في مدونة التّفسير الإسلامي من القرطبي إلى الطبري، مذكرة ماستر، تحت إشراف: لخضر بولطيف، ص02–03.

مع التركيز على ثنائيّة صنعت الجدل داخل هذا التّراث بين الطرفين المنتجين لأدبياته (الفقيه والسلطان)[1].

وفي الموسم الدّراسي 2015-2016 قامت الباحثة النّبيهة "سليمة فرج" بالغوص في مجال المدونات لتعطي صورة أخرى خلاف النظرة المتوارثة، فكانت دراستها المعنونه بـ: "الإباضية والآخر في تاريخ المغرب رؤيّة من الدّاخل"، بمثابة محاولة جادة لدراسة لرسم الطريق في هذا المجال، حيث ترى الباحثة، أن تمظهرات الآخر في سياقه المذهبي والكشف عن صورته واستجلاء مضامينها يعدمن الموضوعات التي لم يقف عندها الباحثون وقفة جادة، لكونها تكتنز الكثير من عناصر الواقع، وتفتح بابا للنقاش المستديم، الذي يكون في الكثير من الأحيان عميقا، ما لم يتخلص من بطانته الايديولوجية والوجدانية التي تضفي عليه طابع العام المطلق وتنزع عنه طابع النسبية[2]. تشير الباحثة ذاتها أن مدونتنا التراثية تحتفظ بإمكانات غير محدودة للكشف عن الرؤى والأحكام والتّصورات لدى كل فرقة من الفرق الإسلامية اتّجاه غيرها، سيما وان طرف دائما ما يتحدث عن الآخر عندما لا يحبه، أو يعتبره عدوا له أو يخافه لأن الطرف الآخر يعتبره عدوا له. وقد تناولت الباحثة في بحثها علاقة الإباضيّة بالآخر ممن انضوى تحت لواء الإسلام انطلاقا من التّراث الإباضي، المتغاضى عنه والمدفوع به في غياهب النسيان حتى لا تطاله الأيدي لتكشف عن مخرجاته[3].

وفي الموسم الموالي 2016-2017، تقدمت الباحثة "عائشة بن صفا" لقسم التّاريخ بمذكرتها تحت عنوان: "سؤال الانصاف في المدونة التاريخية الغربية: المدونة الفرنسيّة مجالا /الحالة الموحديّة مثالا". وقد قامت فيه بتسليط الأضواء الكاشفة على المدونة

---

[1] فهيمة بوشيبي واخرون، المدونة السّياسيّة التراثية في الغرب الإسلاميين نظر الفقيه وحاجة السّلطان، مذكرة ماستر، تحت إشراف: لخضر بولطيف، ص02.

[2] سليمة فرج،الإباضيّة والآخر في تاريخ المغرب- رؤية من الداخل -، مذكرة ماستر، تحت إشراف :لخضر بولطيف، ص02.

[3] سليمة فرج،الإباضيّة والآخر في تاريخ المغرب- رؤية من الداخل - ،ص03.

الغربية، الفرنسيّة على وجه التّحديد، كونها مجالا خصبا، رغم عدم توافر العديد من العناوين بالجزائر، إلا أنها قامت بالتعامل والتّعاطي مع هذه المدونة وذلك بالانتقال من العام إلى الخاص؛ وتقول الباحثة بأن أهمية دراستها تكمن في مقاربة واستنطاق النّصوص الفرنسيّة لاستجلاء الملامح الخفية في معالجاتهم[1].

وكذلك الباحثة "أحلام بزاف" خاضت التجربة في موضوع المدونات مجالا للبحث، بدراسة جادة كان عنوانها: "قضية فدك في أفق المظلومية الشيعية التّاريخ والايديولوجيا"، فقضية فدك يمتزج فيها الدّين والسّياسة وتستخدم التّاريخ لغرض الايديولوجيا، فهناك طرحان أو بالأحرى تصوران، شيعي وسني حول الموضوع، وكل فريق يرغب في الانتصار لموقفه مع محاولة المصادرة على الآخر[2].

ويعد الباحث الجاد "محمد شبيرة" من بين الباحثين الذين خاضوا البحث في مجال المدونات وذلك كان في الموسم الدراسي 2017-2018، في دراسة عنوانها: "امتدادات المأثور الحديثي الموضوع في مسارب الفكر والسلوك في مجتمع الغرب الإسلاميّ".حيث يرى أن الأحاديث الموضوعة باتت جزءا من ثقافة مجتمع الغرب الإسلاميّ، وهي مبثوثة في بطون كتب مدونته التّراثيّة، وتتداولها الألسنة في الحياة اليوميّة، ويعتبر أهمية موضوعه تكمن في معرفة كيف تسربت هذه السموم إلى المجال التّداولي لمجتمع الغرب الإسلامي، تاركة وراءها تأثيرات في مخياله الجمعي، وكذا لمحاولة وقوفه على نشاط العلماء في مواجهة هذه الظّاهرة الخطيرة على الثّقافة الإسلاميّة[3].

---

[1] عائشة بن صفا،سؤال الإنصاف في المدونة التّاريخيّة الغربيّة :المدونة الفرنسية مجال /الحالة الموحدية مجالا، مذكرة ماستر، تحت إشراف: لخضر بولطيف، ص02-03.

[2] أحلام بزاف،قضية فدك في أفق المظلوميّة الشيعيّة التّاريخ والايديولوجيا، مذكرة ماستر، تحت إشراف: لخضر بولطيف، ص 02.

[3] محمد شبيرة، امتدادات المأثور الحديثي الموضوع في مسارب الفكر والسّلوك في مجتمع المغرب الإسلامي، مذكرة ماستر، تحت إشراف : لخضر بولطيف، ص 02.

كما وقد كان للباحثة "رزيقة بلحوت" في ذات الموسم الدراسي بحث معنون بـ: "خطاب الرؤى بين الأمراء والأولياء في الغرب الإسلامي "وهو بحث ينتمي إلى مجال المخيال، وقد تم تحديد الإطار الزّمانيّ الخاص بالعصر المرابطي والوحدي، ذلك لأنه حسب ما صرحت الباحثة فإن هذين العصرين امتازت أحداثهما الكبرى قبيل حدوثها برؤية منامات مبشرة ومنذرة، لذلك كان لخطاب الرؤى دور في تولية المشاريع السّياسيّة والرّسمية للدولة[1].

وفي العام الماضي أي ما يقابل الموسم الدّراسيّ 2018-2019م، خاضت الباحثة "زينب لكبير" تجربة البحث في مجال المدونات في دراستها المعنونة بـ: "مركزية فعل الخير في المدونة التّراثيّة للغرب الإسلاميّ دراسة مقارنة بين المدونتين الصوفيّة والفقهيّة"، ومن الواضح أن الباحثة قد قامت بالاشتغال على المدونتين الفقهية والصّوفية، لما تمثلانه من إطار مرجعي موجه للسلوك في المجتمع، نظر لما يحظى به الفقهاء والصوفية من مكانة مرموقة في الأوساط الشعبيّة[2]. وقد صرحت الباحثة بأن الخطاب الدّيني في المدونة التّراثيّة في الغرب الإسلاميّ تتشكل ملامحه من الشّرعية الدينيّة التي تقوم على مرجعية قرآنيّة ونبويّة، وقد أشارت إلى أن المتتبع لهذا الخطاب في المدونة التراثيّة فيما يخص فعل الخير، يجد أنه على الرغم من انفتاحه على عطاء التّجربة الإنسانيّة في الإعلاء من شأن الخيرية إلا أنه يحرص بشكل لافت على توكيد الصّلة بإطاره المرجعيّ التّأسيسي،ممثلا في الآيات القرآنيّة والأحاديث النبويّة، والتي تخاطب ضمير الإنسان

[1] رزيقة بلحوت، خطاب الرؤى بين الأمراء والأولياء في الغرب الإسلامي، مذكرة ماستر، تحت إشراف :لخضر بولطيف، ص 02-03.

[2] زينب لكبير،مركزيّة فعل الخير في المدونة التّراثيّة للغرب الإسلامي دراسة مقارنة بين المدونتين الصوفية والفقهية، مذكرة ماستر، تحت إشراف :لخضر بولطيف،ص03.

وتستشير كوامن الخير في نفسه فينزع إلى التّخلق بأخلاق السّماحة والإيثار، وينأى عن الارتهان لمشاعر الشّح والأثرة[1].

تجدر الإشارة إلى أنه تم الخوض في هذا المجال من طرف بعض الباحثين، ولكن الاشراف العام على العمل لم يكن من طرف الأستاذ الباحث "لخضر بولطيف" إلا أن المواضيع كانت من اقتراحه، نذكر من بين هذه الأعمال:

-بحث الطالبة: "نهلة معوش"، بعنوان: "أثر مدونة التّفسير في تشكيل المخيال الجمعي في الغرب الإسلامي -المحرر لابن عطية أنموذجا-".

-بحث الطالبة: "فتيحة مقدود"، بعنوان: "جدوى المدونة المشرقية في كتابة تاريخ الغرب الإسلاميّ -دولة الموحدين نموذجا-".

-بحث الطالبة: "صباح ذويب"، بعنوان: "صورة المرأة بين المدونة الفلسفيّة اليونانيّة والمدونة الفقهيّة الإسلاميّة".

-بحث الطالبة: "سمية دهيم"، بعنوان: "صورة المرأة في المدونة الأدبيّة بالغرب الإسلاميّ".

ومن بين الأبحاث التي هي في طور الإنجاز للموسم الدّراسي: 2019-2020، نجد الأبحاث الآتية:

-"النّقد السّياسي للسلطة الحاكمة في المدونة التاريخية الوسيطيّة.. دولة الموحدين نموذجا"، للطالب: "محمد مهية بن يونس".

-"صحيح البخاري في الغرب الإسلامي.. جدل الخطاب والتّلقي بين عصرين"، للطالبة: "سمية مسعودي".

[1] زينب لكبير،مركزيّة فعل الخير في المدونة التّراثيّة للغرب الإسلامي دراسة مقارنة بين المدونتين الصوفية والفقهية،ص02.

-"المتخيل الجمعي والنّصّ المنقبيّ في المدونة الصوفيّة للغرب الإسلامي.. تبادل تأثير وتداخل لأدوار"، للطالبة: "خديجة بن نعجة".

-"متون وحواش.. انزياح المعنى في مدونة الشّروح العقديّة المالكيّة بالغرب الإسلاميّ"، للطالبة: "فردوس مغني".

3- البحث في تاريخ الخطابات:

تتبادل الخطابات عناصر التأثير والتّأثر بين بعضها البعض، ويحدث ذلك مهما تباعدت منطلقاتها الفكريّة وتناقضت آلياتها التّعبيريّة والأسلوبيّة ؛وتتبادل الخطابات من خلال تصارعها مع بعضها البعض استعارة العناصر التي تساعدها على إعادة تكييف بنيتها وتنشيط خصائصها وتحديد بعض منطلقاتها، لكي تستطيع مواجهة نقيضها والاستمرار في تحدي مشروعيته وهذا أمر طبيعي، وهذا أمر طبيعي فالخطابات في سياق حضاري تاريخي بعينه تتشارك نفس الاشكالية وتواجه نفس التّحديات .ولا شك أن كل خطاب يحاول أن يمارس سلطة ما فهذا جزء أصيل في بنية الخطاب[1].

كما لا يفوتنا التّنويه أن لكل خطاب ألياته التي يعتمد عليها وقد تفضل أحد الباحثين بذكر أليات الخطاب الديني، نذكرها هنا على سبيل التوضيح :[2]

-التّوحيد بين الفكر والدين وإلغاء المسافة بين الذّات والموضوع .

-تفسير الظواهر كلها بردها جميعا إلى مبدأ أو علة أولى، تستوي في ذلك الظواهر الاجتماعيّة والطّبيعيّة .

-الاعتماد على سلطة "السّلف" أو "التّراث" وبعد ذلك تحويل النّصوص التّراثية -وهي نصوص ثانوية- إلى نصوص أولية تتمتع بقدر هائل من القداسة لا تقل في الكثير من الأحوال عن النّصوص الأصليّة.

---

[1] نصر حامد أبوزيد،الخطاب والتّأويل،ط3،المركز الثّقافي العربيّ،المغرب،لبنان،2008،ص05.

[2] نصر حامد أبوزيد،نقد الخطاب الديني،ط2، دار سينا،مصر 1994، ص67-68.

-اليقين الذهني والحسم الفكري "القطعي" ورفض أي خلاف فكري من ثم -إلا إذا كان في الفروع والتّفاصيل دون الأسس والأصول-.

-إهدار البعد التّاريخيّ وتجاهله ويتجلى هذا في البكاء على الماضي الجميل، يستوي في ذلك العصر الذّهبي للخلافة الراشدة، وعصر الخلافة العثمانيّة.

كان هذا بمثابة إحاطة صغيرة للإعلام عن هذا الباب الذي جعله الرائد الأول للمدرسة القيمية، الأستاذ الباحث "لخضر بولطيف"، ركيزة من ركائز البحث في المجال القيمي، فصرح بأن الخطابات تمثل سلطة وتأثيرا، ويبدو أن الغوص في هذا المجال يتطلب من الباحث الالمام بالقدرة على مقاربة الخطابات المخاتلة الواقعة بين دوائر متزاحمة من اللامعبر عنه واللامفكر فيه[1] .

وقد لاقى هذا المجال استحسانا من طرف الطلبة الباحثين في تخصص التاريخ الإسلامي .

من الضروري أن ننوه إلى أن هنالك بعض الأعمال التي درست وخاضت في ميدان البحث في المدونات، سيكون لها حضور في مجال البحث في الخطابات.

فبداية نستكمل ما جاء في خضم تلك الأبحاث التي خاضت البحث في كلا الميدنين البحث في المدونات والبحث في الخطابات – ، ونسترسل حديثنا، بمذكرة الباحثة " الهام قاتل" " النّصّ الخلدوني – زوايا النظر ومستويات القراءة – تقول الباحثة في هذا الشأن أنها ترغب في :"إلقاء الضوء على بعض الزّوايا الغامضة في النّص الخلدوني، وذلك بمراعاة مستويات الخطاب فيه،إذ لا يصح -بحال- الاكتفاء في مقاربته بنوع واح من القراءة وزاوية واحدة للنظر."وكانت قد طرحت سؤالا جوهريا متمثلا في :"ماهي مستويات الخطاب في النّص الخلدوني؟"[2]. ويبدو أن الباحثة لم تستغن عن الخوض في

---

[1] لخضر بولطيف، محاضرة المدرسة القيميّة 03.
https://archive.org/details/boultif-hhh-yahoo-03-201906

[2] الهام قاتل،النّصّ الخلدوني -زوايا النّظر ومستويات القراءة -، ص 02-03.

مجال الخطابات في رسالتها للدكتوراة التي كانت لنا وقفة معها في مجال البحث في المنظومات،حيث أنها في بحثها حول " النخبة العالمة في المغرب الأوسط (ق7-9هـ/13-15م) -منطلقات الفكر وأنماط السلوك-. صرحت في جملة اعتباراتها التي جعلتها تخوض في البحث هوضرورة البحث في جدلية العلاقة بين النّخبة العالمة والسلطة من جهة وبين النخبة العالمة والمجتمع من جهة ثانية، مع رصد التغيرات في العلاقة الثّقافيّة بين النخبة العالمة والسّلطة والمجتمع[1]. وقد حاولت دراسة هذا الاعتبار في الباب الثاني من بحثها الذي تتبع "أنماط السلوك عند النخبة العالمة بالمغرب الأوسط "، حيث حاولت الباحثة استنباطها من خلال علائقها مع السّلطة من جهة والمجتمع من جهة أخرى، فجاء الحديث في الفصل الأول من هذا الباب على العلاقة الجدلية بين النخبة العالمة والسلطة، أشارت فيه الباحثة إلى جدلية الولاء والبراء بين الطرفين بحيث تم عرض كل شطر على حدة، فالشطر الأول تناول أهم المواقف للعلماء الذين تبنوا موقف الانضمام للمجلس السلطوي، وقد استعرضت هذا الموقف ووقفت على مبررات الانضمام، مع الاشارة إلى مظاهر مكانة العلماء لدى السلطة الحاكمة، واما الشّطر الثّاني فقد تناولت فيه أهم مواقف العلماء الذين رفضوا التّعامل مع السلطة ومظاهر ومبررات رفضهم.

أما الفصل الثاني من ذات الباب فقد تمت فيه معالجة علاقة النخبة العالمة بالمجتمع[2].

ومن الباحثين الذين زاوجوا أيضا بين البحث في المدونات والخطابات نجد الباحثة "سجية بوساق " وبحثها المعنون ب:" العقل الفقهي في التّاريخ -مقاربة لمسلك الفقيه في الفهم والتنزيل-، حيث أرادت الباحثة معالجة الإشكال المتعلق بجدل العقل بين الفقه

[1] الهام قاتل، النّخبة العالمة في المغرب الأوسط (ق7-9هـ /13-15 م) -منطلقات الفكر وأنماط السلوك- ، ص 05.

[22] الهام قاتل، النّخبة العالمة في المغرب الأوسط (ق7-9هـ /13-15 م) -منطلقات الفكر وانماط السلوك- ، ص 08-09.

والتّاريخ، حيث يتجاذب طرفاه النّصّ الواقع ومدى الاستجابة التي سجلها . كما وقد طرحت مجموعة من الإشكالات كان من بينها :"هل كان الشعور الفقهي دائم الخضوع لسلطة النّص، رهين القراءات الحرفيّة أم أنه استطاع الانفلات من سياج النّصوص؟"[1]، وقد رأت الباحثة أن السبيل لفهم المجتمع الإسلامي الوسيط مرتبط بمدى فهمنا لتلك الأسئلة (النوازل) وتفاعل المواقف الفقهية معها، على اعتبار أن النازلة وليدة بيئة معينة[2].

ومع الباحثة "أحلام بزاف"، رأينا كيف أن التّصوران الشيعي والسّني راحا يظهران الانتصار لموقفهما في بحثها حول "قضية فدك "، وقد تناولت الباحثة بحثها في فصلين، خصصت الفصل الأول لفدك في إطارها التّاريخي حيث تتبعت فيه فدك من خلال التّصور الشيعي الذي قسمته إلى مطلبين مرحلة الروح ومرحلة العقل، وفي الفصل الثاني سلطت الضوء على الجانب الايديولوجي لقسية فدك فاحتوى الفصل على مبحثين الأول للإيديولوجيا الشّيعيّة والثاني للإيديولوجيا السّنيّة[3].

ويعد موضوع خطاب الرؤى الذي تطرقنا له سابقا في البحث في المدونات للباحثة "رزيقة بلحوت" من البحوث التي اشتغلت في الخطابات، فمن بين الأسباب التي جعلت الباحثة تخوض في بحثها نجد رغبتها في:- تسليط الضوء على موضوع خطاب الرؤى والأحلام باعتباره من المواضيع المستجدة الذي يقع ضمن دائرة اللامفكر فيه.

-الوقوف على مدى حضور خطاب المرائي والأحلام في حقل الممارسة السّياسية الوسيطيّة .

-محاولة الوقوف على كيفية استغلال الصوفي لخطاب الرؤى للتعاطي مع الأزمات السياسيّة والاجتماعيّة.

---

[1] سجيّة بوساق،العقل الفقهي في التاريخ -مقاربة لمسلك الفقيه في الفهم والتنزيل-،ص ج.

[2] سجية بوساق،العقل الفقهيّ في التّاريخ -مقاربة لمسلك الفقيه في الفهم والتّنزيل- ،ص ب.

[3] أحلام بزاف،قضية فدك في أفق المظلوميّة الشيعيّة التاريخ والايديولوجية، ص 04-05.

وعليه فإن البحث يحاور مسألة خطاب الرؤى جول مرجعيته وكيفيّة حضوره في المتخيل السّياسيّ والصّوفيّ ومدى فاعليته، وقد صاغت بعض الاشكالات لبحثها سنقف عند بعضها :-كيف جرى توظيف المرائي والمنامات كخطاب مرموز عند كل الأمراء والأولياء في الغرب الإسلامي؟

-ما مدى فاعلية الخطاب المرموز عند الأمراء في بلورة المشاريع السّياسيّة واضفاء الصبغة الشرعيّة عليها؟ أو بعبارة أخرى هل كان لخطاب الرؤى عند الأمراء دور في التّحكم في السّياق التّاريخي للأحداث؟ وما هي المرامي والمقاصد التي كان يصبوا إليها رجال الصّوفيّة في لجوئهم إلى خطاب الرؤى والمنامات ؟[1].

وقد حاولت الباحثة في الفصل الثّاني من البحث أن تقف على مدى حضور خطاب الرؤى والمنامات في التّاريخ السّياسيّ والذي كان عنوانه :"خطاب الرؤى في التاريخ السلطاني-الموضوعات والغايات- ؛ وكذلك الفصل الثالث بعنوان:" خطاب الرؤى في التّاريخ الولائي -الموضوعات والغايات-الذي كان يقابل الفصل الثاني ووقفت فيه الباحثة على جملة القضايا مما له صلة بالحضور الصّوفي في الحياة السّياسيّة والاجتماعيّة كسلطة موازية لسلطة الأمراء ومنافسة لسلطة الفقهاء[2].

نجد في سياق البحث في الخطابات أيضا بحثا بعنوان:"الدين والمواطنة في الغرب الإسلامي بين النّظر الفقهي والاعتبار السلطانيّ" للباحثة "أمال صّغيري". تشير الباحثة في هذا البحث إلى أن أهمية دراسة الذميين كمواطنين في دار الإسلام تكمن في الوقوف على واقع أهل الذمة كمواطنين في ظل دولة الإسلام، في سياق التّجاذب الحاصل بين المقررات الفقهيّة التي تنحو منحى خاصا يؤكد ضرورة تميزهم، في الحقوق والواجبات عن سائر رعايا الدولة؛ وبين الاعتبارات السياسيّة التي يبدو أنه كان لها منطقها الخاص وحساباتها الظرفية مما كان يملي عليها التّضحيّة أو الالتزام بمقررات الفقهاء بحسب

[1] رزيقة بلحوت، خطاب الرؤى بين الأمراء والأولياء في الغرب الإسلامي، ص 04.

[2] رزيقة بلحوت، خطاب الرؤى بين الأمراء والأولياء في الغرب الإسلامي، ص 06.

الحاجة والظروف القائمة[1]. ورأيت أنه من الضروري ان أنقل أحد الأسئلة التي تضمنها البحث، كي تتضح الرؤيّة أكثر، فكان من ضمن الأسئلة التي طرحتها الباحثة: ما هي الأسس التي يستند إليها الخطاب الفقهيّ في التّأكيد على ضرورة تمييز أهل الذّمة، وهل يمكن عد مثل تلك الوضعيّة كمواطنة من الدّرجة الثانيّة؟.[2]

كما وقد طرق الباحث "شعيب زاوي" هذا المجال ببحث كان عنوانه:"جدل الفقه والتّصوف في المدرسة المدينيّة بالغرب الإسلاميّ (ق06-08 هـ/12-14 م)".

نجد أيضا في هذا السياق بحث الباحثتين:"سعديّة معيزة" و" لبنى شريف" الموسوم بـ: "الخطاب التّاريخيّ بالغرب الإسلاميّ في سياق التّجاذب بين سلطتي المنبر والبلاط – عصر الموحدين– "

إضافة إلى بحث الباحث "مزوزيّة حداد" المعنون بـ: "أثر الدّعاية المذهبيّة على توجهات المدونة التّاريخيّة في الغرب الإسلاميّ تاريخ الدولتين المرابطيّة والموحدية أنموذجا " وهو رسالة دكتوراه في طور الإنجاز .

كما لا يفوتنا التنويه على بحث آخر في طور الانجاز للطالبة "سليمة سلماني" وهو بعنوان: "الأفق الذهني لمجتمع الغرب الإسلاميّين عقيدة الإثبات والتفويض وعقيدة التأويل والتنزيه" .

يمكننا التصريح بأن البحث في المجال القيمي يلاقي اليوم ترحيبا واقبالا من طرف العديد من الباحثين الذين انخرطوا فيه.

وقبل أن يكون البحث القيمي موجها للبحث الأكاديمي بحتا، فهو يعتبر بمثابة المقوم للسلوك والأخلاق، خاصة وأنه يلامس الأصول، وفي ذات الوقت لا يفرض تقوقع الباحث في مدونته أو منظومته أو خطاباته دون الرجوع إلى المدونات الغربية،وبالتالي

---

[1] أمال الصّغيري،الدّين والمواطنة في الغرب الإسلامي بين النّظر الفقهي والاعتبار السلطانيّ، مذكرة ماستر، تحت إشراف :لخضر بولطيف، ص02.

[2] أمال الصّغيري،الدّين والمواطنة في الغرب الإسلامي بين النّظر الفقهي والاعتبار السلطانيّ، ص03.

فالهدف منه هو خلق باحث غير عضوي متزمت إنما باحث له كامل الحرية في الاطلاع على ما أنتجته الثقافات الأخرى وما تنتجه، على اعتبار أن المعرفة تبقى دائما كما ذكرنا في بداية هذا الفصل تمتاز بالتراكميّة. ويبدو أن هذا التراكم البحثي المنصب في المجالات البحثية السالفة الذكر هو من سيكوّن مدرسة قيمية تاريخية.

الفصل الثّاني:

التّجديد على مستوى المناهج

مدخل

أولا: دور التّرجمة في التّعرف على المناهج الحديثة

ثانيا: المنهج التّاريخيّ بين التّناهج والتّحديث

مدخل:

نعيش في عصرنا الحالي –القرن الواحد والعشرين– حقيقة لا يمكن إنكارها، فهي مسلمة من المسلمات الظاهرة، التي وان أنكر البعض وجودها بدعوى أو بأخرى فإن حضورها باق رغما عنهم، لأنه من المستحيل غض البصر عما قدمته الحضارة الغربية، التي شهدت منذ قرون قفزة نوعيّة في طريقة التّفكير وصنعت أساليبا جديدة للتغيير، فأنتجت مناهجا عمّت كل العالم وانتشرت في أرجائه وبين جموع علمائه، فحققت إنجازا سيظل التّاريخ ذاكرا له .

لقد بات اليوم أمرا مستحيلا الفصل بين الفكر الغربيّ والفكر العربيّ على حد تعبير أحد الباحثين وان تمّ هذا الفصل سيكون فصلا تعسفيّا لا علميّا؛ أشبه بفصل ما هو عربيّ عن ما هو اسلاميّ أو بعبارة أدق بين ما هو عربيّ إسلاميّ وبين ما هو عربيّ غير إسلاميّ[1].

وقد أسهمت عمليّة الاحتكاك المعرفيّ عن طريق التّرجمة بفتح مجالات أوسع في البحوث التّاريخيّة، من خلال التّعرف على المناهج الجديدة التي ساهمت في إعادة أحياء الفكر العربيّ في مجمله، ولا يعني كلامنا هذا أننا من بين المنبهرين بالفكر الغربي، ولكنه يعني إيمانا منا بكوّن الطريق نحو المعرفة التّاريخيّة لا يكتمل في صورة أحاديّة عضويّة !!!

وهذا ما جعل العديد من الأسئلة تلوج إلى ذهني، لعل من أوضحها ما يأتي :

[1]محمد عابد الجابري، من أجل رؤية نقديّة لبعض مشكلاتنا الفكريّة التّربويّة، ط 1، دار النّشر المغربية، المغرب، 1997 ، ص 11.

كيف أسهمت التّرجمة في عمليّة التعريف بالمناهج الغربيّة ؟؟ وهل كل ما تمت ترجمته هو قابل للتبنيّ وكيف يحصل التّجديد في ضوئها؟

أولا- دور التّرجمة التّعرف على المناهج الحديثة:

يقال أن اللغة تعتبر عائقا إذا جهلناها وجواز سفر إذا حذقناها[1]، ويبدو أن التّرجمة هي الوسيلة الأكثر تميزا في توصيل مفاهيم الحضارات سواء السابقة أو الحالية، خاصة مع ما يشهده العصر من تطورات حاصلة على مستوى وسائل التواصل الاجتماعي على -سبيل المثال- هذه الوسائل التي لها فضل كبير في التسهيل ممن عملية التواصل، والتعارف بين الشعوب والأمم، لكن هذا التواصل بطبيعة الحال يحتاج إلى إدراك ومعرفة لغات ثانية بغية تحقيق ملكة الفهم .

تعتبر التّرجمة أحد الفنون الراقية التي تتميز بضوابطها وقواعدها الخاصة[2]، وهي حرفة لا يمكن اتقانها إلا بالدّربة والمران والممارسة[3]، إذا فهي مهنة تحتاج إلى الصّبر والخبرة، ولا يخفى على أحد أنها وسيلة نقل ثقافات وحضارات أمم العالم وعاداتها وتقاليدها من لغة إلى أخرى[4]. وتعد حركة التّرجمة والنّقل واحدة من اللّحظات الرّكيزة في بواكير الحضارة العربيّة الإسلاميّة، فمن خلالها تعرف المسلمون على أثار الأمم الخاليّة من قبلهم[5].

---

[1]محمد الطاهر المنصوري، تقديمه للكتاب الجماعي:التاريخ الجديد،ص20.

[2]أبوجمال قطب الإسلام نعماني،"الترجمة :ضرورة حضاريّة"،مجلة دراسات،م03،الجامعة الإسلامية العالميّة شيتاغونج، 2006،ص185.

[3]إيناس أبو يوسف وهبة مسعد، مبادئ التّرجمة واساسياتها، 2005، ص15.

[4]أبوجمال قطب الإسلام نعماني، "الترجمة:ضرورة حضارية "،ص185.

[5]حسن لحساسنة، دور الترجمة في تطوير البحث العلمي في الاقتصاد الإسلاميّ ومساهمتها في تقارب وجهات النّظر وتجديد وتصحيح مسار مستقبل دراسات الاقتصاد الإسلاميّ العالميّة، الجامعة العالميّة للمالية الإسلامية، ماليزيا، ص430.

ولعل أن التّرجمة تتعلق أساسا بمدى فهم ووعي المترجم للغة المراد التّرجمة منها ولها، وأي خطأ منه صغير أو كبير سيشكك في مبادئه، وقد يرجعه أكبر خائن حسب المثال الايطاليّ.

لذلك يجب على المترجم أن يراعي شروط الترجمة القائمة بالأساس على الممارسة وسعة الاطلاع ... وبطبيعة لا يمكننا اعتبار أن كل من يملك لغة ثانية هو في مقام المترجم ولوثبت مراسه عليها، فالترجمة مجال أوسع بكثير من نقل المعارف حرفية فقط...، فعلى المترجم أن يكون متقنا عالما فصيحا للغة المترجم لها ومطلعا على معاجمها وقواميسها القديمة والحديثة كون اللغة عنصر متجدد[1] وقد تدخل مصطلحات جديدة وأخرى يافعة فيها نتيجة للتطور العلميّ.فعلى المترجم عدم الاكتفاء بالجانب اللّغوي في نقل المصطلحات مثلا وإلا انتقلت التّرجمة من وسيلة تعريف (بعلم ما) إلى سبب في أحداث إضرار مصطلحي، إضافة إلى هذا عليه أن يكون مدركا وملما بكل الخلفيات الثقافية المحيطة بالمصطلح[2].

وقد تعرض الباحث المغربي "عبد الله العروي" في كتابة: "الايديولوجيا العربية المعاصرة" إلى إحدى المشكلات التي سببها له المترجمين في النقل السيء لأفكاره. وراح يقارن بين تراجمة الأمس الذين كانوا للعربية مجيدون ومتقنون، ولضرورة الاستعانة بالقواميس التاريخيّة والاشتقاقيّة والفهارس الخاصة بمختلف الفنون مدركون، أما تراجمة اليوم فهم لا يتقنون العربية كأسلافهم ولا يعرفون المتداول من لغات اليوم بل لا يعودون إلى المراجع التي تساعدهم على فهم مقاصد الكتاب المعاصرين،" يبدو وكأن المترجم العربي المعاصر يتناول القلم باليمنى والكتاب الذي يريد تعريبه باليسرى ..." وقد بيّن

[1]فريد بن سليمان،مدخل إلى دراسة التاريخ،ص 135.

[2]الجودي مرداسي ووهيبة ملال،"ترجمة المصطلح اللّساني ومنهجية تنميطه في المعجم المتخصص(معجم المصطلحات اللغويّة الحديثة في اللغة العربيّة لمحمد رشاد الحمزاوي غنية)"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ع18، د.ت، ص147.

الباحث ذاته كيف وصل الخطأ في الترجمة في مواضع كثيرة في أحد كتبه إلى قلب معنى النص[1].وقد عرض لنا مثالا من نصوصه التي تم ترجمتها بشكل خاطئ والمقام لا يسمح لنا بذكرها، إلا أننا سنعطي مثالا عن ترجمة المترجم لكلمة (Désenchanté) التي لم يول المترجم نفسه عناء البحث في القاموس الفرنسي ليفهم معناها واكتفى بفكها إلى (Des) و(Enchanté) وعربها (باستعاد صوابه)[2].

وبالتالي ما نستطيع ذكره هو ان التّرجمة على قدر ماهي مهمة على قدر ما أنها تعتبر مسؤولية كبيرة، قادرة على الاخلال بالمعنى والتحوير فيه إذا ما لم تنقل بأمانة ودقة.

ولأنها تعتبر ضرورة حضارية ونشاط فكري وعملية لغويّة يفرضها الاحتكاك بين الشعوب ذات ألسنة متباينة سواء أكان هذا الاحتكاك مقصود الذات أو حاصلا عرضيا[3]. فإنه ينبغي على المترجم أن يتحلى بالمبادئ الأساسية التي تضمن له ترجمة سليمة، صحيحة خالية من الأخطاء، كي نفهم حقيقة ما قد نستورده من أفكار خارجية.

1- المناهج الألسنيّة الحديثة:

لقد شهدت االلّسانيات العربية حركة ترجمة خلفت عددا لا بأس به من المصطلحات اللسانية، حيث نجد أن للمصطلح الأجنبي الواحد مقابلات عديدة ومصطلح اللسانيات خير مثال على ذلك، لأنه ترجم إلى ثلاثة وعشرين مصطلح (علم اللغة، علم اللسان، اللغويات، علم اللغة العام، والألسنية...)[4] وقد عرف العالم الغربي نشوء العديد من النظريات اللغويّة والتي صنفت في مقام المنهج العلمي.

---

[1]عبد الله العروي، الايديولوجيا العربية المعاصرة، ط1،المركز الثقافي العربي، المغرب،1995، ص07-08.

[2]للتوسع أكثر أنظر: عبد الله العروي، الايديولوجيا العربية المعاصرة، ص 08.

[3]الجودي مرداسي ووهيبة ملال،" ترجمة المصطلح اللساني ومنهجية تنميطه في المعجم المتخصص..."، ص 148.

[4]الجودي مرداسي ووهيبة ملال، " ترجمة المصطلح اللساني ومنهجية تنميطه في المعجم المتخصص..."، ص 147.

وكما هو معروف فجل هذه النّظريات هي نظريات أدبية[1] في الأساس لكنها شقت طريقها نحو علم التاريخ، لما بينهما من علاقة وطيدة، نشأت بينهما منذ القدم.

فعلم التّاريخ والرواية، صحيح أنهما يتوزعان على موضوعين مختلفين، بحيث يستنطق التاريخ الماضي وتسائل الرّواية الحاضر، إلا أنهما ينتهيان معا إلى عبر وحكاية[2]، ومن المعلوم أن القرن التّاسع عشر تميز بانفصال التاريخ والسوسيولوجيا عن الأداب الجميلة وبالاقتناع الراسخ أن الأدب لا ينتج المعرفة وان لا علاقة له بالكتابة الحقيقية عن الملموس[3]. إلا أن هذا الافتراق بين التاريخ والأدب الذي زج كل منهما في حقلين متغايرين لم يمنع عنهما الحوار ولم ينكر العلاقة بين التاريخ والإبداع الأدبي، وقد ساوى الفيلسوف الألماني "لايبنيز" (1646-1716م) بين غايات الشّعر والكتابة التّاريخيّة وناشد المؤرخين إلى الارتقاء إلى مصاف الشعراء، وقد رأى الفرنسي "ديودور" عام 1762 في رواية "ريتشارد سون" تقدما في وعي التاريخ قصر عنه المؤرخون، ولم يختلف موقف الانجليزي،" د.ج كولنجزد" حين وزع في ثلاثينيات القرن الماضي "الجبال الجبار" على الروائيين والمؤرخين معا[4]. ومع منتصف القرن التاسع عشر ميلادي، تضافرت الجهود الراميّة إلى تحطيم المعايير التّصنيفية التي قلصت حقل التاريخ وحبسته في السّجن الذي استأنس في المؤرخون فلم يعد علم الاجتماع قادرا على تبرير مسألة كونه الخطاب الوحيد القمين بإنتاج معرفة جدية بالمجتمع[5].

---

[1] ينصح بالإطلاع على خاتمة كتاب : محمد حبيدة، المدارس التّاريخيّة برلين- السّربون-أستراسبورغ من المنهج إلى التّناهج، دار الأمان، الرباط، د.ت، ابتداع من ص 134.

[2] فيصل دراج، الرواية تأويل التاريخ نظرية الرواية والرواية العربية، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2004، ص09.

[3] إدريس الخضراوي، " من التّاريخ إلى الرواية الذاكرة الجمعية مصدرا للسرد" ، مجلة تبيين، ع9/33، 2020، ص 81.

[4] فيصل دراج، الرواية تأويل التاريخ نظرية الرواية والرواية العربية،ص09-10.

[5] إدريس الخضراوي، " ممن التّاريخ إلى الرّوايّة الذاكرة الجمعية مصدرا للسرد"، ص 81.

ولعل من نافلة القول أن الاشتغال الحقيقي في مجال التأريخ الأدبي هو استغال على النّص الذي نعته أحد الباحثين بقوله: "إن كل نص جامع تقوم في أحنائه نصوص أخرى في مستويات وبأشكال فقد نتعرفها إن قليلا أو كثيرا هي نصوص الثقافة السابقة ونصوص الثقافة الراهنة، فكل نص نسيج طارف من شواهد تالدة"[1].

وكما هو معلوم أن الأدب عملية إبداعية مستقلة لكنه يفتح بابا واسعا على الحياة الاجتماعيّة في حقبة زمنيّة محددة، ومن ثم تبيين أنه مصدر فعال لجعل مالا يمكن الاستدلال عليه مرئيا وانتاج مالا يبلغه تصور آخر سواه[2].

وتلك العملية الابداعيّة يحتاجها المؤرخ فالمؤرخ يستعمل مل الأساليب البلاغية من تقديم وتأخير، من إجماع وتفريع، من إيجاز واطناب، بل ويدعو المقام إلى محاذاة الواقع بالمحمل، والقطعي بالظني، إذ الواقع يبدوا أحيانا مستحيلا أثناء عملية التّألفة وهي مرحلة من مراحل عمل المؤرخ حيث يتقرب هذا الأخير من الأديب لأنه يضطر إلى استعمال وسائله البلاغيّة بهدف الاستمالة والتّأثير[3].

وبالتالي فإن عمل المؤرخ والأديب عمليين متداخليين فيما بينهما ذلك لاشتراكهما في البناء اللغوي، وقد تظهر أهمية النّصوص الأدبيّة في عمل المؤرخ من خلال البيوغرافيا[4] التي تمثل في الغالب سردا لحياة أمراء وسلاطين[5].

ومن هذا الباب يمكننا أن نذكر بما تعنيه وتمثله النّصوص الأدبية في الكتابة التاريخيّة لبلاد المغرب الإسلامي، ونعطي مثالا عن هذا فيما أورده الباحث الجزائري "

---

[1]صاحب الفكرة في الأصل هو "رولان بارت" ، للمزيد أنظر: محمد القاضي، الرواية والتاريخ دراسات في تخييل المرجعي، ط1، دار المعرفة، تونس، 2008، ص23.

[2]إدريس الخضراوي، من التّاريخ إلى الرّوايّة الذاكرة الجمعية مصدرا للسرد، ص 81.

[3]عبد الله العروي، مفهوم التّاريخ 01، ص50.

[4]للتعرف أكثر على البيوغرافيا، ينصح بالعودة إلى كتاب: خالد طحطح، البيوغرافيا والتاريخ،ط1،دار توبقال، المغرب، 2014.

[5]إدريس الخضراوي، "من التّاريخ إلى الروايّة الذاكرة الجمعية مصدرا للسرد " ، ص83.

الطاهر بونابي" عند حديثة عن المنهج عند "أبو القاسم سعد الله" –رحمه الله– يقول: "ولما كان نوع التراث الجزائري المكتوب والمخطوط للفترتين الوسيطة والحديثة ينتمي في نوعه إلى التّاريخ الأدبي..."[1].

ولا يخفى على الباحث في تخصص التاريخ الإسلامي للعصر الوسيط توزع التاريخ بين ثنايا النصوص المنقبية التي هي في الأصل تكون مشبعة بالنصوص الأدبية، وقد خاض الباحث ذاته –"الطاهر بونابي"– تجربة البحث في النص الأدبي الصوفي بنوعيه الشعريّ والنثريّ واستقى مادته العلمية منه فأنتج دراسة مميزة تمثل أحد روافد المعرفة في الحقل التاريخي الأدبي، كان عنوانها :"نشأة وتطور الأدب الصوفي في المغرب الأوسط"[2].

لكن السؤال المطروح والذي يفرض نفسه بقوة، هو كيف استفاد العرب من المناهج الألسنية الحديثة ؟ وهل كان لهذه النظريات أثر في الكتابة التاريخية العربية؟ وفي حالة تطبيقها ما هي السبل التي تقودنا إلى تطبيقها بغض النظر عما تشكله المعرفة الإنسانية من انسيابية خاصة بفعل الترجمة وسرعة انتقال المعارف، إذا ما كنا ندرك ونعي جيدا أن نظريات الغرب نشأت في بيئاتها الخاصة ولها مدركاتها الخاصة التي تختلف كل الاختلاف عن البيئة العربية والبيئة العربية الإسلاميّة؟ وهل كل نظرية من النظريات التي سنأتي إلى تعريفها تحت ما يسمى بالمنهج العلمي طبعا، هي قابلة للتطبيق في الكتابة التاريخية العربية؟ وهل يمكن أن نتخذ منها طابعا عاما أونموذجا يستحق التجربة والتطبيق؟ وهل هي نظريات غربية محضا أم أن لها جذورها في الحضارة العربية الإسلاميّة؟.

---

[1] الطاهر بونابي، "مصادر الوعي بالتاريخ الثّقافي عند أبي القاسم سعد الله (مستوى المعرفة التّاريخية) "، المجلة التاريخية الجزائريّة، م03، ع 4/3، 2019، ص56.

[2] الطاهر بونابي، "نشأة وتطور الأدب الصوفي في المغرب الأوسط "، مجلة حوليات التّراث، ع2004،2، ص17.

أ- البنيويّة:

يؤرخ للبنيويّة ابتداء من سنة 1916م بعد نشر تلامذة "فيرناند دوسيوسير" كتابه:" دروس حول الألسنيّة العامة"[1]، وهي تعتبر منهجا للتحليل ونظرية للأدب انتشرت عبر كتابات "رولان بارت" و"جيرار جينيت" و"أ .ج. جريماس " و"رومان جاكوبسون"[2]. إلا أنها ما لبثت محصورة في الأدب فقد انتقل سحرها- حسب تعبير أحد الباحثين -الذي افتتنت به مجمل العلوم الاجتماعيّة والإنسانية إلى أوساط علم التّاريخ، فقد اعتقد بعض المؤرخين أنها أي البنويّة بمثابة الواقي من الانزلاقات التي قد يقع فيها الباحث في إطار التّاريخانيّة، التي تدفع في كثير من الأحيان إلى اسقاطات أيديوجيّة أوغيرات أحاديّة وانتقائية، واعيّة وغير واعية وذلك تحت مضامين الوثائق أوالمخطوطات[3]. فالاتّجاه البنيويّ هو توجه منهجيّ تتولى بموجبه العلوم استخراج البنى من الأشياء وتركز على توصيف الحالة الرّاهنة للأشياء، وعلى إبراز صفاتها اللازمنيّة وعلى تحديد العلاقة القائمة بين عناصر النّسق المدروس[4].

ويبدو أن للبنيوية أهمية كبيرة في علوم الإنسان وذلك كان في ستنيات القرن العشرين أين أجمع بعض الباحثين على أن علوم الإنسان حصلت لأول مرة بفضلها[5]. كما وانها قدمت للنقد وخاصة النص جهودا معتبرة لا يمكن إغفالها أوتناسيها[6]. وتجدر الاشارة في هذا المقام أن البنيوية اقتحمت أولا مجال الأديان مع " جورج دوميزيل" ،

---

[1]كريزيستوف بوميان، تاريخ البنى، ضمن الكتاب الجماعي: التاريخ الجديد، ص 193.

[2]محمد عناني، المصطلحات الأدبيّة الحديثة دراسة ومعجم إنجليزي عربي،ط3، منشورات الشركة المصرية للنشر، مصر، 2003، ص 101.

[3]وجيه كوثراني، تاريخ التّأريخ اتّجاهات -مدارس- مناهج، ص219.

[4]الهادي التّيمومي، المدارس المنهجية الحديثة، ص 149.

[5]الهادي التيمومي، المدارس المنهجية الحديثة، ص149.

[6]لخضر سنوسي، "المناهج النّقدية الغربيّة وافاق تطبيقها على النّصوص الأدبية المعاصرة " ،مجلة تاريخ العلوم،ع04،د.ت،ص59.

وبعدها عالم، الأنثربولوجيا، بعد أن نشر كتاب "كلود ليفي شتراوس" :" البنى الأساسية للقرابة" سنة 1949م وبعد أن نشر المؤلف ذاته كتاب: " الأنثربولوجيا البنيويّة " سنة 1958م[1]. وتمثل البنية في المجال الاجتماعي تنظيما واتساقا للعلاقات الأكثر ثباتا بين الواقع والجموع الاجتماعيّة، أما بالنسبة إلى المؤرخ فهي تعتبر تركيبا وهندسة [2]. وقد أشار الباحث "إبراهيم القادري بوتشيش" إلى كون البنيويّة في مفهومها العام نمط فكري يشير إلى نسق تترابط وحداته واجزاؤه لتنتظم ضمن سياق متماسك، يكشف وحدة العناصر وتناغمها .وقد استفاد النص التاريخي من الطفرة المنهجية التي أحدثتها البنيوية عبر دراسة البنى والنظم الاجتماعيّة في الأمد الطويل، ويبدو أن هذا المنهج له القدرة على الكشف عن مكنونات النصوص الذي لا يبوح بكل مدلولاته، وهويمثل بالنسبة له – "بوتشيش"– أداة مفيدة للتاريخ الهامشي[3] ؛ كما وقد لاقت البنيويّة اعجابا من المفكر " محمد عابد الجابري" فهو اعتبرها ضروريّة لاكتساب رؤية أشمل واعمق، كون النظرة البنيوية تهتم بالكل أكثر من اهتمامها بالأجزاء وبنظرتها إلى الأجزاء في إطار الكل الذي لا تنتمي إليه. لكنه رغم هذا يدعوا إلى ضرورة المزاوجة بينها وبين النّظرة التّاريخية فهي وحدها لا تكفي –(النظرة البنيوية)– فالنظرة التّاريخية هي التي تتبع الصيرورة وتعمل جاهدة على ربطها بالواقع لاكتشاف العوامل الفاعلة فيها الموجهة لها[4].

ب– التّفكيكيّة:

ظهرت التّفكيكية سنة 1960، وهي بمثابة ردة فعل على البنيوية وهيمنة اللغة وتمركز العقل وهيمنة اللّسانيات على على كل حقول المعرفة، وأصبحت ابتداء من عام

[1] كريزيستوف بوميان، تاريخ البنى، ص193–194.

[2] كريزيستوف بوميان، تاريخ البنى، ص194..

[3] إبراهيم القادري بوتشيش، المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي إشكاليات نظرية وتطبيقيّة في التّاريخ المنظور إليه من الأسفل، دار رؤية، مصر، 2014، ص50.

[4] محمد عابد الجابري،من أجل رؤية نقدية لبعض مشكلاتنا الفكريّة والتربويّة، ص15.

1970 منهجيّة نقديّة أدبيّة في الثقافة الأنغلوسكسونيّة والية للبلاغة والتأويل وقد ظهرت هذه المنهجيّة في سياق ثقافيّ خاص يتمثل في تقويض مقولات اللسانيات الغربية، وهدم المرتكزات البنيوية في إطار ما يسمى بـ: (ما بعد الحداثة) post modernism[1]. ويبدو أن مصطلح التّفكيك (décconstruction) في البدايّة قد يدل على النّهب والتّخريب، وهي دلالات في الغالب تقترن بالأشياء الماديّة المرئيّة، لكن في مستواه الدلالي العميق فإنه يدل على تفكيك الخطابات والنّظم الفكريّة والاستغراق فيها وصولا إلى الالمام البؤر الأساسية المطمورة فيها[2]. وبالتالي مصطلح التّفكيك يحيل إلى استراتيجية في القراءة تتجاوز منطوق الخطاب إلى ما يسكت عنه، وبالتالي يشكل التّفكيك استراتيجية لأولئك الذين يرغبون في تخطي سلطة النص.[3] فجوهر التّفكيك هوغياب المركز الثابت للنص، بحيث لا توجد نقطة ثابتة يمكن الانطلاق منها لتقديم تفسير معتمد أوقراءة موثوق بها، أوحتى محددة من التفسيرات والقراءات للنص، وبالتالي فكل شيء في النص قابل للتغير، فما كان جوهريا وأساسيا في قراءة ما قد يغدوا هامشيا في قراءات أخرى، وهوما يسميه التّفكيكيون اللعب الحر.[4]

ويثير التّفكيك التعارض ومساءلة الذات والموضوع، وتعرية التفاوت الاجتماعيّ وانتقاد الراتب السياسيّ والطبقيّ واستخلاص التناقضات والاختلافات التي تؤشر عليها قشور السّطح، وتهتم التّفكيكية بإبراز التّضاد والتّشديد على التّعارض والتّناقض والاختلاف، وبالتالي فهي منهجية لا تهتم باستخلاص البنى الثابتة كما تفعل البنيوية، بل تستكشف مواطن الاختلاف والصراع والتّضاد وكيف تتلاشى المعاني غيابا وانتظارا

[1] جميل حمداوي،"استغراب ما بعد الغرب فلسفة التفكيك كنموذج نقدي" ، مجلة الاستغراب،ع17، 2019، ص90.

[2] أحمد العزري،تلقي التّفكيكية في النّقد العربي الحداثي –علي حرب أنموذجا–، رسالة ماجستير،تحت إراف :مصطفى درواس، جامعة مولود معمري، تيزي وزو،ص11.

[3] أحمد العزري، تلقي التّفكيكية في النّقد العربي الحداثي –علي حرب أنموذجا–،ص12.

[4] عمر بوساحة،"مشكلة الايصال والتّواصل في القراءة اللّسانية للنص الأدبي من أين والى أين "،مجلة كلية العلوم الإسلامية –الصّراط– ، ع16، 2000، ص200.

وتأجيلا وتتضافر الاختلافات تضادا وتناقضا وتقويضا وتشتيتا.[1] والتّفكيك يستند في الأساس على دور القارئ الذي يتولى عملية تفكيك النّصّ واستطلاع آفاق الغياب في تجلياتها من أجل خلق قراءة تفكيكيّة جديدة أساسها الاختلاف. وبالتالي ففي التفكيك دعوة صريحة إلى تجاوز الثبات من أجل تأسيس معرفة جديدة قوامها الانفصال عن الجذور ومقاطعة التراث وتقويض المرتكز.[2]

وتعد المدرسة التّفكيكيّة من أهم المدارس الغربيّة، وقد ارتبطت باسم "جاك دريدا" ومن أقطاب هذه المدرسة "إدمون جايس" و"هارولد بلوم"[3]. وقد استعمل "جاك دريدا" مصطلح التفكيك لأول مرة في كتابه (علم الكتابة/الغراماتولوجيا)، وكان متأثرا بمصطلح التفكيك الذي استخدمه " مارتن هايدجر" في كتابه " الكينونة والزمان" ، كما وقد تأثر "دريدا" ب:"هوسرل " و"نيتشه".[4] وقد اشتغل "دريدا "

على المفاهيم النّصيّة بإدراجها ضمن قالب من الثنائيات المختلفة والمتضادة، كالسلب والايجاب، النفي والإثبات، الصحيح والخطأ، وكذا العقل واللاعقل، الروح والجسد، الكلام والكتابة، المركز والهامش، الحضور والغياب...إلخ .[5]

ج- الهيرومنيوطيقا:

المعنى الدّقيق لهذه الكلمة هوفن تفسير النّصوص interpetation أي تحديد معانيها وهذا عن طريق مجموعة من القواعد الثابتة، ويرجع أصل هذه الكلمة إلى الكلمة

---

[1] جميل حمداوي، "استغراب مابعد الغرب"، ص89.

[2] حنان حطاب،"التفكيك نحو التأسيس للمختلف "مجلة العلوم الاجتماعية، م15،ع27، 2018،ص109.

[3] عبد الوهاب المسيري،"التّحيز للنموذج الحضاريّ الغربي في الفكر العربيّ المعاصر "،مجلة قضايا إسلاميّة معاصرة فكريّة متخصصة تعنى بالهموم الثقافيّة للمسلم المعاصر،ع3،لبنان،1998،ص135.

[4] جميل حمداوي،استغراب مابعد الغرب، ص84-86.

[5] حنان حطاب، "التّفكيك نحو التّأسيس للمختلف"، ص 111.

اليونانية hermeneuein وهس فعل معناه يفسر، ويبدو أن معناها يتجه في ثلاثة اتجاهات هي:

1- تفسير الشّعر شفويا ومن ثمة يقترب معناها من التّعبير.

2-الشرح.

3- الترجمة.

وأول كتاب ذكر فيه هذا المصطلح هو (محاورات أفلاطون) فهو يسمي الشعراء hermenestontheon أي مفسري أو مترجمي الآلهة .[1]

وقد استخدم مصطلح الهيرومنيوطيقا قديما في دوائر الدراسات اللاهوتية، للإشارة إلى مجموعة القواعد والمعايير التي يجب أن يتبعها المفسر للنص الدّينيّ (الكتاب المقدس).[2]

أما في النقد التّاريخي وهو ما يهمنا فعلا، فالهيرومنيوطيقا تعرف على أساس أنها نظرية نقد التّفسير التي تفيد في مقاربة النّص من خلال استجلاء المعنى المستتر وراء معناه الحرفي،وقد ارتبطت هي الأخرى باسم " هيدجر"- الذي كنا رأينا سابقا أن "دريدا" تأثر بمصطلح التّفكيك الذي وضعه هو اولا -الذي أسس ما يعرف بالهيرمنيوطيقا الفينيميولوجيّة لارتباطها بماهية ظواهر الوجود نفسه ووسيلته في ذلك اللغة في حد ذاتها، أما في الفلسفة فقد ارتبطت ب "جادمر" وهي صنف يتسع ليشمل كل ما هو قابل للفهم، وتتميز الأولى والثانية في كون النص يتجاوز بنيته الشكليّة ويكشف عن الوجود وبالتالي فإنه يقتضي تجاوز ثنائية الذّاتية والموضوعيّة.[3]

---

[1]محمد عناني، المصطلحات الأدبيّة الحديثة دراسة ومعجم إنجليزي عربي، ص112-113.

[2]نصر حامد أبوزيد، إشكاليات القراءة واليات التّأويل،ط7،منشورات المركز الثقافي العربي، المغرب، لبنان، 2005، ص13.

[3]إبراهيم القادري بوتشيش، "النّص التّاريخي بين القراءة التّأويلية والهيرمنطيقا" ، مجلة كان التّاريخيّة، ع 36، 2017، ص70-71.

وقد صاغ الباحث " القادري بوتشيش " جملة من الضوابط[1] التي إذا ما تم تظافر الجهود حولها، ستتحقق إمكانيّة الاشتغال بهذه النظريّة على النّصوص التّاريخية الإسلامية، وهي ضوابط كثيرة، اخترت منها البعض ،أذكرهم فيما يأتي:[2]

-تجاوز القراءة السّطحيّة للنّص التّاريخيّ إلى قراءة شموليّة، تقوم على النّظرية الكليّة الفاحصة، مع مراعاة التقييد بمقصديّة النّصّ وعدم التّسرع والتّعميم.

-البحث عن المعنى المضمر للنص أي المعنى الغير مصرح به .

-عدم إسقاط الحاضر على الماضي في عمليّة التّأويل التّاريخي، فالنّصّ يؤول حسب اختلاف ظروف البثّ وظروف الانصات.

د- السيميائية:

من المتعارف عليه أن السيمياء في معناها الأول تدل على دراسة الاشارات، وقد عرف "أمبرتوايكو" السيميائية بأنها تعنى بكل ما يمكن اعتباره إشارة؛ وتتضمن السيميائية ليس فقط ما نسميه في الخطاب اليومي "إشارات"، وانما كل ما ينوب عن شيء آخر[3]. واول من أشار إلى العلامة في العصر الحديث ونبها إليها في مفتتح القرن العشرين هو: "دوسيسور"[4]، لقد فوض هذا الأخير أصول الدّرس التّقليدي للغة، بحيث كان يرى فيها وسيلة معبرة عن الأشياء، وهو بهذا أضفى أهميّة أخرى للغة لم تكن تتمتع بها من قبل،وقد لجأ منهجيا إلى اشتقاق ثنائيات عدت مرتكزات أساسية في المبحث اللّغويّ

[1] إبراهيم القادري بوتشيش، "النّصّ التّاريخي بين القراءة التّأويليّة والهيرمنطيقا"، ص74.

[2] إبراهيم القادري بوتشيش،" النّصّ التّاريخيّ بين القراءة التّأوليّة والهيرمنطيقا"، ص75.

[3] دانيال تشاندلر، أسس السيميائية، تر: طلال وهبه،ط1،المنظمة العربية للترجمة، لبنان، 2008، ص28.

[4] محمد رضا مبارك،"من البنيّة إلى العلامة النّصّ والخطاب في التّحليل السيميائيّ "،مجلة الباحث الإعلامي،ع34/33، د.ت، ص 22.

الحديث، وأهمها: "اللغة والكلام"، التّزامن والتّعاقب، الدال والمدلول، وهذه الثنائيات سهلت وضبطت العملية الوصفية الاستقرائية للظاهرة اللّغويّة[1].

تجدر الاشارة إلى أن أول إشارة للسيميائية ظهرت في فلسفة "جون لوك" في مقالة تناول الفهم البشري، إلا أن التّقليدين الأساسيين في السيميائية المعاصرة، مصدرهما على التّوالي الفيلسوف السويسريّ "فردينان دوسوسور"، والأمريكي "تشارلز ساندرز بيرس" ، ويرجع لفظ سيميولوجيا إلى مخطوطة كتبها "دوسوسور" في عام 1894م، وبالنسبة لسوسور هي علم يدرس الاشارات كجزء من الحياة الاجتماعيّة؛ أما "تشالرز بيرس" فيوردها بمصطلح السيميائية، والتي تعني الدستور الشكلاني للإشارات وما يقاربها من المنطق.[2] وهنالك من يستخدم لفظ "السيميوطيقا" والذي نحته الفيلسوف الأمريكي "Pierce" ، لكن الغالب في الاستخدام هولفظ السيميائية، ورغم اختلاف الألفاظ إلا أنها تدل على معنى متقارب، وتشترك في الأهداف العلميّة، والهدف السّيميائيّ بصفة عامة له طابع افتراضي استنباطي، اختياري، وفي الوقت ذاته يسعى إلى اكتشاف تمفصلات المضمون المحملة بالدلالات[3].

ورغم أن الدّراسات اللسانية كانت سباقة إلى تبني المنهج السيميائي، مع كل من "غريماس" و"بارت" و"تشومسكي"، الذين ركزوا على العلاقة بين الدال والمدلول، لمعرفة خفايا النّصّ، أومالم يبح النّص، فقد بدأ توظيف المنهج السيميائي في الدراسات التّاريخية[4]. وتعتبر السميولوجيا علما ومنهجا، فهي علم لكونها تخضع لضوابط تفرضها

---

[1] مروان علي حسين أمين، "التّفكيكيّة عند جاك دريدا" ، مجلة الكلية الإسلاميّة الجامعة النجف الأشرف، م2،ع41، د.ت، ص457.

[2] دانيال تشاندلر، أسس السّيميائيّة، ص29-30.

[3] إبراهيم القادري بوتشيش، "علاقة التّاريخ بالسيميولوجيا التّاريخ العربيّ- الإسلاميّ أنموذجا" ، مجلة عالم الفكر،ع176، 2018، ص 167.

[4] إبراهيم القادري بوتشيش، المهمشون في تاريخ الغرب الإسلاميّ اشكاليات نظريّة وتطبيقية في التّاريخ المنظور إليه من أسفل،ص48.

السّياقات الثقافية الحضاريّة ؛ ومنهجا لأنها تسعى إلى تأويل رموز النّص التاريخيّ، بما تحويه من علامات واشارات تفك شفراتها ضمن نسيج تلك السّياقات[1]. وبما أن الإنسان "حيوان ذورموز" حسب تعبير "كاسيرر"، فإنه حتما سيكون معلقا بشبكة من المعاني، والدلالات الثاويّة التي لا تعكس ما يقال بقدر ما تعبر عما لا يمكن قوله، ولكي لا تبقى قراءة التّاريخ مبتورة، تقتصر على حوادث جزئية مبعثرة وغير مفهومة، وتفتقر إلى المعاني المندسة وراء النص أوالوثيقة، فّإن منهج التأويل الرمزي مهم في مثل هاته الحالات[2]. خاصة وان النصوص التاريخية بما فيها النّصوص المنقبية مليئة بالرموز والاشارات التي تحتاج إلى شرح وتفسير وتأويل .

ويبدو أن التّاريخ انفتح على السيميولوجيا لسببين هما[3]:

1-أن التّاريخ هوعلم دراسة الإنسان، والرمز هو اس الدّراسات السيميائية التي تشترك فيه مع الدّراسات التّاريخيّة .

2-احتواء النّصوص التّاريخية على علامات ورموز .

ولا يعتبر الباحث "بوتشيش" أن هذا الانتاج المتعلق بالمنهج السيميوطيقي هونتاج غربي محض، إنما له أثاره في أفكار المؤرخين العرب في العصور الوسطى أمثال " عبد الرحمان بن خلدون" الذي أولى أهمية وعناية خاصة بالعلامات والاشارات والأدوات التّأويليّة، كما وقد قدم " المقري" حسبه، نصوصا تكشف عن اهتمام المؤرخين القدامى بالمعاني المختبئة وراء الألفاظ فيأخذ عن بعض البلغاء قولهم "رب كناية تغني عن إيضاح، ورب لفظ يدل على ضمير[4].

---

[1]إبراهيم القادري بوتشيش، "علاقة التّاريخ بالسّيميولوجيا التّاريخ العربي – الإسلامي أنموذجا"، ص 167-168.

[2]إبراهيم القادري بوتشيش، "منهج التأويل الرمزي لقراءة التّاريخ نحو اشراك قارئ النّصّ التّاريخيّ في إنتاج دلالاته تشخيص نظري وتطبيقي"، مجلة أسطور، ع11، 2020، ص80.

[3]إبراهيم القادري بوتشيش، " علاقة التّاريخ بالسيميولوجيا التّاريخ العربيّ – الإسلاميّ أنموذجا" ، ص 170.

[4]إبراهيم القادري بوتشيش، "علاقة التّاريخ بالسيميولوجيا التاريخ العربي– الإسلامي أنموذجا، "، ص171.

من خلال تقديمنا لهاته المناهج الألسنية لاحظنا أن معظمها يعتمد على التأويل والتفسير التي لم تغب في استعراضنا للتفكيكية والهيرومنتيكا والسيميائية ؛ ذلك لأن الباحث لم يعد يهتم بالشكل الظاهري فقط للنص، بل ولم تعد تهمه كثيرا معطيات النص، بقدر ما تهمه المعطيات التي قد يخفيها النص، وقد يتستر عنها، وهذه الجملة من المستترات، في حال ما اكتشفت، ستصنع فارقا بالتأكيد وستولد عنصرا جديدا في الكتابة التّاريخية، فهذه المناهج بمثابة الوقود الذي يحرك عجلة التّاريخ إلى الأمام من جهة ومن جهة أخرى فهي تحافظ على تدفق الجديد فيه ذن كعاملي المناجم الذين ينقبون عن أنفس الحجارة .

ويعد الباحث "القادري بوتشيش" من بين الباحثين العرب الذين راحوا يبحثون في هذه المناهج، مبررا عمله في بغية إكمال مشروعه البحثي القديم، ألا وهو البحث في مجال المهمشين[1]، وهذه المناهج تتيح له ولغيره من الباحثين الولوج إلى هذا العالم الذي طاله التغييب.

ولكن هذا لا يعني أن المناهج الغربية هي قوالب جاهزة للفكر العربي، بالعكس تماما – مع أننا لسنا ضد استخدام المناهج الغربية إيمانا منا بأن المعرفة الإنسانية هي معرفة تراكمية – فينبغي على الباحث العربي أن يحتاط منها وان يطلع عليها أكثر فأكثر، كي يصبح قادرا على التّمييز بين صالحها وطالحها، وقد صرح أحد الباحثين، بضرورة التحلي بالوعي أثناء التّعامل مع الفكر الغربي في أي جانب من جوانبه، لأننا في حالة حوار جدلي، فلا يجب أن نكتفي بالاستيراد والتبني[2]. بل يجب علينا أن نطلع أكثر على ماضينا ونفهم جيدا نظريات مؤرخينا، هذا الاطلاع والفهم الجيد على ضوئه نستطيع اكتشاف النور الذي سيهدينا إلى السبيل الحق ولربما سيفجر طاقاتنا لاسترداد سيادتنا

[1]إبراهيم القادري بوتشيش، " علاقة التاريخ بالسيميولجيا التاريخ العربي – الإسلامي أنموذجا"، ص 69/المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي اشكاليات نظرية وتطبيقية في التاريخ المنظور إليه من أسفل، ص 50/48.

[2]نصر حامد أبوزيد، إشكاليات القراءة واليات التأويل، ص 14.

الفكرية، كي نتحول من أمة راكدة إلى أمة ناهضة بفكرها وبأفكارها وبإنتاجها لا باستهلاكها.

2- من التّاريخ الجديد إلى التّاريخ المفتت:

لابد وللباحث في مجال المناهج الغربية، أو المناهج المعاصرة عموما أوالمناهج ككل -(ليس شرطا أن يكون البحث في مجال المناهج الغربية فقط)-، أن يطلع على كتابين مهمين جدا في التّأريخ لتطور الكتابة التّاريخية العالميّة، وقد أوردنا ذكر عناوينهما في عنوان هذا العنصر،" التّاريخ الجديد" الذي أشرف عليه "جاك لوغوف" والتّاريخ المفتت" لـ: "فروانسوا دوس"؛ وهما كتابين خرجا للوجود من بيئة مشتركة وثقافة واحدة هي الثّقافة الفرنسيّة، لكن بطبيعة اختلفت ظروف كتابتهما نظرا للتطورات التي حصلت في التّفكير العالمي .

ولقد عرف هذين الكتابين انتشارا واسعا بين القراء، في مختلف البيئات العالمية، وقد وصلا إلى القارئ والباحث العربي، عن طريق الباحث التّونسي "محمد الطاهر المنصوري" الذي قام بترجمتهما وبالتالي هوّن على الباحث العربي مشقة القراءة باللغة الأجنبية، خاصة للباحث الذي لا يتقن اللغة الأجنبية الفرنسية .

من هذا السّياق، يتسنى لنا طرح بعض التّساؤلات المهمة التي قد تخطر على بال الباحث الصغير وهي: لم أختار "المنصوري" هذين الكتابين بالذات لترجمتهما؟ وما هو الطرح الذي تبناه كلا الكتابين؟

أ- التّاريخ الجديد:

"التّاريخ الجديد" هو كتاب جماعي نشره "جاك لوغوف" بالتّعاون مع "روجيه شارتيه" و"جاك روفيل" عام 1978م، واصدرت طبعته الثانية سنة 1988م، وهو يحتوي على عشرة فصول، تسعة منها تتناول بالدرس بعضا من المفاهيم الأساسية التي تعد مفاتيح

التّاريخ الجديد[1]. وفيما يأتي نستعرض عناوين الفصول أوالمقالات واصحابها التي ضمها الكتاب بين دفتيه[2]:

- ميشيل فوفيل، التّاريخ والأمد الطويل.
- كريزيستوف بوميان،تاريخ البنى .
- أندريه بورغيار، الأنثربولوجيا التّاريخيّة .
- فيليب أرياس، تاريخ الذّهنيات .
- جان ماري بيسار،تاريخ الثّقافة الماديّة .
- جان لاكتور،التّاريخ الآني.
- جان كلود شميت، تاريخ الهامشيين .
- إفلاين بتلاجين، تاريخ المتخيل .

أما المقالة العاشرة فهي للمشرف على العمل "جاك لوغوف"، والتي قدم من خلالها التّاريخ الجديد والمراحل التي مرّ بها[3].

وتتميز المقالات التي تم استعراضها بالغزارة في الأفكار وهي بمثابة محاولة أسلوبيّة "أنيقة وجذابة" تهدف إلى الايجاز البليغ وتعتمد التّرميز والاستعارة والجمل الاعتراضية وتبدو النّصوص على اختلاف مؤلفيها كما لوانها صيغة بقلم واحد[4]. فمواضيع الكتاب كأنها تكمل بعضها البعض، انطلاقا من تاريخ الأمد الطويل وتاريخ البنى وتاريخ الذهنيات والمتخيل...

---

[1]جاك لوغوف،تقديمه للطبعة الثانيّة من الكتاب الجماعي: التّاريخ الجدبيد، ص 35.

[2]تم الرجوع إلى فهرس الكتاب ذاته ونقل عناوين الموضوعات على حسب ترتيبها.

[3]للمزيد أنظر :(جاك لوغوغ، التّاريخ الجديد، ضمن الكتاب الجماعي :التاريخ الجديد، ابتداء من ص 75.)

[4]محمد طاهر المنصوري، تقديمه للكتاب الجماعيّ :التاريخ الجديد، ص11.

وقد كانت الغاية الأولى من ترجمة الباحث "محمد الطاهر المنصوري" هي إيجاد إجابات، عن مدى تأثير التّاريخ الجديد في الكتابة التّاريخيّة العربية، وكيف اقتحم هذا التّاريخ الجديد بعض الجامعات العربيّة، واستطاع أن يخلق له أتباعا وانصارا، يدافعون عنه بشدة بعدما بدأ يعرف فتورا في أروبا.[1]

تجدر الاشارة إلى أن التّاريخ الجديد انبثق عن مدرسة الحوليات وقد أولى اهتماما بالغا بكل المجالات البحثية دون استثناء ورفض كل نسق منظم، ويمثل هذا التّجاه العديد من الباحثين من بينهم، "جورج دوبي"، لورا لادوري" و"جاك لوغوف"، وقد فتحت مجلة الحوليات، تماشيا مع هذا الطرح الجديد "التّاريخ الجديد" صفحاتها للعديد من الباحثين من غير تخصص التّاريخ، كعلماء الاجتماع والاقتصاديين والديموغرافيين وغيرهم، مع الاحتفاظ بالنصيب الوافر للتاريخ، كما وقد تفتحت المجلة على كل الحقب التّاريخيّة وكل أرجاء العالم تعبيرا عن طموحاتها الكونيّة وعن نواياها لإعادة قراءة التّاريخ على ضوء المصادر المعروفة والمكتشفة[2]. ولقد أراد رواد التاريخ الجديد أن يكون أي "التّاريخ الجديد" ابداعا في مستوى "المناهج" و"الأفكار" و"المواضيع"، وابداعا في مستوى الأسلوب؛ والتاريخ الجديد ليس فقط منهجا بحثيا وإنما هو ايضا منهج تربوي يسعى إلى الفصل بين العلاقات بين النّاس، فالاختلاف اختلاف والالتقاء التقاء[3].

يعتقد "جاك لوغوف" أن التّاريخ الحي وخاصة التّاريخ الجديد هولا يشكل كتلة واحدة لكن مجموعة (مجموعة سديم أو سحابة من الكتل) محورها الأساسي هو مدرسة الحوليات التي لا ينبغي لها أن تتوقف عن طموحها (بلوغ التّاريخ الشمولي)[4]، لكن السؤال الذي

[1] محمد الطّاهر المنصوري، تقديمه للكتاب الجماعيّ : التّاريخ الجديد، ص 10.

[2] فريد بن سلمان، مدخل إلى دراسة التّاريخ، ص 107.

[3] محمد الطاهر المنصوري، تقديمه للكتاب الجماعي :التّاريخ الجديد، ص11-12.

[4] جاك لوغوف، تقديمه للطبعة الثانيّة للكتاب الجماعي: التّاريخ الجديد، ص 39.

يطرح نفسه، هو هل من يصرح بأنه يود أو يرغب في الوصول إلى تاريخ شمولي[1] ، هو باحث متأثر بالفكر الحولياتي ؟ يبدو أن التاريخ الجديد، يضع على عاتقه مهمة الحفاظ على كنز مدرسة الحوليات الذي لا يجب أن يفنى! ...

يحتل التّاريخ الجديد في نظر "لوغوف" مكانة وموقعا متميزا في الحقل المتجدد للعلوم ذلك لارتباطه بخاصتين الأولى في تجدده الكامل والثّانيّة في تجذره في صلب تقاليد قديمة وصلبة. وقد صرح بأن كل شكل من أشكال التّاريخ الجديد هو محاولة لإنشاء تاريخ كلي، وأعطى مثالا "ببيار غوبار" الذي فتح للتاريخ الجديد باب الديموغرافية التّاريخيّة، كما ويعد كتاب " نظرة المغلوبين " لناتان فاشتيل " نموذجا وقمة ما وصل إليه التّاريخ الجديد[2]. أدى التاريخ الجديد إلى اعتماد أنواع جديدة من المصادر مثل (دفاتر العدول والتّاريخ الشفوي والتّاريخ المادي). وسلط عليها الضوء من زوايا جديدة بنوعيّة التّساؤلات المطروحة ونوعية القضايا المطروحة التي تجاوزت التّاريخ التّقليديّ[3].

وقد سلم أنصار التّاريخ الجديد بأنه لاوجود تاريخ بالتاريخ فقط وانما هنالك تاريخ بشتى أصناف العلوم الأخرى[4] .

وأما بخصوص تأثير التاريخ الجديد في الكتابة التاريخية العربية، فإن "المنصوري" صرح بأنه كان له تأثير في الكتابة العربية عامة مشرقا ومغربا، ولكن التأثير القوي والأوسع كان عند المغاربة، خاصة المغرب الأقصى وتونس، وذلك يرجع بطبيعة الحال إلى العلاقات الجامعيّة مع الجامعة الفرنسيّة لهذين البلدين قبل استقلالهما عام 1956م،

---

[1]أورد جاك لوغوف أن مفهوم الشّموليّة مستوحى من عند الأنثربولوجين وخاصة من عند الباحث الفرنسيّ "مارسل موس" الذي تكلم على الفعل الاجتماعيّ/الشمولي، وقد أشار الباحث ذاته أن أي مجتمع يكون في الحقيقة وحدة عضويّة فلا يمكن تجزئته إلى قطع مستقلة تدرس كل واحدة فيها على حدة... للاستزادة أنظر : (عبد الله العروي، مفهوم التاريخ 1، ص 189.)

[2] جاك لوغوف، التاريخ الجديد، ضمن الكتاب الجماعي : التّاريخ الجديد، ص 77-79-80.

[3]محمد الطّاهر المنصوري، تقديمه للكتاب الجماعي : التّاريخ الجديد، ص 12.

[4]محمد الطاهر المنصوري، تقديمه للكتاب الجماعي : التّاريخ الجديد، ص 14.

حيث سعى الاستعمار إلى تكوين نوتات جامعية تهدف إلى توفير ما تحتاجه المؤسسة الاستعمارية من الكوادر، وقد واصلت الدولة الفرنسيّة بعد الاستقلال السّهر على حظوظ هذه المؤسسات الفكريّة بعد أن فقدت السّيطرة على هذه البلدان[1]. وقد ذكر "المنصوري " أن الباحث "عبد الله العروي" يعد واحدا من المتأثرين بفكر التّاريخ الجديد وهذا ما أورده في كتابه "مفهوم التّاريخ" الذي كتب غيه بسطة –على حد تعبير "المنصوري"– عن الكتابة التّاريخيّة من خلال المدارس الغربية، ولكن تبدو الكتابة كما تصورها الكتاب متناسقة أكثر مع مفاهيم المدارس الفرنسيّة ومدرسة التّاريخ الجديد بالأخص، وبالتالي يبقى محاولة رفيعة في الكتابة التاريخية الغير عربية لأن مستوى الكتابة العربية لا يزال متخلفا مقارنة بما وصلت إليه المدارس الغربيّة في أوخر القرن التّاسع عشر وبدايات القرن العشرين[2]. إضافة إلى "العروي" يذكر "المنصوريّ" الباحثين "محمد الطالبيّ[3]" و"هشام جعيط[4] "الذين تأثرا بشكل مباشر بمعطيات التّاريخ الجديد، ويرجع السّبب الرئيسي في ذلك إلى تكوينهم الفرنسي وإتقانهم للغة الفرنسية [5].

ومن نافلة القول هنا أن مدرسة التاريخ الجديد كان لها تأثير في الكتابة التّاريخية العربيّة عن طريق تأثر بعض النخب العلمية بها، أولئك الذي أتيحت لهم الفرصة بالدراسة في الجامعات الفرنسية، ولكن السؤال المطروح هل هذا التأثر يمكن أن ينتج مستقبلا جيلا

[1]محمد الطاهر المنصوري، تقديمه للكتاب الجماعي: التاريخ الجديد، ص 19–20.

[2]محمد الطاهر المنصوري، تقديمه للكتاب الجماعيّ : التّاريخ الجديد، ص 20–21.

[3]من مواليد 1921م مفكر تونسيّ ومؤرخ واستاذ الحضارة الإسلاميّة، في الجامعة التّونسيّة .. لتزيد أنظر: (السّيد ولد أباه، أعلام الفكر العربي مدخل إلى خارطة الفكر العربي الراهنة، ط1 ،منشورات الشبكة العربية للأبحاث والنشر، لبنان، 2010 ، ص157.)

[4]من مواليد 1935 ، مفكر تونسي، متشبع بفلسفة العلوم الإنسانيّة المعاصرة، درس بفرنسا ومارس التّدريس في الجامعات التونسيّة، الأمريكيّة والكنديّة . للتزيد أنظر : (السيد ولد أباه، أعلام الفكر العربي مدخل إلى خارطة الفكر العربي الرّاهنة، ص 184.)

[5]محمد الطاهر المنصوري، تقديمه للكتاب الجماعي: التّاريخ الجديد، ص 25.

أكثر وعيا بأهميّة الكتابة التّاريخيّة ؟! وهل يصلح فعلا تطبيق المناهج الغربية بنظرياتها بمفاهيمها على التّاريخ الإسلاميّ ؟ وإلى متى سنظل نعيد فكرة استتباع العرب للغرب ؟

يقول الباحث "محمد المنصوري" :" وليس الاعتماد على المناهج الغربيّة استتباعا للغرب، وإنّما هو السّعي للاستفادة من المناهج الحديثة التي برهنت على جدواها وأهميتها في دراسة تاريخ الغرب وسمحت للمؤرخ الغربيّ بتوسيع أفق البحث التّاريخيّ من حيث المناهج والمواضيع"[1].

ب- التّاريخ المفتت:

"التّاريخ المفتت" هي أطروحة للباحث "فرانسوا دوس"، كانت قد أصدرت لأول مرة سنة 1987م، عن منشورات "لاديكوفريت"، وأعيد طبعها من جديد بعد عشرة سنوات أي سنة 1997م من ذات دار النّشر[2]، تجدر الإشارة إلى أن "فرانسوا دوس" قد قام بإنجازها عام 1983م، وعمره لم يتجاوز الثّلاثة والثلاثين سنة، وهي أطروحة جامعيّة حول مسار مدرسة الحوليات[3]، وقد ناقشها بجامعة باريس 7 تحت إشراف : " جان شينو"[4] تعد مسألة القول بتفتت التّاريخ من أهم المشاغل التي أثارت تفكير الباحثين والمؤرخين، حيث راح بعض الباحثين يصرحون بأن التّاريخ لم يعد يشكل مادة متجانسة بسبب تضاعف عدد المؤرخين وتفتح المادة على العالم الخارجي[5]. لقد عمد "فرانسوا دوس" إلى جمع فتات الأخبار ليعيد بناء تاريخ مجلة الحوليات، وذلك بتسقط أخبار روادها ومؤسسيها الفاعلين وتتبع أخبارهم بدءا من الجيل الأول للمجلة "لوسيان فافر" ومارك بلوخ" و"بيار شونو" و"جورج دوبي" و"إيمانويل لورا لادوري"، ورصد العلاقة الشّخصية بينهم والعلاقات التي

[1] محمد الطّاهر المنصوري، "المجالات المهملة في الكتابة التّاريخية العربية"، ص 279.

[2] خالد طحطح، الكتابة التّاريخيّة، ص101.

[3] محمد حبيدة، المدارس التّاريخيّة برلين- السّربون -استراسبورغ من المنهج إلى التّناهج، ص114.

[4] عبد الأحد السّبتي ومحمد حبيدة، " ما بعد التّاريخ الجديد" مجلة رباط الكتب الالكترونيّة، ع7-8، ص01.

[5] فريد بن سليمان، مدخل إلى دراسة التّاريخ، ص 154.

تربط بعضهم بالسلطة السّياسيّة، وانخراط المؤرخين في التّأسيس لمشروعية السلطة وقولبة المناهج التّاريخية خدمة للسلطة الملكيّة أو الجمهوريّة وتجدر الإشارة إلى أنه تتبع برامج مدرسة الحوليات وحتى مصادر تمويلها، وذكر أيضا كيف كان الأمريكان يمولون هذه البرامج وتمويلهم هذا سمح لهم بالتدخل بالرفض والقبول للمواضيع التي تنشرها المجلة فإن كانت المواضيع لا تتماشى مع سياستهم كالمواضيع التي تخص الصّين والاقتصاد السّوفياتي، يرفضونها مباشرة[1]. وبالتالي فإن كتاب "دوس" هذا يمثل تهديدا مباشرا يمس بخصوصيّة هاته المدرسة وعراقتها وصمعتها التي يمكن أن نعتبر "جاك لوغوف" واحد م أولئك الذين تولوا مهمة الدّفاع عنها، فهو لم يقر بوجود أزمة عليّة، وانما أقر بوجود أزمة حسب ما أراد تبليغه وفي هذا الصّدد قال: "...هناك بالفعل أزمة ولكنها أزمة لم تتعدى التّاريخ لتشمل مجمل العلوم الاجتماعيّة ويأتي تأثر التّاريخ الجديد بهذه الأزمة نتيجة لتعامله مع هذه العلوم، شخصيا لا أتصور الحل في انطواء التّاريخ على نفسه للخروج من هذه الأزمة، وانما في إعادة تجديد العلاقة بين التّاريخ وبين هذه العلوم، في كل الحالات تحتاج هذه الوضعيّة إلى فحص مدقق"[2].

يمكننا اعتبار أن أطروحة "فرنسوا دوس" مثلت اتجاها أو نزعة نقديّة ضد هذه المدرسة وقد انبثقت أراء أخرى موازيّة للطرح الذي تبناه "دوس" مثل " مارسيل غوسي " في مقالته "تحول الباراديكم في العلوم الاجتماعيّة الذي نشر بمجلة الحوار سنة 1988م، ثم انصب اهتمامه بالدرجة الأولى على "الأزمة والهويّة في البحث" و"التّشكيك المعرفيّ" و"الفوضى الابستمولوجيّة"[3]، كما وقد ساهم "جيرار نواريل" بالمساهمة في تأسيس مجلة " أصول العلوم الاجتماعيّة والتّاريخ" سنة 1995، ضمن ديناميّة المراجعة لهذه المدرسة إذ

[1] محمد الطاهر المنصوري، تقديمه لكتاب: فرانسوا دوس، التاريخ المفتت من الحوليّات إلى التّاريخ الجديد، ص 09-10-11.

[2] جاك لوغوف، تقديمه للطبعة الثّانيّة للكتاب الجماعيّ: التّاريخ الجديد، ص 48.

[3] عبد الأحد السّبتيّ ومحمد حبيدة، "مابعد التّاريخ الجديد" ، ص01.

اقترحت هذه المجلة ممارسة جديدة للتناهج بالجمع بين مقربة المؤرخين التّجريبيّة واستخدام أدوات العلوم الاجتماعيّة ومناهجها[1]؛ في هذا المقام تجدر الإشارة إلى أن النزعة النقديّة هاته مست حتى المؤرخين الحولياتين ذاتهم، بحيث أحسوا بوجود أزمة حقيقيّة للتاريخ، فمثلا الباحث "غي بوا" راح يطرح تساؤلات عميقة بشأن تعريف" التّاريخ الجديد" في معرض حديثه عن العلاقة بين هذا التّاريخ والماركسيّة محذرا من حجم الغموض الذي يطرق مفهوم "التاريخ الجديد" ، كما أقر "بيير نورا" بحقيقة التّاريخ المتشظي مؤكدا على أننا نعيش اليوم تاريخا مفتتا ممتدا[2]، واسس مجلة جديدة عنوانها "الحوار" أحيا من خلالها البعد السّياسي في البحث التّاريخي[3]، وتخلى "فرانسوا فوريه" عن رئاسة المدرسة العليا للدراسات في مجال العلوم الاجتماعيّة سنة 1985م بصورة تلقائيّة ليشرف على إدارة شبكة أخرى من المؤرخين والفلاسفة في معهد "ريمون آرون" وصرح "جورج دوبي" قائلا "نحن في نهاية شيء ما.. "[4]، أما "بيار فيلار" هذا الباحث الذي سار على السبيل الذي خطه "بروديل " في أبحاثه عن تاريخ منطقة "كاطالونيا" فقد قال سنة 1986: " لقد ماتت الحوليات" وكان عمره آنذاك ثمانين سنة[5].

ما يمكن قوله هو ان التّاريخ الجديد رغم تطوراته السريعة وقدرته على التأقلم لكن انفتاحه الزائد أدى إلى وقوع أزمة تاريخية، وكما يقال إذا زاد الحد عن حده انقلب على ضده. هذه الأزمة التي تحسسها رواد المدرسة ذاتها قبل غيرهم، ولكن "فرانسوا دوس" وضع فعلا الأصبع على مكان الجرح وبيّن حقيقة التّاريخ الجديد وكذا مدرسة الحوليات بحيث صرح بأن هذا الانفتاح الواسع على العلوم الاجتماعيّة وتبني مناهجها إلى أقصى

[1] محمد حبيدة، المدارس التّاريخيّة برلين– السّربون – استراسبورغ من المنهج إلى التّناهج، ص 111–112.

[2] خالد طحطح، الكتابة التّاريخيّة، ص104.

[3] محمد حبيدة، المدارس التّاريخيّة برلين– السّربون – استراسبورغ من المنهج إلى التّناهج، ص 111.

[4] فرانسوا دوس، التّاريخ المفتت من الحوليات إلى التاريخ الجديد، ص14.

[5] محمد حبيدة، المدارس التّاريخية برلين –السربون – استراسبورغ من المنهج إلى التّناهج، ص114.

الحدود، خاصة مع الجيل الثاني كان بمثابة محاولة لبناء سوق مشتركة لعلوم الإنسان الموحدة حول التّاريخ والتوليف بينهما في كتابة شموليّة قد تؤدي إلى ميلاد علم مشترك كان "فيرناند بروديل" يتمناه[1]. ولكن التّاريخ الذي تمّ تطعيمه بالعلوم الاجتماعيّة ينتهي بالتخلي عن هويته ويتعرض لخطر كبير بأن يجد نفسه معرضا للضياع في الانفجار والتّحول إلى شظايا، وتعدد مواضيعه المختلفة التي لا توجد بينها علاقات وهويوشك على أن ينتهي مثل عالم الحيوان بالأمس أو يعرف أزمة وتهميشا كالذين عرفتهم الجغرافيا[2]. ويحمل "فرانسوا دوس" "بروديل" المسؤوليّة الأولى في انفجار هذه الأزمة، فبتفضيله لتاريخ الزمن الطّويل على حساب القصير فتح الباب أمام التّاريخ الجامد وبتفكيكه للوحدة الزّمنيّة سمح بدراسة مواضيع غير متجانسة وهذا ما أدى حتما إلى الوقوع في انحلال وتفتت وتمزق التّاريخ[3].

تجدر الإشارة إلى أن "المنصوري" صرح بأن تعرّيبه لعنوان الكتاب بالتاريخ المفتت نظرا لأن مدرسة الحوليات التي هي في الأصل نابعة من علوم أخرى مجاورة أدّت بالتّاريخ إلى التّفتت، فلم يعد هناك تاريخ بالمعنى الكلاسيكي أو بالمعنى العلميّ وإنما تاريخ منبث داخل العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة عموما[4]. ويبدو أن هذه التّرجمة قد قدمت خدمة وظيفيّة للقارئ والباحث العربي، فبعد أن ترجم الكتاب الجماعي "التّاريخ الجديد"، تعتبر ترجمته لهذا الكتاب "التّاريخ المفتت" مكملة للمفاهيم والمعارف التي قد يكتسبها الباحث في مجال المناهج الغربية، خاصة وأنه التزم بشروط الترجمة وسعى إلى تخريجها على أكمل وجه .

[1] محمد حبيدة، كتابة التّاريخ قراءات وتأويلات، ط1، دار أبي رقراق،المغرب،2013 ص36

[2] فرانسوا دوس، التاريخ المفتت من الحوليات إلى التّاريخ الجديد، ص368.

[3] محمد حبيدة، كتابة التّاريخ قراءات وتأويلات، ص 37.

[4] محمد الطّاهر المنصوري، تقديمه لكتاب :فرانسوا دوس، التاريخ المفتت من الحوليّات إلى التّاريخ الجديد، ص12.

يمكننا القول أن مدرسة الحوليات ومدرسة التّاريخ الجديد، هي مدرسة كافحت في تثبيت نفسها على السّاحة العالميّة في الكتابة التّاريخية، وتعودت بفضل ميزة التّأقلم على المحافظة على مركزها المحترم، بغض النّظر عن الوسائل التي استعملتها في الحفاظ على ذاتها (مساعدة السلطة السّياسيّة وسلطة الإعلام)، هذا ماجعل روادها أوالمنتسبين إليها مثل "جاك لوغوف" يرفضون أن تنعدم هذه المدرسة وتتفكك وتصبح مدرسة للذكرى لا للتطبيق!!!

ولكن السؤال الذي يطرح نفسة هو ماذا بعد التّاريخ الجديد؟ وهل يكتفي الباحث العربي بقراءة هذين الكتابين مترجمين وفقط ؟ وفي حالة القراءة الجيدة هل سنوظف ما كوّناه من أفكار على أرض الواقع ؟ وهل سيكفي التّوظيف للتعبير عن الجديد؟ وهل يعتبر فعل التّوظيف جديدا بالفعل؟!! أم أننا قد نتحول إلى رواة فقط لم قام به الفكر الأجنبي، خاصة وان حالة السّبات التي يعرفها الفكر العربي لازلت مسقرة على وضعها إلا في بعض الحالات المحسوبة التي تسعى دائما إلى إبداء نيتها في التّجديد ولكن مع الأسف وان تم ذكر تراثنا والمنهج العربي فإنه يذكر بشكل ضئيل وبنوع من الحماسة التي تعبر عن الفخر وما إلى ذلك...!، بينما تستولي المناهج الغربيّة على كافة الطّرح، سواء أ أظهر الباحث ذلك أم لم يظهره !ألا يجب أن يستفيق العقل العربي؟! ، ويبدأ في البحث في تلك المناهج الغربية ولكن ليس لتطبيقها بنظرياتها وقواعدها، وليس لتقديم الإعجاب بها كالمعتاد ؛ وانما للاستفادة مما خلفته ومحاولة التّطوير أكثر فأكثر فيه ومحاولة التّمييز فيه بين الخطأ والصّحيح، مع الرجوع إلى كتب العصر الوسيط التي تمثل القاعدة الأساسيّة لفهم القضايا التّاريخيّة..؛ وبما أن الغرب ولو اشترك في المفاهيم مع العرب ينكر ذلك إلا أقلام معدودة هي التي لا تجحد ذلك ، فعلى الباحث العربي أن يتولى زمام الكتابة العربيّة بضمير تام وبرؤيّة مستقبليّة، كي يتحول التّأليف إلى مهمة أكثر رسميّة، فليس كل من كتب بضعة أحرف يعتبر مؤلفا يجب رفع مستوى التّحدي للكسب

وللمحافظة على المكسب، وهذا ما يحتاج فعلا إلى اتّحاد مثمر، والى نقد وتقبل للنقد في إطار يسمح بالمواصلة والإكمال لا المماطلة والإهمال ؛ على الباحث أن يتساءل عن سبب تواجده، بالأساس في مقام الباحث، أليس لسبب وجيه !

3- انبعاث الحدث وعودة السّرديّة:

كنا قد تعرضنا سابقا في فصل "التّجديد على مستوى الموضوعات" لفكرة طرحها أنصار "مدرسة الحوليات" وتتبعها الطّرح الجديد لها المتمثل في "التّاريخ الجديد"، ألا وهي فكرة رفض الحدث وزجه في الخانة السوداء من البحث، والاقبال على المواضيع الأكثر حيويّة مع التّاريخ الاقتصادي والاجتماعي والتّاريخ الثّقافي، خاصة مع الأبويين الرّوحيين للمدرسة "لوسيان فافر" و"مارك بلوخ"، لكن هذا التاريخ المتحرك لم يلبث كما خطط له الجيل الأول، فقد عدّ في مرحلة أخرى تاريخا "يكاد يكون جامدا" كما عرفه "بروديل" في خطابه الافتتاحيّ في كوليج "دوفرانس" عام 1950م، ثم إلى تاريخ "جامد " مع "ايمانويل لورا لادوي " عام 1973م الذي خلف "بروديل" في كوليج "دوفرانس"[1]. وبدخول التّاريخ في أزمة الهويّة التي طالته جراء انفتاحه على الأنثربولوجيا التي كنا قد تحدثنا عنها سابقا، تطلب الأمر إذا الوقوف على حل لكي تعود حيويّة التّاريخ من جديد[2]، ويبدو أن الحل يكمن في انبعاث الحدث[3] والسّرد من جديد، لكن ما يمكن قوله في هذا الأمر بالذات هو هل فعلا تمّ التّخلي عن الحدث وعن السّرد في الكتابة التّاريخية طيلة هذه السّنوات التي كانت الرّيادة فيها للمؤرخين الحولياتين؟ وهل يمكن التّخلي فعلا عن

[1] فرانسوا دوس،التّاريخ المفتت من الحوليّات إلى التّاريخ الجديد، ص367.

[2] تجدر الاشارة في هذا المقام أن الباحث "لخضر بولطيف" في مداخلاته التي كنا ذكرناها سابقا يرى أن الحل يكمن في التّوجه صوب التّاريخ القيميّ في شكل منظم ومؤطر في مدرسة قيميّة .

[3] خالد طحطح، الكتابة التّاريخيّة، ص133.

الحدث، خاصة وأنه عنصر متحرك في الكتابة التّاريخيّة خاصة مع تطور وسائل الإعلام؟

يصرح الباحث "محمد حبيدة" أن المؤرخين لم يتخلوا عن هذا التاريخ (السّياسيّ) في الوقت الذي كانت فيه موجة التّاريخ الاقتصاديّ والكميّ عاليّة، فقد استمر عدد لا بأس به من المؤرخين في الجامعات الفرنسيّة والأوروبيّة في تناول الأحداث والقضايا السّياسيّة التي رسمت معالم الدّول خاصة في الفترة المعاصرة، والدّليل الأكثر إثباتا على أن التّاريخ السّياسيّ لم يمت ولا يمكن أن يموت، هو توظيف "بروديل " له في أطروحته حول الحوض المتوسط والعالم المتوسطيّ حيث خصص له بابا كاملا جاء تحت عنوان : " الأحداث السياسيّة والأشخاص"[1]،كما وقد أصدر ""جورج دوبي" دراسة حول معركة يوم الأحد في "بوفين"[2] Le dimanche de Bouvine، حيث جعل من الحدث موضوعا للتاريخ من خلال تحليل عميق وشامل لأطوار هذه المرحلة، مركزا عن الأثار التي خلفتها هذه المعركة عبر الزمن، فهي لا تعني فقط الحدث المشهور وانما أصبحت ذكرى في المخيال الجمعي[3]. كما وقد كتب "بيار نورا" عام 1974 مقالة بعنوان "عودة الحدث" ، شدد فيه على ارتباط التّاريخ السّياسيّ بالتّاريخ المعاصر وضرورة عقد الصّلة بين الحاضر والماضي في عمليّة فهم الحدث عبر بعث الماضي في الحاضر أو الحاضر في الماضيّ بحسب زاويّة التّناول[4]، وله أيضا كتاب "أماكن الذّاكرة" Les lieux de

[1]محمد حبيدة، المدارس التّاريخيّة برلين– السّربون – استراسبورغ من المنهج إلى التّناهج، ص124–125.فيما يخص كتاب "بروديل " ينظر أيضا لمقالة :بيتر بوركى،تاريخ الحوادث واحياء السّرد، ضمن الكتاب الجماعيّ :نظرات جديدة على الكتابة التّاريخيّة، تحرير: بيتر بوركى، تر: قاسم عبده قاسم، منشورات المركز القوميّ للترجمة، 2010، ص 381.

[2]للاطلاع أكثر عما تعنيه هذه المعركة في الذاكرة الفرنسيّة ينصح بالرجوع إلى : (محمد الطّاهر المنصوريّ، تقديمه للكتاب الجماعي: التّاريخ الجديد، ص27–28.

[3]عبد الرّحيم الحسناويّ، "عودة الحدث في كتابة التّاريخ إضاءة ابستمولوجيّة" ، مجلة دراسات، ع7، 2018،ص 318.

[4]محمد حبيدة، المدارس التّاريخيّة برلين– السربون– استراسبورغ من المنهج إلى التّناهج، ص 125.

mémoire الذي سار فيه على نهج "جورج دوبي" (يعني دراسة تخص المخيال الجماعي) ، ومن جهة أحرى يرى " جاك روفيل " أيضا أن الحدث الذي يلعب في الوقت نفسه دور الذّاكرة والخرافة في المتخيل الاجتماعيّ يسمح باستقراء هذا المتخيل ذاته[1]. كما وقد تناول "إيمانويل لورا لادوري" في كتابة المعنون ب: Carnival الحوادث التي وقعت في بلدة "رومانس" الصّغيرة أثناء عامي 1579-1580، وهو ايضا لم يركز على الحوادث في حد ذاتها وانما ماتكشفه عن الثّقافة التي حدثت في رحاب هذه الحوادث، كما وقد ألف كتابا آخر ذواهميّة سماه :" الحادث الخلاق événemment matrice" الذي "يدمر البنى التّقليديّة وحلّ محلها بنى جديدة"[2].

وتجدر الإشارة إلى أن الاهتمام بالحدث والذّاكرة زاد بشكل كبير في أبحاث النّصف الثاني من القرن العشرين وذلك بعودة سلسلة " الأيام التي صنعت فرنسا" برعاية مؤسسة "غاليمار" وكذلك من خلال المساهمة المتميزة لكثير من المؤرخين المشهورين في مشروع مكتبة " التّواريخ الكبرى لتاريخ فرنسا" الذي أشرف عليه "آلان كوربان"[3].

ومن جهة أخرى كان المؤرخ الأمريكيّ[4] "لورنس ستون" قد نشر مقالة بعنوان : "عودة السّرديّة" في عام 1979م لاحظ فيها أن سرديّة جديدة بدأت تبرز في أغلبيّة الأعمال التّاريخيّة، وبخاصة بعد أن تبنى المؤرخون الاجتماعيون والثّقافيون أساليب السّرد في عرض منتوجاتهم التّاريخيّة ن وقد كان لهذه المقالة وقع كبير على دارسي الكتابة التّاريخيّة حيث اعتبر كثيرون منهم أن عام 1980 م يمثل بداية "المنحنى السّردي" ، وقد دعا "ستون" إلى اعتماد سرديّة تتمسك بقواعد الكتابة التّاريخية المعتمدة على الملاحظة

[1] عبد الرّحيم الحسناوي،"عودة الحدث في كتابة التّاريخ إضاءة ابستمولوجيّة "، ص318

[2] بيتر بوكي، تاريخ الحوادث واحياء السّرد، ص378.

[3] خالد طحطح ويوسف المهاجر،" قراءة في كتاب "انبعاث الحدث" لفرانسوا دوس"، مجلة أسطور ع1، 2015، ص167.

[4] أما في مقالة بيتر بوركى، تاريخ الحوادث واحياء السّرد، يقول أنه بريطاني للاستزادة أنظر : (ص378.)

والتّجربة والبديهة وليس على نظريات الحتميّة الاقتصاديّة والبنيويّة الاجتماعيّة[1]. وقد اهتم "فرانسوا دوس" بموضوع الحدث منذ سنة 1978 م حيث يرى أن الحل لهذا الموت المؤجل (أزمة التّاريخ) لن يأتي إلا بالقطع النّهائيّ مع الخطاب الجامد لمدرسة الحوليات الفرنسيّة [2]، يقول :"إنّ إعادة الاعتبار للحدث هي إذا ضرورة لبناء تاريخ جديد"[3]. وبتراكم البحث على مستوى الحدث، أصبح هذا الأخير مدخلا متميزا إلى العالم الاجتماعيّ خاصة عبر الاستعادة الاختزاليّة للوتقع منذ أعمال ندوة "الحدث" في "ايكس بروفانس" التي أشرف على تنظيمها المركز الجنوبيّ للتاريخ الاجتماعيّ في "مرسيليا" عام 1986م ومنه بدأت تتغير النّظرة التبسيطية المأخوذة عن الحدث التي ترمي عادة إلى التقاطه والتأكد من صحته، لقد أصبح يعبر عن بناء يحيل على مكونات المجتمع باعتبارها قاعدة رمزيّة والحدث يصنع بطريقة لا خطيّة الذّاكرة الجامعيّة التي يمكن أن تتبناه أو تتخلى عنه أو تحوله[4].

وقد أعطى "فرانسوا دوس" في كتابه "انبعاث الحدث" نبذة تاريخيّة عن مفصلة عن تطور مكانة الحدث التّاريخي وبشكل أوسع في مجموع العلوم الإنسانيّة ولم يعطه أي للحدث شكلا خطيا أحاديا وانّما وضعه ضمن سياق من التّحولات التي صاحبت الكتابة التّاريخيّة في مرحلة القرن العشرين[5].

ومن علامات عودة التّاريخ السّياسيّ مجددا للواجهة يذكر الباحث "خالد طحطح" أمثلة على تطور الأبحاث في التّاريخ المعاصر في فرنسا على سبيل المثال فقد تمّ توجيه مرشحين لإنجاز أطروحاتهم موسم 1983/1982م نحو مواضيع تطور الاقتصاد

---

[1]قيس ماضي فرو،المعرفة التّاريخيّة في الغرب مقاربات فلسفيّة وعلميّة وادبيّة،ط1، منشورات المركز العربي للأبحاث ودراسة السّياسات، الدّوحة، 2013،ص237.

[2]خالد طحطح ويوسف المهاجر،"قراءة في كتاب "انبعاث الحدث" للمؤرخ فرانسوا دوس"، 165.

[3]فرانسوا دوس، التّاريخ المفتت من الحوليّات إلى التّاريخ الجديد، ص378.

[4]خالد طحطح ويوسف المهاجر، "قراءة في كتاب "انبعاث الحدث" للمؤرخ فؤانسوا دوس" ، ص 186.

[5]خالد طحطح، الكتابة التّاريخيّة، ص132.

الألماني، الفرنسي، الروسيّ، والأمريكيّ في الفترة ما بين 1914–1950م، وفي الموسم الموالي 1985/1984م طلب من الباحثين التّركيز على موضوع الحياة السّياسيّة في ألمانيا وفرنسا وبريطانيا، ما بين 1945–1969م[1].

قد كنا سابق رأينا كيف تعامل "جورج دوبي" مع الحدث في تأريخه لمعركة يوم الأحد ببوفين، بحيث لم يركز على الحدث بحد ذاته وانما انصب تركيزه على الأثار المترتب عن هذا الحدث، فشغلت بالنا العديد من الأسئلة عن هذه المنهجيّة في التّعامل مع الحدث، لنجد جوابا لنا في كتابات "عبد الله العروي" الذي تطرق هو الآخر لهذا الموضوع، بحيث يرى أن المؤرخ المحلل لا ينطلق من الحدث بل من الأثر المترتب عنه، فيجب الكلام على عودة الحدث، وعمل المؤرخ يتلخص في تحقيق علاقة الأثر بأصله وهذا الإحياء يتم في شكل إحياء الحدث التّاريخيّ بالمعنى الدّقيق، ويصبح الحدث التّاريخي حدث المؤرخ وللمؤرخ أي نتيجة بحث ونظر وتحقيق[2].

لكن ما يجب التّنويه إليه هو كون الحدث لم يعد منحصرا فقط في المجال العسكري والدّبلوماسيّ فقط وانما راح ليندمج فيما يعرف بالتّاريخ المباشر أو تاريخ الزّمن الرّاهن[3]، وفي حوار مع الأستاذ "محمد حبيدة" طرحت عليه "حكيمة حكوش" التي كانت قد أجرت هذا الحوار، سؤالا يخص اقتحام المؤرخين لهذا المجال في الكتابى التّاريخية، نستعرض نص السؤال فيما يأتي:

كريمة حكوش: "يلاحظ المهتم باتّجاهات البحث التّاريخيّ في الجامعة المغربيّة في المدة الأخيرة توجه بعض المؤرخين نحو ما يسمى بـ:"الزّمن الرّاهن أوالتّاريخ الفوريّ" كما يقول الصّحفيّ الفرنسيّ "جان لاكوتير" .كيف تفسر اقتحام المؤرخ لهذا المجال الذي ظل

[1] حالد طحطح، عودة الحدث التّاريخيّ، ط1،دار توبقال، المغرب،2014، ص42.

[2] عبد الله العروي، مفهوم التّاريخ1،ص 78.

[3] عبد الرّحيم الحسناويّ،"عودة "الحدث" في كتابة التّاريخ إضاءة ابستيمولوجيّة" ، ص319.

إلى وقت قريب حكرا على المختصين في علوم السّياسة والاجتماع وعلى الصّحفيين أيضا؟".

فكان رده ذكيّا نوعا ما في أنه أراد أن يظهر لها أولا أسباب تحفظ بعض المؤرخين في الخوض في الزمن الرّاهن، وقد أرجع هذا إلى ثلاثة أسباب هي:

-أولا السبب المنهجيّ: وذلك لأن المقاربة الموضوعيّة تستلزم من حيث المبدأ وجود مسافة زمنيّة بين الباحث وموضوع البحث.

-ثانيا السّبب المعرفيّ: وذلك في كون أن التّاريخ بالمنظور الوضعانيّ لا يكتب انطلاقا من شهادات ومذكرات وخطابات وجرائد وروايات شفهيّة بل يعتمد على الوثائق المكتوبة .

-ثالثا السّبب السّياسيّ: يتمثل في حساسية المرحلة وارتباط رجالاتها بتفاعلات ما يجري اليوم على السّاحة السّياسيّة[1].

يبدو أن "إبراهيم القادري بوتشيش" هذا الباحث الفذ الموسوعي، له أيضا رأي وجيه فيما يخص التّاريخ الرّاهن وقد كانت مساهمة له مميزة فيه، في عام 2020م عام أزمة الكورنا أوما يعرف بكوفيد 19 ، حيث تمّ تأليف كتاب جماعي، كان عنوانه: "أي دور للمؤرخ في فهم أزمة الكورونا؟" قام بعرضه الباحث ذاته على صفحته الشخصيّة على الفايسبوك وكنت قد تساءلت حينها عن سرعة التأليف في هكذا موضوع آني (لأنه برأيي يحتاج وقتا أطول لفهم أدق) فكان رده أنه كتاب فيه تأملات في التّاريخ الرّاهن أوما يعرف بتاريخ اللّحظة يحاول فيها المؤرخ العودة لأزمان الأوبئة في التّاريخ كمحاولة الفهم والاستشراف[2]، ويرى الباحث "بوتشيش" أن السؤال الذي أثاره المركز السّابق الذّكر، هوسؤال اشكاليّ ذووظيفة مركبة، فهويروم إعادة التّفكير في مسؤوليّة وانخراطه وتفاعله

[1]كريمة حكوش، حوار مع محمد حبيدة بعنوان : "التّاريخ والمعرفة لا معرفة تاريخيّة دون رؤية أنثربولوجيّة " موجود على الأنترنت، الرابط : mominoun.com/artile تم تصفحه يوم 09-08-2020 .

[2]تم نشر هذه المعلومة على صفحته الخاصة على الفايسبوك بتاريخ 23-08-2020.

مع قضايا مجتمعه وعدم بقائه في مقعد المتفرج[1]؛ وكنا قد قرأنا مساهمته هذه، نستعرض لكم في شكل ظريف ما قاله في هذا المقام: "لا يتأتى فهم وادراك أزمة كورونا اعتمادا على الخلفيات النّظريّة فحسب، بل يستدعي تدخل المؤرخ لتطعيمها بإجراءات تطبيقيّة لتعميق الفهم .ومن إعادة قراءة النّصوص الخاصة كماضي الجوائح والأوبئة على ضوء العلوم الحديثة لاستخراج إحصائيات ومبيانات أعداد الموتى، وتحليل معدلات الفتك والاصابة وطرق التّصدي والمواجهة ثم الوقوف على الغلاف الزمنيّ الذي كان يستغرقه الوباء وتحصيل المعدل والنّسب وتحديد خرائط الانتشار المكانيّ والانعكسات الدّيموغرافيّة بهدف المقارنة مع الوضع الوبائي الحالي واستكشاف المعطيات وتوظيفها للفهم من زاويّة تاريخيّة..[2]".

لكن ما شد انتباهنا كثيرا في مقال الدكتور "بوتشيش" السّالف الذّكر، والحديث النّشر هو تركيزه على الجانب القيميّ والأخلاقيّ في الكتابة التّاريخيّة الذي رافقه طيلة هذا المقال[3]، وهوما يجعلنا نربطه مباشرة بفكره كنا قد قرأناها في مقال للأستاذ لخضر بولطيف والمعنون بـ: من المدرسة الماديّ إلى المدرسة القيميّة... مدرسة التّاريخ الاقتصاديّ والاجتماعيّ استيعاب وتجاوز وبشارة"، الذي كنا قد استفدنا منه كثيرا في دراستنا هذه، بحيث وضع كيفية تبلور القناعة بسؤال الأخلاق لدى الباحث "القادري بوتشيش"[4]. هذا ما رأيناه إضافة ومشاركة مميزة في مقام "سؤال الأخلاق" ولعله يكون

---

[1]إبراهيم القادري بوتشيش، أي دور للمؤرخ في فهم أزمة جائحة كورونا؟ ترتيبات نظريّة واجرائية لبناء عتبة الفهم الأولي، ضمن الكتاب الجماعيّ: أي دور للمؤرخ في فهم أزمة كورونا؟، تنسيق: سعيد الحاجيّ، ط1، منشورات مركز كامل للدراسات والأبحاث، المغرب، 2020،ص14.

[2]إبراهيم القادربوتشيش ، "أي دور للمؤرخ في أزمة جائحة كورونا ؟ترتيبات نظريّة واجرائية لبناء عتبة الفهم الأولي"، ص26.

[3]أنظر نفس المقال، ص 15-17-24-27.

[4]لخضر بولطيف،" من المدرسة الماديّة إلى المدرسة القيميّة .. مدرسة التّاريخ الاقتصاديّ والاجتماعيّ استيعاب وتجاوز وبشارة"، ص28.

دفعة قويّة للمدرسة القيميّة مستقبلا، وان كانت العودة إلى الحدث ليست بالأمر الجديد فعليا لأن الحدث لا يمكن أن يغيب في الكتابة التّاريخيّة لأنه عنصر فاعل، ولا يمكن أبدا تجاهل دور الفرد في التّاريخ، فمن دون الفرد لا يمكن الحديث عن التّاريخ ! فالحدث يبقى حاضرا، لكن الباحثين الحولياتيين قاموا باسدال السّتار عليه، هذا السّتار الذي لابد أن يأتي يوم ويزال وبالتالي عودة الحدث كان أمرا متوقعا منذ البداية، وقد لعبت وسائل الإعلام والتكنولوجيا والثورة المعلوماتيّة دورا عظيما في إبرازه أكثر فأكثر خاصة مع التّاريخ الرّاهن، وبالتالي يتسنى لنا البحث عن الجديد في مجالات أقل حضورا في الكتابة التّاريخيّة العربيّة رغم أهميتها الكونيّة، وقد يكون سؤال الأخلاق أحد هذه المنافذ التي ربما ستدفع بالباحث العربي إلى الأمام وستعطيه فرصة للإبداع.

ثانيا- المنهج التّاريخي بين التّناهج والتّحديث:

إن المعرفة التّاريخيّة هي معرفة قائمة في الأساس على مبدأ التّطور[1] والدّليل على هذا كوّن التّاريخ واحدا من العلوم التي تأبى أن تزول، إنه حاضر في كل العلوم، حتى غدا لكل علم تاريخ خاص به .

وبين التّاريخ والتّأريخ خطوات متصلة ثابتة وواعيّة ؛ على الباحث أن يتحلى بها ويتمرس عليها كي ينتج معرفة متناسقة، هذا التّمرس سيظهر عيانيا للقارئ المتمعن والباحث المتخصص عند قراءة المحتوى الفكري للمؤرخ، من خلال عنصر مهم هو اساس البحث ولا يقوم كيانه إلا به لأنه محرك للبحث وموجه له، طبعا إنه المنهج .

[1] للإطلاع أكثر على خاصية التّطور في الفكرة التّاريخيّة ينصح بالرجوع إلى كتاب : فرانزر روزنتال، علم التّاريخ عند المسلمين، تر: أحمد صالح العلي، ط2 ، مؤسسة الرّسالة، بيروت، 1983، ص90./قسام عبده قاسم، تطور منهج البحث في الدّراسات التاريخيّة، ص18.

ولكن السؤال الذي يجوز طرحه في هذا المقام هو: في ظل التّطورات المعرفيّة وكثرت الأبحاث البيداغوجيّة هل سيحافظ المنهج على أهميته؟ وفي حالة التّطوير فيه هل سيبقى كفيلا بحمل مسؤولية البحث وتخريجه بصفة علميّة؟

1- مناهج متعددة أو اللامنهج:

مما لا ريب فيه ومما هو متفق عليه بين جموع الباحثين مشرقا ومغربا،عربا وغربا، مسلما وملحدا، أن مسألة المنهج هي مسألة ضروريّة عند الخطو في أي بحث يحمل في مقاصده صفة نهج العلميّة .

لكن مما لا يتفق عليه حتى اللّحظة الرّاهنة هو مسألة أي منهج هو الأنسب لهذا البحث أوذاك البحث ! خاصة مع الباحثين المبتدئين، فمن شروط التّخرج من الجامعة على سبيل المثال يقوم الطّالب بإعداد بحث علمي، يحمل موضوعا ما، هذا الموضوع يحتاج منهجا يقوم البحث بأكمله عليه، خاصة وان الاعتراف بالمنهج في مقدمة البحث يعد مسلمة فكريّة وخطوة ضروريّة .

ولسنا هنا في مقام التّعريف بالمنهج أو المناهج، فكتب المنهجيّة التي هي في تزايد مستمر في عصرنا الحالي، لم ولا تغفل أبدا هذه الخطوة التي أصبحت متوارثة لدى معظم الباحثين ومن كثرت التّعريف بالمنهج (لغة واصطلاحا) صرنا نرى الأمر أصبح مبتذلا في كثير من الأحيان، فنحن كجيل صاعد، نحتاج إلى وعي أكبر في كيفيّة استخدام هذه المناهج! فما الفائدة إذا تمّ التّعريف بالمنهج وبقي رهنا لتعريف ما ولا يطبق أي لا يخرج من النطاق النّظري إلى التّطبيقي؟ وان كانت رغبة الباحثين تكوين مدرسة عربيّة موحدة أو قطريّة، فإن هذه المدرسة لن تؤسس ما لم يتقن روادها تطبيق المناهج !

يوجه الباحث القدير الأستاذ "لخضر بولطيف" الأصبع في مواضع الخلل المنهجي في الكتابة التّاريخيّة، أين طرح في أحد كتبه[1]، مسألة التّعدد في استخدام المناهج في البحث التّاريخي، حيث يري أن بعض الباحثين يعمدون في بحوثهم إلى ذكر مناهج متعددة جرى توظيفها في أبحاثهم (التّاريخي، الوصفي، التّحليليّ الاستقرائي، النّقدي ...) لكن الأمر ليس بهذه البساطة، فليس مجرد إعمال الوصف في البحث يعني أن الباحث استخدم المنهج الوصفيّ وكذا التّحليل يعني المنهج التّحليلي، والاستقرائي منهجا استقرائيّا... إلخ في حين أن الأمر لا يعدو توظيف المنهج التّاريخيّ الذي يقوم بدوره على العديد من الآليات كآليات الوصف والتّحليل والنّقد والمقارنة والاستقراء والاستنباط[2]. وقد جعل هذا الخلط بين المناهج والآليات إحدى الخطيئات البحثية التي قد يقع فيها الطالب أو الباحث بصفة عامة، ونضيف لتبليغ المعلومة بشكل أكثر مفهوم، أنه ليس كل من وصف ظاهرة تاريخيّة ما، أو وصف شخصيّة تاريخيّة أو معلما تاريخيّا يعني أنه استخدم منهجا وصفيا، وليس الاشتغال على تحليل قضية ظاهرة ما، أو روايّة تاريخيّة ما، أو حتى نصا من النّصوص التّاريخيّة يعني أن الباحث تضبط فعلا المنهج التّحليلي[3].

ما نوّد التّأكيد عليه في هذه الجزئيّة من البحث، هو انه ليست كل المناهج صالحة وقابلة للتماشي مع البحث التّاريخي، لكن كيف ذلك ؟ حسنا سنجيب عن هذا السؤال بتذكيرنا لما قمنا به في العنصر السّابق من البحث أين عرفنا ببعض من المناهج الغربية التي تمت ترجمتها، تلك المناهج من بنيوية وتفكيك وترميز وهيرومنيوطيقيا أمكن لها أن

---

[1]كتاب الفقه والتّاريخ في الغرب الإسلاميّ مقاربات منهجيّة، الذي قام البحاثة "أبو القاسم سعد الله" –رحمه الله– بتصديره والذي عبر عن إعجابه الشديد به، يقول : "لا أكتم على القارئ بأنني قلما صدرت كتابا مثل "الفقه والتّاريخ " ؛ الذي جمع بين دقة النهج وعمق التّحليل وقوة اللغة وجمال الأسلوب والقدرة على التّوثيق .." للاستزادة أنظر : (تصدير أبو القاسم سعد الله، لكتاب: الفقه والتّاريخ في الغرب الإسلاميّ مقاربات منهجية، ص 12.)

[2]لخضر بولطيف، "نحو مدرسة جزائريّة فتح ملفات عالقة"، ضمن كتاب : الفقه والتاريخ في الغرب الإسلاميّ مقاربات منهجيّة، ص303–304.

[3]لخضر بولطيف، مداخلة بعنوان : الخطايا الخمسة في المنهجيّة (الخطيئة الخامسة : الخلط بين المناهج الآليات).

تكون صالحة في القضايا التاريخية بصفة عامة، قد يتساءل الباحث ويقول لم؟ ببساطة لأنها مناهج تعمل على النّصّ كوحدة مستقلة وبالتالي فهي تشتغل على التّاريخ بمعناه الأصلي الذي يدل على الحوادث السابقة الغائبة الغير حاضرة وحضورها مقتصر على الوثيقة وبالتالي فهي متوافقة ومتماشيّة مع الشّروط الموضوعيّة للدراسة التّاريخيّة وبالتالي تحقق انسجاما موضوعيّا وعضويّا ولو اختلفت طرائق كل منهج في تعامله مع النّصّ . أما المناهج التي هي في الأصل غير صالحة للبحث التّاريخي ونشهد بالفعل تصريح أغلبية الباحثين بعملهم بها، بل وأن هنالك من يجعلها ركيزة أساسيّة من أساسيات البحث، ويفرض وجودها ضمن قائمة "المناهج المعتمدة " نذكر على سبيل المثال لا الحصر ثلاثة مناهج متداولة، ألا وهي المنهج الوصفي، المنهج المقارن، المنهج التّحليلي، هذه المناهج –التي كما ذكرنا سابقا بنزع كلمة المنهج يصبح الوصف والتحليل والمقارنة فيها آلية من آليات المنهج التّاريخي– ، هي مناهج مباشرة وهي تصلح للمواضيع البحثية المعاصرة أو الأثريّة على الأغلب أكثر من البحوث التّابعة للعصر الوسيط، كيف ذلك؟ سنتولى توضيح ذلك، فالوصف والمقارنة هما منهجان يقومان على الحوادث الماثلة، الظاهرة، المعاصرة ذلك أنهما يقتضيان وجود عناصر للتطبيق المباشر، وهذا منافي للوقائع التّاريخيّة التي تكمن خاصيتها في معرفتها بصفة غير مباشرة من خلال المخلفات، فمنهج التّاريخ يختلف عن منهج العلوم المباشرة اختلافا جذريّا، فإذا كان الوصف يقوم على الملاحظة المباشرة، فإن عمل المؤرخ يعتمد في الأساس على التّفكير وإن عرض الوثيقة للملاحظة، لكن بعد ذلك لا يتوفر على شيء يلاحظه ومن ثمة يستخدم تفكيره للوصول إلى نتائج سليمة، فالوثيقة تعد بالنسبة له وسيلة انطلاق والحدث الماضي هو نقطة الوصول[1]، كذلك هو الحال بالنسبة للمقارنة التي تقوم على ضرورة

[1] هذه الفكرة في الأصل للنغلوا وسينوبوز، أورد محمد حبيدة نصا لهما في كتابه : المدارس التّاريخية برلين –السربون– استراسبورغ – من المنهج إلى التّناهج، ص 142.

اختيار في وسط أو اوساط اجتماعيّة متعددة ظاهرة أو ظاهرتين والإقدام على الجمع بينهما بأوجه التّشابه والاختلاف ؛ تصبح المقارنة غير ضروريّة بل وقد صرح أحد الباحثين بانتفاء قيمتها في حال إذا ما استندت إلى دراسات غير ملموسة؛ وكذلك هو الحال مع التحليل الذي لا يمكن "أن يكون في خدمة التركيب إلا إذا وضعه نصب عينيه منذ البدايّة واهتم بخدمته"[1]. وبالتالي فالحل هنا لتجنب مثل هذه الانزلاقات في بحوثنا يتطلب منا معرفة أكثر لعلم المناهج والتعرف على خصائص كل منهج وما يحويه من آليات[2]، إذا فالقضية قضية وعي وادراك بالدرجة الأولى، وفي في حال الإدراك سيزول الإبهام والارتباك والتّشويش في ما يخص المنهج المتبع، فيصبح الباحث قادرا على ضبط منهجه الذي هو بمثابة رفيقه منذ البداية إلى النّهاية .

وعلى كل فإنه يجدر علينا الإشارة إلى العلاقة بين المنهج والآليّة التي هي علاقة الكل بالجزء أو الجزء بالكل، حيث أن المنهج يمثل الكل والآليّة تمثل الجزء، فالعلاقة بينهما تشبه علاقة المشكلة بالاشكالية وبالتالي فالقضية إذا هي قضية احتواء، قضية من يحتوي من! فمثلما تحتوي الاشكاليّة على مجموعة من المشكلات، فالمنهج كذلك يحتوي على مجموعة من الآليات التي تدور في فلكه وتكون بمثابة المساعدة التّقنيّة له.

وقد قام طلبة الأستاذ "لخضر بولطيف" –ممن نحسبهم روادا للمدرسة القيميّة– ، بالسّير وفقا لما علمهم شيخهم، نستعرض لكم فيما يأتي[3]، بعضا من الكتابات التي أقرها هؤلاء –طلبته– في بحوثهم حول المنهج المتبع في بحثوثهم.

---

[1] هذه الفكرة في الأصل هي لمارك بلوخ أورد محمد حبيدة نصا له في كتاب: المدارس التّاريخيّة برلين – السّربون – استراسبورغ من المنهج إلى التّناهج، ص 178–179.

[2] لخضر بولطيف، محاضرة الخطايا الخمسة في المنهجيّة (الخطيئة الخامسة : الخلط بين المناهج والآليات) .

[3] تجدر الإشارة إلى أننا لم نذكر جميع المذكرات أوالأبحاث لأنها كثيرة لكننا سنكتفي بذكر البعض فقط لتوضيح الرؤيّة .

-شعيب زاوي: "أما فيما يخص المنهج فقد استخدمت المنهج التّاريخيّ بمختلف آلياته فوظفت آلية التتبّع والاستقصاء في [كذا] ... إضافة إلى آلية التّحليل.."[1].

-حورية درفولي: "بدت الآليات التي ينطوي عليها المنهج التّاريخي الأنسب لدراسة مثل هذا الموضوع ..."[2].

-رزيقة بلحوت: "واما المنهج فقد إخترنا أن نسلك في معالجة إشكالاتنا المعلنة على سبيل المنهج التّاريخيّ معتمدين آلية التتبع والاستقصاء... بينما كان معولنا على آليتي الوصف والتّحليل... فضلا عن آلية النّقد والتّمحيص... والمقاررنة والمقابلة"[3].

-مروة سراي : "ولئن استدعت طبيعة البحث اتباع المنهج التّاريخيّ فإننا قد وظفنا اثنتين من آلياته : الأولى، آلية الاستقراء ... الثّانية، آلية الوصف..."[4].

2- التّناهج أو التّركيب المنهجيّ:

ارتبط تطور المناهج التّاريخيّة بتعدد الرؤى وتجددها باستمرار، فالقرن الثّامن عشر ميلاديّ مثلا عرف بمرحلة الإشباع الفلسفيّ (قرن الأنوار)؛ والقرن التّاسع عشر كان عصرا طغت فيه الوثيقة والحدث على السّاحة التّأريخيّة بامتياز، ثم القرن العشرين الذي دخل بحيوية كبيرة أين قلب الموازين، وراح يبحث في مواضيع أكثر خصوبة في مجالات أكثر توسعا ..

وهكذا هي حالات الفكر، في تغيير دائم تناشد جوهر الإنسان بالإتيان بالجديد.

---

[1] شعيب زاوي، جدل الفقه والتّصوف في المدرسة المدينيّة بالمغرب الإسلاميّ (ق06-08 هـ / 12-14 م)،مذكرة ماستر، تحت إشراف: لخضر بولطيف، قسم التّاريخ، جامعة المسيلة، 2016-2017، ص05.

[2] حوريّة درفولي، صورة الأنا والآخر في كتب الرّحلة -العصر الوسيط - ، ص ج.

[3] رزيقة بلحوت، خطاب الرؤى بين الأمراء والأولياء في الغرب الإسلامي، ص 05.

[4] مروى سراي، التّعالي بالسّياسيّ في الغرب الإسلاميّ على عصر المرابطين كتاب وشعراء تحت الطلب، مذكرة ماستر، تحت إشراف : لخضر بولطيف، قسم التّاريخ، جامعة المسيلة،2018-2019 ص 03.

من هذا المنطلق جاز لنا طرح التساؤل الآتي: ما هو التّناهج ؟ وكيف يحدث التركيب المنهجي؟

في الحقيقة لعب كتاب "محمد حبيدة" المعنون بـ: "المدارس التّاريخيّة برلين – السّربون – استراسبورغ من المناهج إلى التّناهج " دورا هاما في فكك شيفرة التّناهج فيما يخص هذا الجزء البحثي، فنحن لم نصل إلى معنى دقيق لماهية هذا المصطلح، عدا كونه يعد نوعا من التّمازج والانصهار بين عدد من الآليات، أوانه ما تكمل به أساليب البحث[1]. وهذه التّكامليّة في أداء البحث أمكنها أن تكون إما توفيقيّة أوتلفيقيّة، فهي تعتمد في الأساس على قدرة الانسجام فيما بينها، فإذا حدث وان تلاءمت جملة الآليات المنهجيّة مع بعضها البعض كانت توفيقيّة؛ وفي حالة الاستخدام اللاواعي للآليات عن طريق "الانتقاء المتعسف[2]" لها كانتقاء المناهج الغربيّة المترجمة بكثرة التي هي في الأصل غير معهودة في الثّقافة العربيّة وبالتالي يغيب الوعيّ المنهجيّ ويمكن أن يدخل في اللاوعي، واللّانسقيّة[3].

بغيّة الغوص أكثر في هذا المجال اخترنا أن نميّز بين توظيف ثلاثة من المؤرخين[4] المغاربة المعاصرين للتّناهج في بحوثه، فوقع اختيارنا على الباحث : "لطفي عيسى" من "تونس"، والباحث: "الطّاهر بونابيّ" من "الجزائر" والباحث: "محمد مفتاح" من المغرب .

إذا فلنبدأ بكتاب "لطفي عيسى"، "مغرب المتصوفة" في الحقيقة هذا الكتاب تم نشرة موفى سنة 2005 تحت عنوان آخر هو "مغرب المتصوفة الانعكاسات السّياسيّة والحراك الاجتماعيّ من القرن 10 إلى القرن 17 م، وفي سنة 2018 أعيد طبعه ونشره تحت عنوان "مغرب المتصوفة" ، وفيه تمّ تعديل المحتوى أطروحة الدكتوراه الذي كان قد ناقشها

[1] عبد الله العروي، مفهوم التّاريخ 01 ، ص 195.

[2] الذي يحدث في الغالب حسب رأيي بسبب الانبهار الشديد بما قدمته النظريات الغربية .

[3] كاملة مولاي، "التّركيب المنهجيّ لدى محمد مفتاح (تناهج أم تلفيق)" ، مجلة المعيار، ع 3، 2011، ص 100.

[4] يشترك هؤلاء الباحثين في كون أولى بحوثهم الأكاديميّة كانت في مجال التّصوف.

في كلية العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة التّابعة لتونس، يقول قبل خمسة عشر سنة[1] ، ولأننا في 2020م نقول قبل سبعة عشر سنة .

في هذا البحث عمد الباحث "لطفي عيسى" على معاودة الاشتغال على الموضوع من زاوية تعقب العلامات البارزة لتاريخ التّصوف بالمغرب الإسلاميّ من خلال التّركيز على أشكال تطورها على المدى الطويل[2] ، ولأن السير المناقبية تعد على تماس المعرفة الدينية العالمة من جهة وما اكتنزته الذّاكرة الجماعيّة في شكل موروث مشاع، عمد الباحث على مقاربتها بذاتها ومكافحتها بغيرها من الوثائق التّاريخيّة؛ ثم تعرض للظاهرة المدروسة من خلال تفحص سير رموزها من أرباب التّصوف المؤسسين وتفكيك تنظيمها الشّبكيّ من خلال التّوقف عند مميزات الطوائف والطرق... من خلال استعراض عينات مساريّة مقارنة.. وقد صرح بأن تعامله مع سير الصلحاء قد تطلب توسيعا لمجال البحث، وذلك من خلال الانفتاح على مدونات مصدريّة احتاج رفع الحجر المضروب عليها تجاوز سلبياتها المتمثل في تعقد التّلفيق وتشويه الخبر الموضوعيّ عبر تكثيفه رمزيا بغية أحداث وقعة في نفس المتلقي[3] .. ويحدد "لطفي عيسى" دور المؤرخ في تحديد سياق التّأويل وليس البحث عن تأويل، فمهمة المؤرخ هي البحث غن سياق ما كي يستطيع فهم السّبب الذي دفع عامة النّاس إلى إظهار تمسك بهذا الإرث كجانب من هويتهم يدينون له بأشياء متعددة[4] .

يقول الباحث: "لئن لم تخرج دراستنا عن الشّروط النّاظمة لصناعة التّاريخ مفضلة الالتزام بمقوماتها والاستفادة من مكاسبها أيضا. فإنّ طبيعة المتن المصدريّ الذي وظفناه

---

[1] لطفي عيسى، مغرب المتصوفة، تونس، 2018 ، ص 06.

[2] ففي الطبعة القديمة صرح علانيّة بأنه استلهم توجهاته من مدرسة الحوليات خاصة مع صياغة "بروديل" لما سماه بالأمد الطّويل . للتزيد أنظر : (لطفي عيسى، مغرب المتصوفة، منشورات كلية العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، تونس، 2005 ص 08.)

[3] لطفي عيسى، مغرب المتصوفة، ص 06 – 08.

[4] لطفي عيسى، مغرب المتصوفة، ص10.

لإنجازها قابلة للقيام بأبحاث متنوعة منها ما يتصل بالمأثورات التّراثيّة اللاماديّة كمدونة الإنشاد وتوصيف الطّقوس والمواكب الاحتفاليّة المقامة بأضرحة الأولياء وذلك وفق معالجة أثنوغرافيّة. / أو والانفتاح على الجوانب الأنثربولوجيّة المتصلة بالممارسات الدّينيّة والثقافيّة تحديدا لكيفيّة حصول التّثاقف acculturation ، وتغيير اتّجاه التّسويّة nivellement نزولا إلى أسفل أوارتقاء إلى أعلى"[1].

ما يمكن ملاحظته على كتابة هذا الباحث هو تصريحه المعلن بتأثره بمدارس ومناهج الغرب، ولكن تأثره هذا لم يمنعه من الكتابة بنوع من الافتخار بالذات العربيّة، خاصة وانه صرح نيته في أول طبعة لكتابه إنه يريد إثبات عكس ما خطه العرب على فترته المدروسة بأنها مرحلة انحطاط واختار بوابة التّصوف من أجل هذا التّصديّ.

الآن علينا استنتاج مظاهر التّناهج في كتابته، يظهر التناهج في كتابته من خلال محاولته للجمع بين معطيات الأمد الطويل ومحاولة تفكيكها ومن جهة أخرى تحدث عن الرمز لم له علاقة بالمناقب وبالتالي فإن اشتغاله على النّص لم تغب عليه روح المناهج اللسانية بآلياتها المختلفة .

ننطلق الآن إلى الباحث الثاني، وهو: "الطّاهر بونابي"[2]، بداية وجب علينا أن نشير إلى أن هذا الباحث يكتسب خبرة كبيرة في مجال المدارس والمناهج ولربما ذلك يعود

[1] لطفي عيسى، مغرب المتصوفة، ص 14.

[2] من مواليد 29-10- 1964 م، بعين تاغروت، ولاية برج بوعريريج، نال شهادة الباكلوريا تخصص الآداب سنة 1986 ، تحصل على شهادة ليسانس تخصص تاريخ، دفعة 1989-1990 ، بجامعة منتوري بقسنطينة نال على شهادة الدّراسات المعمقة التّحضيريّة لشهادة الماجيستار سنة 1991 ، بجامعة الجزائر، في تخصص التّاريخ الوسيط الإسلاميّ نال شهادة الماجيستار بتقدير مشرف جدا بجامعة الجزائر سنة 1999 - 2000 م، ونال شهادة الدّكتوراه في تخصص تاريخ وسيط إسلاميّ بجامعة الجزائر عام 2009-2010م . وشهادة التّأهيل الجامعيّ سنة 2012 م ، بدأ تدريسه بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة منذ سنة 2002 ، وتولى تدريس العديد من المقاييس من المرحلة الكلاسيكيّة إلى مرحلة ل- م - د، نذكر من بينها : ممشرق إسلامي، منهجيّة إعداد مذكرة،الحياة الفكريّة بالمغرب الأوسط، التّصوف في الغرب الإسلاميّ ... إلخ، أشرف على العديد من الأطاريح الجامعيّة في مختلف الأطوار (

لتوليه تدريس العديد من المقاييس ذات الصّلة بالمنهجية في الجامعة الجزائريّة[1]، وقد تعلمنا من خلال محاضراته أن المنهج يقوم على ثوابت هي : التحقيق، النّقد، المقارنة، ولامسنا من خلال كتاباته روح المنهج الذي لا يغيب عنها ففي كتابه المعنون بـ : "مظاهر المجال والدّين والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط" ، قام بتأطير قضايا المجال والدّين والمجتمع بالمغرب الأوسط ضمن قوالب من المقاربات التّاريخيّة والمنهجيّة بغية تقديم تفسير شمولي مقنع يساهم في إخراج قضايا المغرب الأوسط من الرّتابة والسّرد والاستقراء[2] إلى قضايا التأطير المنهجيّ حيث ترتبط في ضمنه وقائع التّاريخ بالمعرفة التّاريخيّة[3]..

كنا قد اطلعنا على سلسلته عن التّصوف والمكونة من أربعة مجلدات[4]، ولا حظنا طريقة فريدة في كتاباته إنمّا تنم عن وعي وثقل معرفيّ كبيرين، ألا وهي أنه دائما يأتي

ماستر ماجيستار، دكتوراه) تم الحصول على هذه المعلومات من طرف مشرفي الأستاذ "لخضر بولطيف " عبر بعثه لي بسيرة الأستاذ "الطاهر بونابي" عبر البريد الالكتروني.

[1]تجدر الإشارة إلى أنه نحى في الآونة الأخيرة صوب الأبحاث المنهجيّة والتي نذكر منها : دراسته المعنونة ب : " رؤية أبي القاسم سعد الله في كتابه التّاريخ الثقافيّ للمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط (مستوى المعرفة التّاريخيّة)"، مجلة المواقف ، م15 ، ع 01، 2019 ، ص ص 31-57. / ودراسته المعنونة ب : "مصادر الوعي بالتّاريخ الثّقافيّ عند أبي القاسم سعد الله (مستوى المعرفة التّاريخيّة)" ، المجلة التّاريخيّة الجزائريّة، م3 ، ع 3-4 ، 2019 ، ص ص47-68.

[2]يرى "الطّاهر بونابي" أن الاستقراء يجعل الباحث مجرد ناقل ولا يخضع الرّواية للنقد والتّحقيق والمقارنة وبالتالي يصبح الباحث نائبا عن صاحب المصدر الذي اساقى منه الخبر . ملاحظة من محاضرته التي كانت تحت عنوان : أهمية الموضوع واشكاليته، ألقيت يوم : 14-11-2019 على طلبة السّنة الثانيّة ماستر.

[3]الطاهر بونابي، مظاهر المجال والدين والمجتمع بالمغرب الأوسط من خلال العصر الوسيط، ص 03.

[4]أشاد الباحث "لخضر بولطيف" يوم 23 - 07- 2017 عبر صفحته الخاصة على الفايسبوك برباعية الدّكتور "الطاهر بونابي" واصفا إياها بأنها "توقيع الكبار" ، وذكر أنه (أي الطّاهر بونابي)من الرّعيل الذين يعملون في صمت دون جلبة أوضجيج، وثم تأتي ثمار عملهم في مستوى عمق الصّمت ووقاره ..

بالأراء العامة حول موضوعه ثم يستخرج سبب عمده إلى العمل على هذا الموضوع (محل الدراسة) وكأنه يجادل ويطارح في آن واحد[1].

ما يهمنا في هذه الورقة هو كتابه "عصر المتصوفة" حيث يعتبر هو الآخر حصيلة عقد ونصف من العمل المثمر في البحث الأكاديميّ في تاريخ التّصوف[2].

وتعد دراسته هذه دراسة معمقة حسب تصريح مشرفه الباحث القدير "عبد العزيز فيلالي" حيث أنه نفذ إلى أعماقها من داخل الطقوس والتّراث والأفكار السياق الجدلي لمعالجة القضايا المختلفة المتعلقة بالموضوع [3].

وقد ذكر لنا الباحث بوضوح جلي[4] منهجه في دراسته هذه نستعرضها فيما يأتي[5]:

- التّركيز على استخراج النّصّ من المصادر وتوظيفه في البحث .
- الحرص على التّوثيق رعيا للأمانة العلميّة .
- المقاربة بين النّصّ المناقبيّ والصّوفيّ والفقهيّ والتّراجميّ في عمليّة التّوظيف.
- استخدام أنماط النّصوص النثريّة والشّعريّة والمنظومة في الاثبات وتعزيز الدّليل.
- دراسة الحركة الصّوفيّة من الدّاخل أي من حيث أفكارها وفي جوانبها التّاريخيّة ومراعيا في ذلك متطلبات التّحليل والاستنباط والنّقد.
- الميل إلى السّياق الجدليّ في معالجة القضايا وخصوصا في موضوعات المقاربة.

---

[1] للتزيد أكثر أنظر : (الطّاهر بونابي، عصر المتصوفة بالمغرب الأوسط –دراسة في الحركة الصّوفيّة خلال العصر الوسيط (الإطار الثّقافيّ والفكريّ –البنيّة –أشكال المثاقفة – المصنفات – المجالس والحلقات) من القرن =8هـ/ 14م إلى نهاية القرن 9هـ/ 15م، سلسلة الكتب الأكاديمية لكلية العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، 2017، ج2 ، ص 01-02-03) (وهو ورقي).

[2] الطّاهر بونابي، عصر المتصوفة في المغرب الأوسط ... ، ج1 ، ص 02.

[3] عبد العزيز فيلالي، تقديمه لكتاب : الطّاهر بونابي، عصر المتصوفة بالمغرب الأوسط .. ، ص 05.

[4] عكس الباحث "لطفي عيسى" الذي ورغم سهولة لغته إلا أنه لم يقم بتوضيح المنهج المتبع بدقة دقيقة .

[5] الطاهر بونابي، عصر المتصوفة بالمغرب الإسلاميّ ... ، ج2 ، ص 16.

نلاحظ أنه اعتمد في الأساس على مجمل القدرات العقليّة في التّوظيف العلميّ لمعطيات النصوص التّاريخيّة، والتي هي عنصر رئيسي في المنهج التّاريخي، غير أنه قام بالاقتباس من العديد من الآليات من مناهج مختلفة يرى أنها تفي بالغرض تحت إطار لا تشوبه شائبة التّلفيق، وإنما مرونة التوفيق والقدرة على التطبيق.

بعد "الطاهر بونابي" نتوجه إلى الباحث "محمد مفتاح"الذي لن نغوص كثيرا معه فنحن سنعتمد في الأساس عما أنجزته الباحثة "كاملة مولاي" في شأن التّركيب المنهجيّ لديه، وكانت قد تساءلت فيما إذا كان توفيقا أم تلفيقا؟.

استطاع "محمد مفتاح" أن يكييف جملة من المناهج والنّظريات اللغويّة لمقاربة النّصوص الدينيّة والوضعيّة، وهو يعتبر من بين النّقاد الذين وظفوا عدة مناهج ونظريات في استنطاق الخطابات الأدبيّة، وهو بهذا أثبت أن المنهج ليس قالبا جاهزا، وانما هو مفهوم من المفاهيم التي تستوجب ثقافة وقدرة على التّعامل معها[1]. وقد مكنته قراءته من التّموضع موضع القوة حيث عالج النّصوص المختارة بأدوات علميّة وقدمها في صورة واضحة ومن شدة اندماجه في حركة التّناهج استطاع أن يجمع بين أكثر من منهج بتياراته العديدة[2]. ومن تقنياته البحثيّة يعتمد "محمد مفتاح" على عملية استثمار المناهج ويقوم بتمثلها بعين ناقدة ثم يستخلص منها ما يحتاجه ويهمل الباقي أو يضيف إليها ما ينقصها وذلك لتتلاءم مع صيغة النصوص العربية التي يخضعها للاستقراء والاستنتاج والاستدلال[3] .

ما يمكنني أن أخلص إليه في نهاية هذا العنصر هو ان الباحث المؤرخ الذي يرغب في عملية التناهج بين الآليات البحثيّة عليه أن يكون واعيا بما يحمله كل منهج من آليات

[1]كاملة مولاي، "التّركيب المنهجيّ لدى محمد مفتاح (تناهج أم تلفيق)" ، ص 91-90.

[2]كاملة مولاي،"التّركيب المنهجيّ لدى محمد مفتاح (تناهج أم تلفيق) " ، ص 93

[3]كاملة مولاي، "التّركيب المنهجيّ لدى محمد مفتاح (تناهج أم تتلفيق)" ص 107.

وما تفيده هذه الآليات لكي يحدث التوفيق في عملية التركيب المنهجي والا ستفشل مهمة الباحث في ذلك .

وعلى الباحث على حد تعبير "عبد الله العروي" أن يتساءل هل الدراسات الخاصة بكل مستوى بكل سطح تنتصر في النّهاية وتتوحد في رؤيّة شموليّة حقة أم أنها تبقى منفصلة[1].

3- التّحديث أو التّطوير المنهجيّ:

آثرت الوقوف في بداية هذا العنصر على فكرة ذكرها الأستاذ الباحث "لخضر بولطيف" في كتابه: "فقهاء المالكيّة والتّجربة السّياسيّة الموحديّة في الغرب الإسلاميّ"، حيث يقول: "ولما كان من الأمور المسلم بها أن دقة وقيمة النتائج التي نتوصل إليها في أية دراسة تتوقف على مناهج البحث التي نستخدمها والرّؤى التي نصدر عنها"[2]، لما لها من أهميّة بالغة في تبيين قيمة المنهج الذي لا تستوي الكتابة التّاريخيّة إلا به وقيمة النتائج المتحصل عليها إلا في ضوئه .

لكن السؤال المطروح هو: ما السّبيل الذي يقودنا إلى الحصول على نتائج أكثر دقة وحنكة، بعيدا عن البديهيّة والسّفسطة وقد كثر بين الباحثين التماس تطبيق العديد من المناهج في بحث واحد كما سبق وأن أشرنا ؟!!

في التّحديث، راحت الباحثة "هاجر بونباب" تحت إشراف أستاذها "لخضر بولطيف"، تحاول تبيان السّبق الحضاريّ الإسلاميّ في إرساء قواعد المنهج التي لا يمكن أن ينكرها أي أحد، فقامت بتتبع المنهج عند "الطبريّ" في فصل جاء عنوانه بالتتبع الاستقراء عند الطّبريّ وقد بينت كيف جمع بين الحديث والتّاريخ؛ ثم انتقلت إلى "ابن

[1] عبد الله العروي، مفهوم التّاريخ 1،ص 195.

[2] لخضر بولطيف، فقهاء المالكيّة والتّجربة السّياسيّة الموحديّة في الغرب الإسلامي، دار الصّديق، الجزائر، 2015 ، ص 15.

حزم" فعالجت عنده النّقد التّمحيص ؛ مرورا ب"الذّهبي" الذي تطرقت له من خلال الاسناد والتّوثيق ؛ كما أنها لم تهمل التّحليل والتعليل عن "ابن خلدون" [1].

يبدو أن المنهج التّاريخي الذي تلاحقت عليه العديد من المناهج والنظريات في إطار التّعدد والتّناهج، أصبح بحاجة إلى استثمار، خاصة وانه بطبيعته يمتاز بالمرونة والمطاطيّة، لاسيما وانه يمتلك من العراقة رصيدا كبير لم يستثمر بعد .

وفي هذا المقام نشير إلى ما قام به الباحث "لخضر بولطيف" في بحثه "فقهاء المالكيّة والتجربة السّياسيّة الموحديّة في الغرب الإسلاميّ" حيث أنه صرح بعدم تبنيه لرؤيّة تحيل في تفسير أحداث التّاريخ على عوامل ماديّة (بحتة) ولا تلك التي تستند إلى عوامل غيبيّة (صرفة)، لقد آثر الصّدور عن رؤية تؤمن بتعدد العوامل المؤثرة في صنع الحدث التّاريخيّ؛ من ماديّة وغيبيّة؛ وفرديّة وجماعيّة؛ وسياسيّة وفكريّة .. ورغم أنه لم يعتمد على منهج محدد وجاهز (كان قد تمرس عليه وادواته) وهولا زعم ابتداعه لمنهج جديد، إلا أنه وضح أنه بداية نحى نحو المنحى الاستقرائي في جمع المادة العلمية؛ وأثناء مباشرته بالعمل راح يميل إلى – بعد الوصف– التّحليل والمقارنة المشفوعين غالبا بالنّقد والتّمحيص[2].

ولكن السؤال المطروح هو كيف استعمل هذا الأخير آليات الوصف والتّحليل وحتى المقارنة ؟؟؟

[1] إكرام بونباب، الرّوايّة ومنتهة السّند –السبق الحضاريّ الإسلاميّ في إرساء المنهج التاريخي من الطبري إلى ابن خلدون، مذكرة ماستر، تحت إشراف : لخضر بولطيف،قسم التّاريخ، جامعة المسيلة،2016-2017 ، ص 08.

[2] لخضر بولطيف، فقهاء المالكيّة والتّجربة السّياسيّة الموحديّة في الغرب الإسلامي، ص 16-17.

لقد أقرّ في مشروع "المدرسة القيميّة" أنه لا يمكن للتاريخ بعد "ابن خلدون" أن يظل متعثرا في أثوابه وان يكتفي بدور الوصيف للفلسفة، لا يمكن أن يظل رهين سرديات، تعمل الوصف كاستعراض لا كاستبطان[1] ، والتّحليل كتجلية لا كتفكيك[2].

يبدو أن خاصيّة التّطور في المنهج التّاريخيّ تمس بالدّرجة الأولى آلياته، فيصبح الباحث مثلا بدلا من استخدام الوصف في شكله القداميّ الذي يعبر عن استعراض الظّاهرة كما "هي" أي بالاعتماد على الأوصاف الظّاهرة، يصبح في المنهج التّاريخيّ الحداثيّ استبطانا للظاهرة حيث يغوص فيها إلى الدّاخل وينفذ إليها من بواطنها، أي تنتقل الدراسة من الظاهر إلى الخفي، وبالتالي يسمح للباحث بالغوص في بواطن الظاهرة ؛ أو الشّخصيّة لأجل المطابقة بين الباطن والظاهر؛ الدّاخل والخارج ؛ بين المضمر والمعلن ؛ بين الجليّ والخفيّ[3].

يبدو أن هذا التّطور الحاصل في الآليات ناجم عن روح العصر وتطلباتها وبالتالي فعملية التّطوير هي بمثابة عمليّة استجابة لتطور الفكر الإنساني، وفي هذا قال المكر "عبد الله العرويّ: "لا يكتب المؤرخ المعاصر بأسلوب وصفي مباشر، تتخلله تعليقات كما يفعل المؤرخ الوضعانيّ بل يكتب من البدايّة إلى النّهاية بأسلوب نظريّ تحليليّ لا يقص علينا أحداث الماضي بقدر ما يسرد مراحل تعامله مع المادة التّاريخيّة أي مع مجموع

---

[1] نحى الباحث " محمود عباس العقاد" على هذا النّحو، فراح يدرس الكوامن، وخير مثال عن هذا دراسته لنفوس الأطفال هذه النّفوس التي تعتبر أصدق معرض تتكشف فيه أخلاق الفرد لأن ما يظهر من صفاتهم من أنانيّة ة غيرة .. إنّما يبقى كامنا في النفوس الإنسانية جمعاء ؛ ومن ثمار هذه البحوث اهتمامه بالعبقريات ودراسته لشخصياتها ومعالمها وتلمسه لمفاتيحها انطلاقا من مكامنها للتزيد أنظر : (نبيل مزوار، الحداثة النقديّة في دراسة العقاد الشّخصيّة الشّعراء "أنموذجا" ، رسالة دكتوراه، تحت إشراف : أحمد حيدوش، جامعة سطيف، 2010-2011 ، ص40.

[2] لخضربولطيف،المدرسة القيميّة 1.

https://archive.org/details/boultif-hhh-yahoo-01-201906

[3] لخضر بولطيف، محاضرة مكملة لمحاضرة الخطايا الخمسة بعنوان : "الخلط بين المناهج والآليات" .

الشّواهد الماثلة أمامه .حلول الماضي في الحاضر وتكييف الحاضر للماضي حقيقتان يؤكدهما بدون انقطاع المؤرخ المعاصر.."[1].

لقد ألفنا كوّن التّحليل في المنهج القداميّ يبحث في محاولة تحصيل معنى النّص وذلك من خلال محاولة فهمه عن طريق شرح مفرداته الصّعبة، وتقسمته إلى فقرات، كل فقرة تحمل فكرة معينة فيه، إضافة إلى التّعرف على مؤلفه والظّروف التي أحاط بها النّص، وبالتالي تتم عملية تفسير النّص على وجهين، أولا تفسير ظاهر النّص ؛ وثانيا إدراك غرض المؤلف[2]. لكن التّحليل في المنهج الحداثيّ يعمل على رد الظاهرة إلى عناصره الأولية والمكونة لها والمشكلة منها ثم دراسة كل عنصر على حدة ؛ ثم معاودة جمع النّتائج وتركيبها بالخروج إلى نتيجة نهائية[3]. ويبدو أن الباحث "لخضر بولطيف" اعتمد على آليّة التّحليل في ثوبها الجديد "الحداثي" من خلال : محاولته مجارات الأراء التي اجتمعت على كون الفكر "التّومرتيّ" مزيج وخليط لمجموعة من المذاهب المختلفة[4]؛ لقد قام الباحث ذاته بعمليّة استقراء لجميع تلك العناصر المذهبيّة وعمل على تفكيكها ودراستها كل عنصر على حدة واستنتج من كل عنصر نتيجة معينة، تلك النتائج التي وصل إليها كانت في عمومها مرتكزا لنتيجة أشمل[5]. سنحاول استعرض ما قام به على مستوى النتائج لا العرض.

---

[1]عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ط5، منشورات المركز الثّقافي العربي، المغرب، لبنان، 1996 ، ج1، ص20.

[2]أسد رستم، مصطلح التّاريخ، ص 57.

[3]لخضر بولطيف، محاضرة مكملة لمحاضرة الخطايا الخمسة بعنوان : "الخلط بين المناهج والآليات" ألقيت على طلبة السّنة الأولى ماستر، يوم:23-04-2019. .

[4]لخضر بولطيف، فقهاء المالكيّة والتّجربة السّياسيّة الموحديّةفي الغرب الإسلامي، ص127.

[5]للاطلاع أكثر يراجع كتابه : فقهاء المالكيّة من ص 127 إلى 164.

العنصر المذهبيّ	النّتيجة
العنصر الظّاهريّ (الحزميّ) (ص132)	"إنّ ما لا يشجع على تبني القول بظاهرية ابن تومرت هو اننا لا نجد ضمن لائحة الاتّهامات التي وجهها ضده فقهاء المالكيّة لعصره ما يشهد لهذا القول في وقت كان ينظر فيه إلى التّلبس بالظّاهريّة على أنه منكرة، وجرحة مسقطة للعدالة".
العنصر المالكيّ (ص134-135)	"وهو ما يحمل على الاعتقاد أن ابن تومرت وان كان يدين للمذهب المالكيّ -على الأقل- في تكوينه الفقهيّ، إلا أنه لم يقع تحت أي ضغط ألجأه إلى تقديم تنازل أو بذل ترضية، بل لعله كان يدرك أكثر من غيره، أن التّسليم ببعض مقررات المالكيّة، والنّكوص عن بعضها الآخر لم يكن ليشفع له عند فقهاء المذهب، الذين ما كان ليرضيهم ذلك، بل ما كان ليسعهم الفصل بين إعلانه الولاء للمذهب، مع إصراره على مناهضته لهم ."
العنصر الأشعريّ (ص142-143)	"لم يكن هذا المسلك من ابن تومرت -والذي عدّه خصومه من فقهاء المالكيّة شذوذا عن مألوف قطره- لينفك عن مقتضيات دعوته السّياسيّة، التي كانت في انطلاقتها الأولى تفتقر إلى دعم العامة، وثقتهم بجدارة صاحبها العلميّة، وجدوى حركته الانقلابية. والا فإن مرشدته في العقيدة، بقدر ما لقيت عناية

	العلمء من بعده...غير أنها لم تصمد على مستوى العامة ... الواقع أن إشاعة علم الكلام (الأشعريّ) في أوساط العامة لم يفذ في نقل العوام عن أفهامهم الغليظة، والتي لم ترق إلى تجريد "المرشدة" ، كما لم تترق عن التّصورات المائلة إلى التّشبيه والتّجسيم."
العنصر الاعتزاليّ (ص147)	"وهذا الطرح نجد له سندا في شهادة المؤرخ المغربي ابن اليسع (ت575هـ/1180م) ؛ إذ يقول: "سمّى ابن تومرت المرابطين بالمجسمين، وماكان أهل المغرب يدينون إلا بتنزيه الله تعالى عما لا يجب،[و] ووصفه بما يجب له مع ترك خوضهم فيما تقصر العقول عن فهمه" . ويعضد هذا القول ما ذهب إليه ابن تيميّة من أن ابن تومرت "استحل دماء ألوف مؤلفة من أهل المغرب المالكيّة ... فزعم أنهم مشبهة مجسمة، ولم يكونوا من أهل هذه المقالة، ولا يعرف عن أحد من أصحاب مالك إظهار القول بالتّشبيه والتّجسيم ."
العنصر الشّيعيّ (الباطنيّ) (ص 154)	"وعندئذ تتضاءل حظوظ من راهن من الباحثين على شيعيّة ابن تومرت ؛ بله من قدمه كداعية إسماعيليّ كما ينجلي –من جهة أخرى– الغموض حول موقف الفقهاء، الذين لم يكونوا ليفوّتوا فرصة الطّعن على معتقد ابن تومرت، فيما لوكان لتشيّعه مستند ملموس، وقد طعنوا عليه في أقل من ذلك مما عاينوه

	من أمره."
العنصر الخارجيّ (ص156)	"وحين لن يبدو أن ابن تومرت متسقا والخوارج فيما يجمعهم من مقالات عدا هذه "النّزعة" ، أوهذا "النّوع" ، فإنه سيكون من الحريّ بنا أن ندرك –كما أدرك فقهاء عصره – أن خارجيته كانت لصيقة بمدلول الخروج السّياسي، غير صائرة إلى تبني النّحلة الخارجيّة في مدلولها المذهبيّ."

في نهاية المطاف توصل الباحث "لخضر بولطيف" أن "ابن تومرت" لم يكن ظاهريّا أكثر منه مالكيّا، ولم يكن معتزليّا أكثر منه أشعريّا، ولم تتجل شيعيته أوخارجيته إلا في إطار مدلولات سياسيّة. ففي النّهاية ومنذ البدايّة ابن تومرت يعد رجل سياسية بامتياز وكان همه الشاغل له هو اسقاط الحكم القائم، فلم يعمد في ذلك إلى أسلوب السّجال الفكري، بقدر ما راهن على خيار المواجهات القتاليّة.[1]

وبهذا يكون الباحث ذاته عمد إلى استخدام آلية التّحليل الحداثيّ ؛ لكن عمله بهذه الآلية لا يعني أبدا نزوعه إلى منهج آخر غير المنهج التّاريخيّ.

ومنه نستنتج[2] أنه سواء أ طبقنا المنهج الوصفي الحداثيّ أو التحليلي الحداثيّ فنحن نستخدم آلية من آليات المنهج التّاريخي، وسواء أ استخدمنا أو مارسنا التّحليل أو الوصف بمفهوميهما القدامي أو الحداثيّ في البحث التّاريخيّ فنخن لا نخرج على نطاقه الواسع .

[1]لخضر بولطيف، فقهاء المالكيّة والتّجربة السّياسيّة الموحديّة في الغرب الإسلامي، ص 157.

[2]تجدر الإشارة إلى أن محاضرة الأستاذ لخضر بولطيف عن الخطايا المنهجية الخمسة ، كان لها دور كبير في حصر استنتاجنا هذا .

وبهذا نكون قد تعرضنا لإحدى القضايا المعاصرة التي قد يغفلها البعض، لعدم إدراكهم بأهميتها الكبيرة، ولقدرتها على صنع الفارق في إنتاج البحوث ذات القيمة العلميّة، لذلك من الضّروريّ على الباحث المعاصر أن يلتمس منها قربا، وهذا من أجل تحصيل الوعي والإدراك وتحقيق الدّقة والابتكار.

الفصل الثالث:

التّجديد على مستوى المصادر

مدخل

أولا: توظيف النّصوص الدّفينة

ثانيا: تحقيق النّصوص المخطوطة

مدخل:

إنّ الباحث المتخصص في تاريخ الغرب الإسلامي، هو باحث محظوظ، ذلك أن هذا المجال يتميز بوفرة المادة العلميّة التاريخيّة، على مدار فترات زمنيّة، ليست بالقصيرة، ومع تطور البحث التّاريخيّ واطلاعه على جديد المناهج الغربيّة –كما لاحظنا سابقا– أصبح هاجس التّجديد على مستوى المصادر التاريخيّة ضرورة لا بد منها؛ فتبنى كافة الباحثين المؤرخين المعاصرين مهمة البحث والتنقيب والتّفتيش عن معطيات جديدة، بعيدة عن المصادر التّقليديّة الكلاسيكيّة، وكانت هذه القفزة بمثابة عمليّة تجديديّة، لروح الكتابة التّاريخيّة، التي لا بد لها من دورات تنشيطية، كي تحافظ على حيويّة التّاريخ واستمراريته، وتغيراته؛ وبهذا فعلى الباحث أن يكون دائم الاستعداد، لمواجهة ما قد تخفيه المصادر الدّفينة، أوالمخطوطة بوجه الخصوص، فما هو اليوم متعارف عليه ومتفق عليه، قد يخرج نص جديد كان مخبأ بين رفوف أحد الخزائن سواء الخاصة أوالعامة، ويزعزع أحد ركائزه، بفتحه للعديد من التّساؤلات والاشكاليات، كان التّاريخ أوبالأحرى المؤرخون ضربوا عليها صفحا.

أمام هذا الإشكال يجوز للباحث طرح بعض التّساؤلات هي:

– ماهي هذه المصادر الدّفينة؟ وهل تحمل بين طياتها جديدا ينضاف إلى التّاريخ بمجالاته وميادينه؟

– ما الجدوى من تحقيق النّصوص المخطوطة، وما الفائدة من إخراجها من خزائنها، إلى المكتبات العامة ؟

– ماهي أهم النّصوص المحققة منذ مطلع الألفيّة الثالثة؟

أولا- توظيف النّصوص الدّفينة:

يعمد الباحث الذي يتوفر على طاقة داخليّة توجهه صوّب عمليّة الاجتهاد في الكتابة التّاريخيّة، إلى تحري البحث في مستوياته المتعددة، ودون شك فالمصادر العلميّة التي من خلالها يستقي المادة الخبريّة لها دور فعال في نسج هذا البحث، لأن البحث دون المصادر لا يمكن له أن يكون بحثا بتاتا ولا يمكن أن يتشكل.

وفي الآونة الأخيرة شاع بين المؤرخين، المغاربة -"خاصة"- مصطلح المصادر الدّفينة، وهي بالنسبة لهم وسيلة ناجعة لشق الطريق نحو الإتيان بالجديد.

ففيما تتمثل قيمتها من حيث الكتابة التّاريخية يا ترى؟؟

1- أهمية النّصوص الدّفينة في إثراء البحث التاريخي:

يجمع أصحاب الخبرة العلميّة من جموع المؤرخين[1] أن المصادر الدفينة هي: مجموع كتب الجغرافيا والرّحلات والموسوعات القديمة، ومدونات النّوازل، وكتب المناقب، ومؤلفات البدع، ومصنفات الشّروح للمتون الدّراسيّة، والدّواوين الشّعريّة، ووثائق الحوالات الحسبيّة...، وبالتالي فهي تتعدى كتب التّاريخ، التي لا يمكن للدراسات حول المغرب والأندلس أن تقتصر عليها فقط[2] ، بل أن هناك[3] من ذهب إلى أبعد التّصورات في زيادة المصادر التي تساعد على إعطاء النّظرة الشموليّة في الكتابة التاريخيّة عن الغرب

---

[1]محمد المنوني، المصادر العربيّة لتاريخ المغرب من الفتح إلى التاريخ الحديث، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة، الرباط، 1989 ، ص 08. / عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزّيانيّ (دراسة سياسيّة، عمرانيّة، اجتماعيّة ثقافيّة) ، ص 06. / إبراهيم القادري بوتشيش، "دور المصادر الدّفينة في كشف لجوانب الحضاريّة للمدينة المغربيّة دراسة تطبيقيّة حول مدينة مراكش من التّأسيس حتى أواخر عصر الموحدين" ، ص124. / سعيد بنحمادة، "الفلاحون والفلاحة في البادية المغربيّة الأندلسيّة في العصر الوسيط من خلال كتب الأمثال الشّعبيّة" ، اجلة كان التّاريخيّة، ع22 ، 2013 ، ص 116.

[2]محمد البوزيديّ الشّيخي، "نحومنهجيّة جديدة لكتابة تاريخ المغرب والأندلس" ، مجلة الآداب والعلوم الإنسانيّة، ع4 ، 2004 ، ص65.

[3]أقصد الباحث : "إبراهيم القادري بوتشيش".

الإسلاميّ في العصر الوسيط، اذ يعتبر الباحث "بوتشيش"، أن عالم الضّحك على اعتبار أن الإنسان حيوان ضاحك ؛ قد أنتج نصوصا هزليّة، تقدم نفسها اليوم للمؤرخ كمادة مصدريّة، فهي تعبر عن نوع من حضارة الكلام التي تكلم عنها "بول ريكور"، وقد تساءل عن مدى مساهمة النّكتة السّياسيّة في ملئ بعض البياضات التي يعاني منها التأريخ العربي، مشيرا إلى أن النّكتة تظل تضرب جذورها في عمق التّاريخ وتشكل تغييرا رمزيا دفينا في مخزون الذاكرة العربية، بما تحويه من قيم وتقاليد،ومع ذلك لم يتم تناولها في البحث التّاريخيّ، عكس الدّراسات الأدبيّة والنّفسيّة والأنثربولوجيّة، فقد تم فيهم الاستفادة منها[1].

وللمصادر الدّفينة أهمية كبيرة ليس لها مضاهي، سنقوم بذكر ما تيسر لنا منها:

1-تسعف في إعادة قراءة التّاريخ الاقتصاديّ والاجتماعيّ والذّهني للمغرب والأندلس، وتساعد على تجاوز المألوف البديهيّ من الأحكام والرؤى والتّصورات، بدعوى قلة المادة المصدريّة[2].

2-تحمل كتب الرّحلة إلى جانب الأخبار عن المدن، مادة علمية ثمينة، عن الجوانب الاجتماعيّة والاقتصاديّة والفكريّة والثّقافيّة، وتفتح للباحث آفاقا جديدة للكشف عن تاريخ العامة[3].

3-تأتي أهمية كتابات الرحالة لإكمال الصّورة العامة للعرض التّاريخيّ عن مجتمع ما، في وقت ما، من كونها تحتوي على ما يتعلق بقيمه وخصاله وأخلاقه؛ وهي جوانب

---

[1]إبراهيم القادري بوتشيش، مداخلته التي ألقيت ضمن فعاليات مؤتمر : االمؤرخ العربيّ ومصادره، من تنظيم معهد الدّوحة للدراسات العليا، يومي 29-30- أفريل 2019.

[2]سعيد بنحمادة، "الفلاحون والفلاحة في الباديّة المغربيّة الأندلسيّة في العصر الوسيط من خلال كتب الأمثال الشّعبيّة" ، ص 116.

[3]الهام قاتل والطاهر بونابي، "الأستيغرافيا التّاريخيّة في المغرب الأوسط ودورها في التّأريخ للفئات الاجتماعيّة البسيطة خلال القرون 7-8-9 هـ / 13-14-15 م" ، مجلة المعيار، ع 15 ، 2016، ص 172.

يصعب أن يعثر عليها المؤرخون في غير كتب الرحالة، ولولاها لفاتنا الكثير مما لا تتضمنه الوثائق من عادات وتقاليد وتطور أنشطتها وثقافاتها[1].

4-تساعد على الاطلاع على الثّروات النباتيّة والحيوانيّة للعديد من المناطق[2].

5- تكتسي كتب الحسبة أهمية بالغة كونها تبرز للباحث مختلف المظاهر الاجتماعيّة[3].

وقد حدد "إبراهيم القادريّ بوتشيش" بعضا من خصائص المصادر الدّفينة في إطار حديثه عن كيفية تعامل المصادر الدّفينة مع المدن المغربيّة عامة ؛ نذكر منها[4]:

1- تنقل المصادر الدّفينة أخبارها عن مصادر ضائعة، وتأتي بروايات لا نجد لها نظيرا في المصنفات الأخرى.

2- مؤلفي المصادر الدّفينة لم يكونوا في الغالب "مؤرخي بلاط"، بل يحركهم إما نشاطهم العلمي، أوالتّجاري، إضافة إلى حب الاستطلاع .

2- توظيف النّص النّازلي.. رصد وتقويم:

يشهد البحث العلميّ في الآونة الأخيرة إقبالا كبيرا على دراسة النّص النوازلي، فقد زادت الأبحاث التّاريخيّة التي اتّخذت منه ركيزة بحثيّة ومنعطفا مساريا في حركة التّأليف، خاصة وأنه يمتاز بطابع الشّموليّة التي هي مبتغى الباحث الجاد؛ سنستعرض فيما يأتي

[1]علي عفيفي غازي، كتابات الرحالة مصدر تاريخي، كتاب بالمجلة العربيّة، الرّياض، 1493هـ، ص64.

[2]أنظر على سبيل التّوضيح مقال : محمد بن عربة واحلام بوسالم، "ثروات المغرب الأوسط النّباتيّة والحيوانيّة خلال العصر الوسيط من خلال مصنفات الرّحلة والجغرافيا" ، مجلة مدرات تاريخيّة، م2، ع6، 2020.

[3]الهام قاتل والطّاهر بونابي، "الأستيغرافيا التّاريخيّة فب المغرب الأوسط ودورها في التأريخ للفئات الاجتماعية البسيطة خلال القرون 7-8-9 هـ / 13-14-15 م" ، ص172.

[4]إبراهيم القادري بوتشيش، "دور المصادر الدّفينة في كشف الجوانب الحضاريّة المنسيّة للمدينة المغربيّة دراسة تطبيقيّة حول مدينة مراكش من التّأسيس حتى أواخر عصر الموحدين" ، ص126.

بحوثا[1] –مقالات، كتب، رسائل دكتوراه، ماجيستير، ماستر، ندوات– تناولته بالدرس في مختلف الميادين خاصة الجانبين الاجتماعيّ والاقتصاديّ:

–سعد غراب، "كتب الفتاوى وقيمتها الاجتماعيّة –مثال نوازل البرزلي"–، حوليات الجامعة التّونسيّة، ع16 ،1978.

–عبد العزيز خلوف، "قيمة فقه النّوازل التّاريخيّة"، مجلة البحث العلمي، ع30/29، 1979.

–محمد حسن، "الرّيف المغربي في كتب النوازل"، الكراسات التّونسيّة (131–132)، 1985.

–محمد المختار ولد السّعد، "الفتاوى الفقهيّة والتّاريخ الاقتصاديّ والاجتماعيّ الموريتاني"، الكراسات التّونسيّة، 1996.

–أحمد اليّوسفي شعيب، أهمية الفتاوى الفقهيّة في كشق وقائع التّجربة الأندلسيّة. محمد بن عبود بنسباع، "جوانب من المجتمع الأندلسيّ خلال عصري الطوائف والمرابطين من خلال نوازل ابن الحاج، مجلة كلية الآداب تطوان، 1994.

–نسيم حسبلاوي، "كتب النوازل والتاريخ الاجتماعي.. حدود التوظيف والمحاذير"، مجلة معارف (البويرة)، ع 2017/23.

–بوبة مجانيّ، "كتب النّوازل والأحكام مصدر للتّاريخ الاجتماعي العصر الزّيانيّ أنموذجا"، مجلة التّغيرات الاجتماعيّة في البلدان المغاربيّة عبر العصور، منشورات مخبر الدّراسات التّاريخيّة والفلسفيّة، جامعة منتوري قسنطينة.

–محسن العابد، "كتب الفقه والفتاوى واهميتها في الدّراسات الاجتماعيّة والتّاريخيّة والاقتصاديّة"، مجلة العلم والتعليم، ع15، تونس،1977.

[1]تم الاعتماد أساسا في هذا الاستعراض على مقال : مسعود كربوع، "كتب النّوازل بين الاستعمال الفقهي والتّوظيف التّاريخيّ –المعيار المعرب للونشريسي أنموذجا–"، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، ع9 ، 2014. / إضافة إلى ما توفر لدي من مادة كنت قد جمعتها.

-محمد أستيتو، "النّوازل وطبيعة مصادرها وحدود توظيفها في الكتابة التّاريخيّة"، مجلة كلية الآداب، ع5، وجدة.

-إبراهيم القادريّ بوتشيش، "النّوازل الفقهيّة وكتب المناقب والعقود العدليّة مصادر هامة لدراسة تاريخ الفئات العامة بالغرب الإسلاميّ (ق 05-06 هـ/ 12-13 م)"، مجلة التّاريخ العربيّ، ع22، الرّباط، 2002.

- نبيل شريخيّ، "جوانب من الحياة الاجتماعيّة للمعلمين والطّلبة في المغرب الأوسط من خلال النّوازل الفقهيّة في القرنين الثّامن والتّاسع الهجريين(14و15م)"، مجلة قضايا تاريخيّة،ع2017،6.

-حياة قارة، "مجتمع النّساء في فضاء البحر الأبيض المتوسط من خلال مدونات النّوازل الفقهيّة"، مجلة عصور الجديدة، ع2014/13.

-ابتسام الزّاهر، "الأدب النوازليّ مصدرا لتاريخ الاماء "نماذج من المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط".

-عبد السّلام همال، سياقات توظيف كتب الوثائق والسّجلات في مصنفات الفتاوى والنوازل"./-الطّاهر قدوريّ، "النّوازل الفقهيّة وتنظيم التّجارة البحريّة بالغرب الإسلاميّ خلال العصر الوسيط".

-نور الدّين غرداويّ، "دور الأحباس بالمغرب الأوسط في القرنين8-9 هـ/14-15 من خلال نوازل المازونيّ"، مجلة أفكار وآفاق، م7، ع1، 2019.

-مكي مزيان، "الإقطاع الزّراعيّ في بلاد المغرب الإسلاميّ في فترة ما بعد الموحدين ما بين القرن[ين] (7و9هـ/13و15م) من خلال كتب النّوازل الفقهيّة كمادة مصدريّة"، مجلة العبر للدراسات التّاريخيّة والأثرية، م2، ع1، 2019.

-سناء عطابي، "دور النّصوص الفقهيّة في دراسة القضايا التّاريخيّة بالمغرب الأوسط: المعاملات الماليّة النّقديّة خلال القرنين (7-9 هـ/13-15م) نموذجا"، مجلة دراسات وابحاث المجلة العربيّة في العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، م12،ع1، 2020.

-محمد فتحة، النّوازل الفقهيّة والمجتمع أبحاث في تاريخ الغرب الإسلاميّ (ق6-9هـ/12-15م) ،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة، الدّار البيضاء، 1999.

-عمر بنميرة، النّوازل والمجتمع مساهمة في دراسة تاريخ الباديّة بالمغرب الوسيط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة، الرباط.

-عبد القادر بوعقادة، الأثر الاجتماعيّ والسّياسيّ لمالكيّة المغرب الأوسط دراسة من خلال النّوازل وكتب السّياسة والملك، دار الخلدونيّة، الحزائر، 2019.

-عمر بلبشير، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في المغربين الأوسط والأقصى (ق 6-9هـ/12-15م) من خلال كتاب المعيار للونشريسي، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2009-2010.

-عبد القادر ربوح، دور الأوقاف في المجتمع الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة92(-898هـ/711-1492م)، رسالة دكتوراه، المدرسة العليا للأساتذة، الجزائر، 2011-2012.

-طاهر بن علي، دور النّوازل في الكتابة التّاريخيّة، رسالة دكتوراه، قسم التّاريخ، جامعة الجزائر، 2013-2014.

-زوبير بعلي، الحياة الاجتماعية في مملكة غرناطة من خلال كتب النوازل والوثائق، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ والآثار، جامعة باتنة1، 2018-2019.

-عبد العزيز حاج كولة، الحياة الاجتماعيّة الاقتصاديّة بالأندلس من خلال النّوازل الفقهيّة، رسالة ماجيستير، قسم التّاريخ، جامعة الجزائر، 2009-2010.

-نسيمة مجناح، أثر كتب النّوازل الفقهيّة في الكتابة التّاريخيّة -رصد وتقويم-، مذكرة ماستر، جامعة المسيلة، 2013-2014.

-فراحتية عبيدة، الفقه والمجتمع في بلاد المغرب الأوسط من خلال كتب النّوازل، مذكرة ماستر،قسم التذاريخ، جامعة المسيلة، 2013-2014.

-زينب مشري، التّنظيم الفقهي للمعاملات ما بين القرنين (7-9هـ/ 13-15م) من خلال نوازل المعيار للونشريسي، مذكرة ماستر، قسم التّاريخ، جامعة قالمة، 2015.
-2016.

-بلال عمرون، الآفات الاجتماعيّة في المجتمع الأندلسيّ من خلال كتب النّوازل ورسائل الحسبة، مذكرة ماستر، قسم العلوم الإنسانيّة، جامعة البليدة 2، 2015-2016.

-دراسات تاريخيّة مهداة للفقيد محمد زنيبر، تحت عنوان: التّاريخ وادب النّوازل، من تنسيق: محمد المنصور ومحمد المغراوي، منشورات كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، الرباط.

-أعمال النّدوة الدّوليّة، النوازل الفقهيّة وقضايا التّربيّة والتّعليم والمجتمع، من تنسيق: الطّاهر قدوريّ والحسن قايدة، ط1، 2019.

كما هو الواضح فإن حصيلة البحث التّاريخي على النّصوص النّوازليّة -التي توزعت على العديد من الميادين البحثيّة- هي في ارتفاع مستمر ومتواصل، وأمام هذا التّزايد في الطّرح، جاز لنا التّساؤل عن أهميتها (أي النّصوص الفقهيّة النّوازليّة)، وكيف يمكن تطويعها لخدمة التاريخ ؟؟

بداية يجدر التّنبيه إلى أننا لن نتول التّعريف بالنّوازل لا لغة ولا اصطلاحا، ذلك أن الدّراسات السّابقة التي طرحناها تولت زمام هذه المهمة التّعريفيّة؛ بل سنخوض مباشرة في تبيين أهميتها؛ لكن قبل هذا وجب علينا التّذكير بأن التّقطن لقيمة النّوازل كمصدر تاريخيّ، ظهر مع المدرسة الأوروبيّة، حيث تحدث كل من "لوبيث أورتيث" و "سلفادور

فيلا" عن الموروث الفقهي، ونوها بما يحمله من مادة يمكن اعتمادها، كما وقد أشار "ليفي بروفنصال" إلى قيمة كتب الفتاوى في فهم المجتمعات الإسلاميّة عبر التّاريخ، كما وقد تناول "إميل عمار" سنة 1908-1909م مختارات من فتاوى المعيار وقد بيّن كل من "شاخت" و"جاك بيرك" و"روبيرت برانشفيك" القيمة التّاريخيّة للنوازل[1].

لقد تحدث الكثير من الباحثين المؤرخين عن أهمية صنف كتب النوازل الفقهيّة في كتابة التّاريخ، فهذا الباحث "لخضر بولطيف" ، يرى أن أهميتها "لا تكمن -فحسب- فيما تزخر به من مادة تاريخيّة قد تفوق في جدواها -أحيانا- ما تقدمه المصادر التّاريخيّة التّقليديّة ولكن -أيضا- في كونها تعد سجلا حافلا عن جوانب كثيرة من حياة الأفراد والجماعات، مما لا ممّا لا يلتفت إليه عادة المؤرخون ولا يدخل تحت طائلة رصدهم"[2]، وبالتالي فما تختزنه هذه المصنفات من مادة هامة تتعلق بالتّاريخ الاجتماعيّ والاقتصاديّ للمغرب والأندلس، لا يوجد لها نظير في المصادر التّاريخيّة التّقليديّة، التي أولت عناية خاصة بالتاريخ السّياسيّ واعطت أهميّة للقادة والحكام واهملت المجتمع وعامة النّاس، وتاريخ الحضارة بصفة عامة[3]، وهذا ما عبر عنه بالضّبط "إبراهيم القادر بوتشيش"، حين صرح بأن كتب النّوازل، تفيد الباحث في استقصاء التّاريخ العميق فتحرجه من التّاريخ السلطانيّ إلى مساحة أوسع أكثر انفتاحا على التّاريخ العام بشتى أنواعه، وهي قالبة للموازين، حيث ينتقل فيها الاهتمام من تاريخ الرّاعيّ إلى تاريخ الرّعيّة، ومن رموز السّلطة إلى البسطاء والفلاحين والحرفين والأجراء.. والرّعاة[4]. وقد رأى أحد الباحثين أنها تختوي

---

[1] عبد القادر بوعقادة، الحركة الفقهيّة في المغرب الأوسط بين القرنين7و9هـ/13و15م، رسالة دكتورة، تحت إشراف: لطيفة بشاري،قسم التّاريخ، جامعة الجزائر2014،2-2015 ، ص999.

[2] لخضر بولطيف، فقهاء المالكيّة والتّجربة السّياسيّة الموحديّة في الغرب الإسلامي، ص37.

[3] عبد السّلام همال، "سياقات توظيف كتب الوثائق والسجلات في مصنفات الفتاوى والنّوازل"، مجلة عصور الجديدة، ع13، 2014، ص46.

[4] إبراهيم القاديريّ بوتشيش، النّوازل الفقهيّة في الأطروحات الجامعيّة : التّوجهات الإضافات المعرفيّة والاشكالات المنهجيّة "، مجلة عصور الجديدة، ع17/16، 2014-2015، ص 46.

على نصوصا تساهم في ردم الكثير من الثغرات الخاصة بالنّشاط الفلاحيّ التي أهملتها الحوليات التاريخيّة التقليديّة، حيث تكشف للباحث قضايا المزارعة والمغارسة وعلاقة صاحب الأرض بالمزارع المستأجرة وانواع عقود الاستغلال من الشّراكة والوكالة والكراء[1].. إنها إذا سجل حافل بسائر مناحي الحياة، ودقائقها الاجتماعيّة والاقتصاديّة والفكريّة والعمرانيّة والسياسيّة والتّاريخيّة[2]. ففي الحياة الاجتماعيّة تنقل لنا صورا دقيقة عن العلاقات الأسريّة من زواج وطلاق، وميراث، ومختلف العلاقات الاجتماعيّة والحياة داخل الأسواق وعلاقات العمل واعمال التّكافل الاجتماعيّ من بر وصدقات ووقف، حتى أنها تطلعنا على الأوبئة والأمراض وموسم الجفاف والفيضانات[3]...

بعد تطرقنا لأهمية المصنفات النّوازليّة، ننتقل الآن إلى كيفية تطويع هذا النص النّوازليّ ليصبح نصا تاريخيّا .

من المعلوم أن نصوص النّوازل لم توضع ليستعملها المؤرخ، فهي نصوص جمعت من أجل الفقهاء والمشتغلين بالفقه، إضافة إلى أنها لا تهتم بعاملي الزمان والمكان[4]. وكما هومعروف فإن عاملي الزمان والمكان مهمين للغاية في الكتابة التّاريخيّة، ويمكن للنازلة الفقهيّة أن تخدم التّاريخ في حالة كانت معلومة الزمان والمكان، وصفة المجيب (المفتي) وبالتالي تعطي للواقعة بعدها الدّينيّ من جهة والاجتماعيّ والاقتصاديّ والسّياسيّ من جهة ثانيّة، ومنه يمكن رسم واقع من خلالها واعطاء حكم تاريخيّ بشأن من ارتبط بها في

[1]خالد بلعربي، "أهمية كتب النّوازل في ترميم جوانب هامة من النّشاط الفلاحيّ بالمغرب الأوسط (ق7-9هـ/13-15م)"،مجلة آفاق فكريّة، ع2، 2015،ص131.

[2]ابتسام الزّاهر، "الأدب النّوازليّ مصدر لتاريخ الإماء "نماذج من المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط""، مجلة عصور الجديدة، ع2014،13،ص08.

[3]عبيد بوداود، "مصنفات النّوازل الفقهيّة وكتابة تاريخ المغرب الوسيط"، مجلة المواقف،ع1، 2017،ص127.

[4]محمد فتحة، النّوازل الفقهيّة والمجتمع أبحاث في تاريخ الغرب الإسلاميّ (من القرن 06إلى 09هـ/12-15م)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة، الدار البيضاء، 1999،ص20.

الزّمان والمكان والمجتمع[1]. القضية إذا هي قضية تتعلق بالأساس في ما يعلم به وفيما قد يجهل به ، فباجتماع الزّمان والمكان والإنسان، في النّازلة ستحقق لنا حال ما نزعنا منها صبغتها الفقهيّة، نصا تاريخيا، ذوابعاد محددة ؛ بل وقد راح البعض الآخر يثني على هذه الفكرة لمصداقيتها اليقينيّة بحيث يرى أحد الباحثين، أن أهمية الفتاوى تكمن في إمكانيّة اعتبارها تدوين للتاريخ من قبل المفتي، وبالتالي تنتج للمؤرخ قضايا مفتى فيها جاهزة وموثقة بشكل رسمي، وعليها ختم مؤرخة باليوم والشهر والسّنة[2]. وبالتالي فعوامل الزمان والمكان والإنسان هي شروط لابد من حضورها في النّازلة كي نستطيع استقاء مادتنا الخبريّة منها، بشكل يمكن من تقديم إضافات للتاريخ، في شتى الميادين.

3- توظيف النّص المنقبيّ.. رصد وتقويم:

ارتأينا أن نبدأ عنصرنا هذا بما قاله الباحث القدير "الطّاهر بونابيّ" عن كتب المناقب، كونه اشغل بها وعليها في العديد من بحوثه التّاريخيّة[3]، يقول: "وقد بدأ البحث بالمغرب العربيّ يتحسن أهميتها في الوقوف على تاريخ المتصوفة وفي اعتمادها على مصادر أساسيّة كاشفة عن التّاريخ الاجتماعيّ المغاربيّ ونمط تفكيره، وكذا الاستفادة من نصوصها الصّوفيّة التي هي في الأصل نتاج ظروف تاريخيّة معينة ... وهي بحق ميدان خصب لمن يروم الحفر في البنى الاجتماعيّة والعقليات والمخيال المغربيّ"[4].

إذا فالنصوص المنقبيّة هي الأخرى باتت ملاذا خصبا للباحثين ذوي النّزعة التّجديديّة، رغم ما قد يشوب الباحث من صعوبة بالغة في تطويعها، ذلك لم تتسم به

---

[1] عبد القادر بوعقادة، الحركة الفقهيّة في المغرب الأوسط بين القرنين 7و9هـ /13و15م ص997.

[2] مسعود كربوع، "كتب النّوازل بين الاستعمال الفقهيّ والتّوظيف التّاريخيّ –المعيار المعرب للونشريسيّ أنموذجا–"، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، ع9 ،2014، ص51.

[3] أنظر على سبيل المثال دراسته المعنونة ب: "الحرف والحرفيون في المغرب الأوسط الزّيانيّ من خلال نص المناقب"، مجلة النّاصريّة، ع2004،4.

[4] الطاهر بونابي، عصر المتصوفة بالمغرب الأوسط ... ، ص20.

أحيانا من مبالغات واساطير، ينبغي أخذ الحيطة والحذر في التعامل معها[1].والكرامة الصّوفيّة أساس في كتب المناقب، والتي تعبر في العادة على عطاء فكريّ سلوكيّ وثيق الارتباط بقوى غيبيّة، وهذا الظّاهر شكليا، إلا أنها في الواقع بنيّة أساسيّة في الفكر البشري، وهي كالبنيّة العقلانيّة مرتبطة بنمط مجتمعيّ وأسلوب معيشيّ في الوجود[2].

وقد قام الباحث "الطّاهر بونابيّ" برصد موقف المؤرخين السيوسيولوجين والأنثربولوجين والأثنوغرافيين والايتولوجين الأجانب، إزاء النّصّ المناقبيّ المغربيّ في مرحلة تاريخه الوسيط، أين انقسم إلى تيارين هما[3]:

✓ التّيار الأول:

تمثل هذا التّيار الأبحاث الأثنوغرافيّة التّاريخيّة الاستعماريّة ذات المنهج الاختزاليّ، والقراءة المتعسفة لمختلف نصوص المخطوطات، بما فيها النّصوص المناقبيّة، التي فسرتها كموجود أنتجه فكر الإنسان المغربيّ المتأثر بالسّحر والكهنوت وهذا التيار تمثله كتابات "ادمون دوتي" و"ميشوبلار" و"ألفراد بل".

✓ التّيار الثّانيّ:

هذا التّيار تعامل مع المخطوطات المناقبيّة تعاملا أكاديميّا دون عقدة، فوظف أصحابه نصوصا في كتاباتهم، ومن أبرزهم "الهادي روجي إدريس" في كتابه الدّولة الصّنهاجيّة، و"روبر برنشفيك" في موسوعته تاريخ إفريقيّة في العهد الحفصي، إضافة إلى دعوة "ألفونس برون" إلى الاستعانة بعلم النّفس الاجتماعيّ الدّينيّ التّاريخيّ كي تحصل

---

[1] عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزيانيّة(دراسة سياسيّة، اجتماعيّة، ثقافيّة)، ص06.

[2] إبراهيم القادريّ بوتشيش، "الخطاب الاجتماعيّ في الكرامة الصّوفيّة بالمغرب من خلال عصري المرابطين والموحدين مساهمة في دراسة الفكر الاجتماعيّ للبلدان المتوسطيّة"، ضمن كتاب: جوانب من التّاريخ الاجتماعيّ للبلدان النتوسطيّة خلال العصر الوسيط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة، المغرب، ص97-98.

[3] الطاهر بونابي، مظاهر المجال والدّين والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، ص56-57.

الاستفادة من النّصّ المناقبيّ في هيئته الدّينيّة والاجتماعيّة والسّياسيّة، وآزره في هذه الرؤيّة "جاك بيرك" الذي اعتبر النّصّ المناقبيّ نقطة التقاء العلوم الإنسانيّة وبؤرة تداخلها.

ويبدو أن توجيهات الأجانب هي من جعلت الباحثين المغاربة يتحسسون أهمية النّصّ أوالمخطوطات المناقبيّة في كتابة التّاريخ الدّينيّ والاجتماعيّ والنّفسيّ والاقتصاديّ والسّياسيّ للمجتمع المغربيّ في العصر الوسيط[1].

لابد من الإشارة في مقام الحديث عن النّص المناقبيّ عن موسوعيته، إذ أنه يشترك مع كثير من الأجناس في جملة من الخصائص ويقيم معها أكثر من علاقة، ونقصد تحديدا (كتب الحديث وكتب السيرة والتّراجم العامة والتّاريخ)[2].

وقد صرح "الطّاهر بونابيّ" بأن الحديث عن العلاقة بين المخطوطات المناقبية، والعلوم الأخرى في حد ذاته يعتبر محاولة لعقلنة نصوصها المتأرجحة بين التّاريخ الأسطورة والواقع والممكن، "من منظور أن هذا المخطوط المناقبيّ كجنس، ظل منذ نشأته ثم تطوره في تواصل مستمر بالأنواع الأدبيّة الأخرى التي استعار منها الشّكل والمنطق والآليّة"[3] ؛ وقد تكلم الباحث ذاته عن ثلاثة آليات نذكرها فيما يأتي[4]:

✓ آليّة الأدب:

استعارت الكتابة المناقبيّة من الأدب بنيته النّصيّة، والمحددة في الغالب من المقدمة والمتن والصّياغة الجماليّة والبلاغة والخاتمة.

---

[1] الطّاهر بونابيّ، مظاهر المجال والدّين والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، ص57.

[2] محمد أسموني، "الخطاب المنقبيّ وصناعة القداسة الصّوفيّة"، مجلة مؤمنون بلا حدود الالكترونية، قسم الدّراسات الدّينيّة، 2017. الموقع الالكتروني: articleshttps://www.mominoun.com تمت مشاهدته يوم 17-05-2020 على الساعة 11:00 صباحا.

[3] الطّاهر بونابيّ، مظاهر المجال والدّين والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، ص64.

[4] للاطلاع أكثر أنظر: الطاهر بونابيّ، مظاهر المجال الدّين والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، من ص64 إلى74 وما بعدها.

أما المقدمة فيتجه فيها أصحاب المخطوطات المناقبيّة للبوح بدوافع تأليفهم، فمنهم من يبين رغبته في نيل الثّواب والدخول في حمى الوليّ أوتأكيد الانتماء لهذا الشّيخ أولتلك الطّريقة. ومنهم من يخصصها اذكر مناقب أسرته، ومنهم من يجعلها ذكرا لخصال صوفيّة منطقة ما.

أما المتن، فيضم البعد الحكائيّ الذي يتخذ شكل الرّوايّة النّثريّة والتّراجم الطويلة أوالقصيرة... أما الخاتمة، فتأتي عادة في شكل أدعية يختم بها صاحب المخطوط المناقبي مخطوطه.

✓ آليّة الحديث:

وذلك بضبط سلسلات السّند التي تنتهي بالولي إلى الرّسول –صلى الله عليه وسلم– ، بحيث إذا غاب سند اتّصال الولاية بسند الرّسول –صلى الله عليه وسلم– ، انعدم وجودها، وبعد الرّسول –صلى الله عليه وسلم– يأتي الصّحابة –رضي الله عنهم– ويبدو أن هذه العملية كانت لطرد الشّك من الرّوايّة المناقبيّة.

✓ آليّة التّاريخ:

بطبيعة الحال هنالك قسمين يجوز الحديث عليهما في هذه الآليّة، قسم أول استثنى التّاريخ من ثنايا النّصوص المناقبيّة، بحجة أنها لا تقويم زمنيّ فيها والذي يظهر بشكل استثنائي يأتي في صورة التّعويم، مثل: عام القحط، عام الجراد، عام الطاعون ..، إضافة إلى غياب أسماء الحكام والأمراء والملوك، فلا تظهر السّلطة إلا من خلال الألم الذي تسببه؛ إضافة إلى غياب أسماء القبائل بربرية كانت أم عربية، وقد رفضوا عقلنة هذا النّوع الأدبيّ الذي يغلب فيه المخيال والأسطورة ويبدأ بالكرامة وينتهي إليها .

وقسم ثاني، راح يبرز آليّة التّاريخ في النّصّ المناقبيّ وطرق الاستفادة منه، فالحدث التّاريخيّ موجود فيها ولكنهّ خفيّ داخل النّصّ المغلف بترسبات الإبداع الخياليّ المتراكم،

ثم إن اتّساع مجال النّص المناقبيّ يسمح بتعدد حظوظ السير والتناول فيه، وبالتالي فإن قراءة أي نص مناقبيّ هي قراءة لعدة متون، يعتمد فيها على مبدأ التّأويل[1].

وقد اقترح الباحث "محمد مفتاح" عمليّة منهاجيّة لفهم النّصوص المناقبيّة، استعرض فيها أحد نصوص كتاب "التّشوف" ل"ابن الزّيات التّادلي" (ت617هـ/1220م)، وهذا النّص يتعلق ب"أبي زكريا يحي ابن اللاأذى الرّجراجيّ" ننقله من عنده "يقول: "من أهل بلد ونكيلة بوادي شفشاون، قديم الوفاة. وكان قد رحل إلى المشرق رحلته التي حج فيها. وكان عبدا صالحا مجاب الدّعوة. حدثوا عنه أنه أخذ ذات يوم منجله لقطع شجر السّدر، فبينما هويقطعه إذ صادف رجل قنفذ فكسرها فآلمه ذلك. وقال : اسمي يحي بن اللاأذى، فإذا أنا يحي بن الأذى، أوذي خلق الله! فأخذ القنفذ فربط رجله بجبائر وادخله في خابيّة فكان يسقيه الماء ويطعمه التين والزّبيب إلى أن انجبر فذهب[2]"

سنقوم الآن بوضع جدول توضيحيّ لكيفية تفكيك وتأويل وتركيب الباحث لهذا النّص المناقبي في إطار محاولة إدخال عالم الواقع في عالم الممكن[3]:

المشبه وصفاته	المشبه به وصفاته	نقطة الالتقاء بينهما
المنجل: أداة +حادة + للقطع + مؤذيّة + تسيل الدّم + تحدث ثغرة في الجسم وفي غيره.	**المعصيّة:** فعل + مؤذ + محدث ضررا في العمل الصّالح + ناتجة عن أي عمل مخالف للشريعة.	الجامع بينهما هو الحاق الأذى والضرر بشيء لا يباح إلا بالشّريعة.

[1]عن فكرة التّأويل أنظر : سمية مقورة وعبد القادر بوعقادة، "العجيب والغريب في الخطاب الكراميّ في المغرب الإسلاميّ"، مجلة العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة، م10، ع1، 2020،ص210.

[2]النّص في الأصل للتادلي كما وضحنا، لكننا نقلناه من دراسة: محمد مفتاح، "الواقع والعالم الممكن في المناقب الصّوفيّة"، ضمن أعمال الملتقى الدّراسيّ المعنون بـ: التّاريخ وادب المناقب، منشورات عكاظ، الرباط، 1989، ص29.

[3]أنظر : محمد مفتاح، "الواقع والعالم الممكن في المناقب الصّوفيّة"، ص39-40-41.

شجر السّدر: كثيف + مستقيم + شائك + مضر للجسم + مسيل + مظنة للاستعمال.	**شعر العانة:** كثيف + مستقيم + مسيل + مظنة لتحقيق المنفعة والمتعة.	المماثلة بين الطّرفين تكمن في التّسييل ومظنة الاستعمال وتحقيق المنفعة والمتعة.
القنفذ: حي + ذوشوك + مؤذ + ممكن أكل لحمه.	**إنسان:** حي + ممكن استعماله والتّمتع به + قابل للعلاج والتّربية والتّهذيب.	كل منهما قابل لأن يتمتع به ويعني به حتى يستقيم حاله.
الماء والتّين والزّبيب: أصل في الحياة واساس لها + احترامها + عذوبة المذاق.	**أنواع العبادات:** أصل في تهذيب الشّخصيّة +احترامها + حلاوتها + تقريب العبد إلى ربه.	العلاقة الموجودة بين الحدين هي الاحترام والحلاوة.
الخابيّة فضاء + مظلم ومغلق + وضع فيه القنفذ للعلاج.	**خلوة العبادة** فضاء مغلق+ مظلم + يعتكف فيه الإنسان للتعبد.	ما يجمع بينهما هو العلاج لكل من الحيوان والإنسان بحصره في فضاء لاسترجاع ما فقد واكتساب مؤهلات جديدة.
الجبائر: ما يشد به العظم المنكسر حتى يجبر + يقوم بالجبيرة مجبر.	**مواعظ:** ما يقال من كلام مؤثر ومهذب حتى تتجبر النّفوس الكسيرة + يقوم بها العابد أوالمتصوفة.	[سبيل أوطريقة للعلاج]
الصّوفيّ: الإطعام والإسقاء	**نبيّ أوالاه:** رد الجوارح التي تفقد +	[قوى روحيّة وخارقة]

للقنفذ + تجبير الكسر +شفاء المرض.	إبراء الأكمه والأبرص + إحياء الموتى + الإطعام والإسقاء.	

يقول الباحث بعد هذه العمليّة التّشبيهيّة "الاسقاطيّة": " يتبين من تحليل التّشبهات التي ألفناه كيفيّة تدرج النّصّ في بناء دلالاته العامة فالمنجل (الآلة الجنسيّة) هووسيلة المعصيّة إذ أنه أصاب شعر العانة إن أراد صاحب "منجل" وأي "قنفذ" قد يرتكبان ظلما واثما وذنبا ولأن العبد ليس معصوما، وعلى هذا فإنه من الممكن أن يعصي الله، ولكنه من الممكن أيضا أن يتوب ويعالج بأنواع من العبادات والمواعظ والتربيّة والرّياضة حتى ينهض ليسير في طريق السّالكين على يد المتصوف الذي له قبس من النبوة وامداد إلاهيّ." فعالم الممكن وعالم الواقع يتعاونان ويتجادلان لبناء أعمق واخصب، وحتى لا نحمل النص المناقبيّ مالا طاقة له به، فإنه يجدر حسب، "محمد مفتاح" اخضاعه لقيود معجميّة وتركيبيّة ودلاليّة وتداوليّة، حتى لا يصبح وسيلة للتعبير غن أفكار قبليّة[1]، توقع المؤرخ في فخ التّحريف[2]، وقد أشار الباحث ذاته أنه لا يجوز للباحث أن يقارب التّرجمات الواردة في "التّشوف[3]" مثلا، وغيره بنفس الكيفيّة[4].

ونحن بصدد الحديث عن النّص المناقبيّ، لا بد لنا من أن نتطرق إلى الموضوعات التي يطرقها، فمنها ما يتعلق بالدّنيا، ومنها ما يتعلق بالآخرة، ومنها ما يطلع الباحث على

[1] محمد مفتاح، الواقع والعالم الممكن في المناقب الصّوفيّة، ص41.

[2] الطّاهر بونابي، مظاهر المجال والدين والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، ص 71.

[3] عن كتاب التّشوف يقول الطاهر بونابي : "يطرح كتاب (التّشوف إلى رجال التّصوف واخبار أبي العباس السّبتيّ) لابن الزّيات التّادليّ ت617هـ/1220م نموذجا يكاد يكون فريدا من نوعه في رصد واقع الحركة الصّوفيّة في المغرب الإسلاميّ... تناول فيه بالتّرجمة لمائتين وتسعة وسبعين صوفيا ... إذ تحرى في إثبات صحة الرّوايّة طريق المقارنة بين الرّوايات واختيار الأصح من[هـ]ا سندا واقربها إلى الصّواب والجنوح إلى اعتماد روايات أهل الثقة والأمانة والصّلاح .." للتزيد أنظر: (الطّاهر بونابي، عصر المتصوفة بالمغرب الأوسط ..، ص 22.)

[4] محمد مفتاح، الواقع والممكن في المناقب الصّوفيّة، ص 41-42.

الحياة الاجتماعيّة والاقتصاديّة، ويمكن ضبط ثلاثة أنماط من الرّوايات على ضوء الموضوعات التي يطرقها، وهي كالأتي[1]:

1-روايّة تعبر موضوعاتها عن الواقع، لا يكاد القارئ العاديّ يلاحظ انحرافها مثل: (تراجم الفقهاء والعلماء والصّوفيّة والموضوعات الاجتماعيّة والاقتصاديّة وإطعام الطّعام، والسّفريات واصلاح ذات البين.)

2-رواية تتميز بانزياحها الدّينيّ والعرفيّ من قبل الصّوفيّ وتفتح الباب لقراءة تأويليّة مثل: (الخوف، التّعصب، شفاء المرضى، تطويع الكائنات.)

3-رواية يجد فيها القارئ انحرافا كبيرا عن الواقع وتخترق قوانين الطّبيعة المتعارف عليها.

وحتى تكون الكتابة المناقبيّ "جنسا نقيا" حسب تعبير "الطّاهر بونابيّ" لا بد وان يتوفر في ضمن خصائصها الوظيفيّة والبنيويّة الشّروط الآتيّة[2]:

1-الغرض الصّوفيّ المتحدث عنه.

2-استعمال المصطلح الصّوفيّ والقدرة على توظيفه.

3-الهدف من الكتابات المناقبيّة.

4- أن تكون هذه الشّروط غير قابلة للتجزئة، لأن في تجزئتها خروجا عن جنسها.

وقد شرح لنا هذا العنصر شرحا دقيقا، حيث ذكر أنه إذا تم استخدام الأغراض الصّوفيّة، ولم يستعمل المصطلح الصوفيّ فالكتابة ليست بصوفيّة، وهي كالكتابة الفلسفيّة ؛ وكذلك إذا تناولنا الأغراض الصّوفيّة واستعمل المصطلح الصّوفيّ ولم يحدد ما يهدف إليه التّصوف فكتابته ليست بصوفيّة وهي مثل مؤلفات الحب ؛ وكذلك إذا استعمل

[1] الطّاهر بونابيّ، "أهمية المخطوطات المناقبيّة في كتابة التّاريخ الاجتماعيّ والاقتصاديّ والفكريّ للمغرب الإسلاميّ من خلال العصر الوسيط"، المجلة الجزائريّة للمخطوطات، ص90.

[2] الطّاهر بونابيّ، "أهمية المخطوطات المناقبيّة في كتابة التّاريخ الاجتماعيّ والاقتصاديّ والفكريّ للمغرب الإسلاميّ خلال العصر الوسيط"، ص 89.

المصطلح الصّوفيّ في غير الأغراض الصّوفيّة المتعارف عليها فهي كالكتابة الاصطلاحيّة[1].

ومنه نستنتج أن الكتابات المناقبيّة إذا ما أخضعناها للطرق المنهجيّة الصحيحة، سنتحصل على كم هائل من المعلومات الدّقيقة، صحيح أن قراءتها والاشتغال عليها صعب، لكن النتائج المتحصل عليها ستكسب الباحث المؤرخ، جرأة أكبر في طرح مواضيعه التي قد تستقى منها!

ثانيا- تحقيق النّصوص المخطوطة:

يرى الباحث المغربيّ "محمد الشّريف" أن الاهتمام بالتّراث يمثل جزءا من كينونتنا، وهويتنا ذلك أن الاهتمام به ليس تاريخا ماضويّا بقدر ما هوعمل حياتيّ مستقبليّ[2]، وذلك راجع بالطّبع إلى قدرة التّغيير الجذريّ الذي قد يحمله أي مخطوط لازال يركن مكانه على رفوف أحد الخزائن، والمغرب العربيّ كما هومعلوم يتوفر على رصيد وثائقيّ مهم من التّراث المخطوط، هذا الرّصيد الذي لابد وان يلقى حقه في الخروج من قوقعته وانتشاره بين ربوع المؤرخين، والى المكاتب عامة أوخاصة كانت؛ لأن تاريخنا يفرض حضور الوثيقة لأنها أصل في التّاريخ، حتى غدا البعض يقول: "حيث لا وثائق لا تاريخ" ، ناهيك عن أن البحث عن الوثائق يعتبر أحد المهام الأساسيّة في مهمة المؤرخ[3]، كذلك فالوثائق هي بمثابة الأصول التي تشمل كل ما يمكن للباحث أن يعتمد عليه في بحثه التاريخيّ[4]، وإذا ضاعت الأصول ضاع التّاريخ منها وهذه قاعدة عامة لا موضع للجدل فيها حسبما

---

[1] الطّاهر بونابي،"أهمية المخطوطات المناقبيّة في كتابة التّاريخ الاجتماعيّ والاقتصاديّ والفكريّ للمغرب الإسلاميّ خلال العصر الوسيط" ، ص89.

[2] محمد الشّريف، قضايا في تاريخ المغرب والأندلس، ج1، ص31.

[3] عبد الرحمان بدوي، النّقد التّاريخيّ، ط4، منشورات وكالة المطبوعات، الكويت، 1981، ص05.

[4] حسين مؤنس، التّاريخ والمؤرخون دراسة في علم التّاريخ ماهيته وموضوعاته ومذاهبه ومدارسه عند أهل الغرب واعلام كل مدرسة ولبحث في فلسفة التّاريخ ومدخل إلى فقه التّاريخ، دار المعارف،1974،مصر،ص51.

ذكر أحد الباحثين[1]. وللأهمية الكبيرة التي يحظى بها المخطوط زادت الدّراسات حوله وحول منهجية التعامل معه[2].

لكن ما نروم إليه في الصّفحات الأتيّة هو الحديث عن جدوى الرّهان على النّصوص المخطوطة، بمعنى أدق ما الذي قد تحققه لنا هذه النّصوص الجديدة؟ ومن هم أبرز المؤرخين الذين عرفتهم السّاحة المغاربيّة عامة والجزائريّة خاصة في ميدان التّحقيق؟ وهل حقق العالم العربي عددا لا بأس به من عمليات التّحقيق التي تضمن له بناء أرضية صلبة للبحث التّاريخي الأصيل الحقيقيّ؟!

1- جدوى الرّهان على النّصوص المخطوطة:

طالما ارتبطت لفظة الوثيقة بالمدرسة الوضعانيّة، سواء الألمانيّة أم الفرنسيّة، هذه المدرسة التي لا يمكن إنكار تأثيرها في الكتابة العربيّة، بل وقد ذهب أحد الباحثين المعاصرين "حسين بوبيدي" الجزائري، يصرح بتفوق تأثيرها على تأثير مدرسة الحوليات، مستدلا في حديثه برؤية الباحث الكبير "ناصر الدّين سعيدوني" التي توافقه نفس النّظرة، فأهم ما يميز المدرسة الوضعانيّة، هو اهتمامها الكبير بالوثيقة باعتبارها المصدر الأساسيّ للكتابة التّاريخيّة وهذا الاهتمام بالوثيقة يعد أحد أهم الإنجازات التي قدمتها هاته المدرسة للعالم، خاصة وأنها سعت بتطوير المستوى المنهجيّة وادواته، خاصة في تحقيق النصوص والأرشيف وأدوات نقد الوثيقة[3].

---

[1] أسد رستم، مصطلح التّاريخ، ص14.

[2] للتوسع أنظر على سبيل المثال لا الحصر: أحمد شوقي بنبين، دراسات في علم المخطوطات والبحث الببليوغرافيّ، ط2،المطبعة الوراقيّة الوطنيّة، مراكش، 2004./ قاسم السّمرائيّ، علم الاكتناه العربي، ط1، منشورات مركز الملك فيصل للبحوث والدّراسات الإسلاميّة، الرّياض.

[3] حسين بوبيدي، مداخلته المعنونة ب: الكتابة التّاريخيّة في العالم العربيّ أمام منجز مدرسة الحوليات، (فيديو) تمت مشاهدته عبر اليوتيب، في قناة المؤرخ الجزائريّ.

من هذا المنطلق سنشرع في ذكر نماذج من النصوص التي قام بتحريرها بعض المؤرخين المغاربة أمثال "إبراهيم القادري بوتشيش"، "الطّاهر بونابي"، "عبيد بوداود".

نبدأ مع الباحث "بوتشيش" ، والذي سنتناوله من حيث تحقيقه لنصين مخطوطيين الأول من كتاب: "أخبار الفقهاء والمحدثين لابن حارث الخشنيّ" ؛ والثاني يدور حول "نوازل ابن الحاج" .

✓ نصوص أندلسيّة جديدة من مخطوطة كتاب "أخبار الفقهاء والمحدثين لابن حارث الخشنيّ":

سنحاول في السّطور الآتيّة الوقوف على أهميّة هذه المخطوطة من خلال كتابات "بوتشيش".

صرح الباحث "بوتشيش" بداية بأهمية المادة التي تزخر بها كتب التّراجم والطّبقات، لصالح الجانبين الاقتصاديّ والاجتماعي، وذكر بأن الخزينة الأندلسيّة تتمتع بحظ وافر من هذا الصّنف، وكتاب "أخبار الفقهاء والمحدثين لابن حارث الخشنيّ" واحد منهم، إذ يحتوي الكتاب على تراجم عديدة لطبقات الفقهاء الأندلسيين، منذ فتح الأندلس حتى عصر الطّوائف[1].

يرى الباحث ذاته أن ما يزيد من قيمة الرّوايات التي تتضمنها المخطوطة، هو اشتمالها على معلومات واخبار عن العوام والبسطاء، التي تعز في المصادر المتواترة.

وتكمن أهمية منهج المؤلف في أن إنتاجه يخلوفي الغالب الأعم من التّفسيرات الغيبيّة، وتدخل القوى الخارقة وبهذا فهولا يحيد عن الموضوعيّة والنّزاهة.

ولعل أن أهمية هذه المخطوطة تكمن في أنها تحمل نصوصا وروايات يندر وجودها في مصادر أخرى، وهي نقية في تحري التّاريخ الاقتصاديّ والاجتماعيّ.

[1] إبراهيم القادريّ بوتشيش، "نصوص أندلسيّة جديدة من مخطوطة كتاب "أخبار الفقهاء والمحدثين لابن حارث الخشنيّ"، مجلة المناهل، ع1985،33، ص344.

تحتوي المخطوطة على بعض الوثائق الهامة في بعض الصّفحات، مثل الرّسالة التي بعثها الحاكم الربضي إلى الفقيه "يحي بن يحي الليثي"؛ ووثيقة أرسلها الحكم الرّبضيّ إلى الفقيه "عيسى بن دينار.

هذه المخطوطة تعتبر من المصادر الهامة التي اعتمد عليها "ابن الفرضيّ" في كتابه تاريخ علماء الأندلس[1].

✓ "حول مخطوط نوازل ابن الحاج واهمية مادته التّاريخيّة":

يرى الباحث "بوتشيش" أن الحفر أكثر في التراث الفقهي، وما يحمله من ذخائر، يظل أهم الأدوات التي تثري تاريخنا، خاصة في سعيها لإماطة اللّثام عن الجوانب المنسيّة في حضارتنا .

صرح الباحث ذاته أن ما جعله يخطوهذه الخطوة، في البحث عن هذا المخطوط، هوما قاله الباحث المحقق الفاحص "محمد بنشريفة" في مقاله المعنون ب: "وقائع أندلسيّة في نوازل القاضي عياض" ، حيث تحدث عن مجموعات النّوازل المشهورة، الرّاجعة إلى العصر المرابطيّ، إذ ذكر خمسا منها وعن الثالثة قال : "ولا أعرف ما إذا كانت موجودة".

وبالفعل هي موجودة، ويبدو أن الباحث "بوتشيش" هو اول من توصل إلى هذا المخطوط، الذي حفظته أيادي القدر من الضّياع إذ كان موجودا في رفوف خزانة الوثائق بالرّباط، قسم الأرشيفات، وعدم درايّة "محمد بنشريفة" بوجوده خير دليل على أسبقية "بوتشيش" في الحصول عليه، على حد تعبيره[2].

---

[1] إبراهيم القادري بوتشيش،"نصوص أندلسيّة جديدة من مخطوطة كتاب "أخبار الفقهاء والمحدثين لابن حارث الخشنيّ"، ص346-347.

[2] إبراهيم القادري بوتشيش،"حول مخطوط نوازل ابن الحاج واهمية مادته التّاريخيّة"، مجلة المناهل،ع1990،39،ص115-116.

عن المخطوط تكلم "بوتشيش" فقال: "يتألف المخطوط نوازل الحاج من 324 صفحة، مقاييسه 21×15. وتتضمن كل صفحة 23 سطرا، وفي كل سطر حوالي 12 إلى 13 كلمة .أما الخط الذي كتب به فهو خط مغربيّ يتميز برداءته، وصغر حروفه وتداخلها..."[1]

ثم انتقل للحديث عن شخصية المؤلف وثقافته، وهذا أمر منطقي، فالمحقق عادة ما يشتغل على، المؤلف بفتح اللام، والمؤلف بكسر اللام .

ولكن ما شد انتباهنا هوملاحظة الباحث للتداخل بين شخصية "ابن الحاج" وشخصية "أبي عبد الله بن الحاج"، حيث عاشا في نفس الفترة .ولكن الفرق بينهما كون الأول فقيه، والثاني قائد مرابطيّ استشهد في أحد الغزوات العسكريّة[2].

يبدو أن ثقافة "ابن الحاج" كانت متميزة حسب الباحث، وذلك يظهر مليا من خلال المصادر المتنوعة والمتعددة التي كان يستعملها، وتأتي في طليعتها الكتب الأصليّة، ك: "موطأ مالك"، "ابن القاسم" ، "مدونة أبي سحنون" ..إلخ .

أما عن طريقة "ابن الحاج" في تناول المسائل الفقهيّة فأول ما يلاحظ عليها، هو استطراداته في ذكر مسألة من المسائل، فيقتلها شرحا، ويسهب فيها تحليلا، ويحيلها على مدونات الفقه المالكي، ولا يتوقف عند هذا الحد، بل يسرد قضايا فقهيّة أخرى تعرض لها قضاة عصر، مبينا جهدهم في إيجاد أجوبة شافيّة لها ؛ إضافة إلى ذلك فإن طريقته تتميز بضبط كبير، فهويذكر النّازلة بنصها، والتّاريخ والمكان ؛ كما وان النّزعة السّنية بادية لدى المؤلف وذلك استنادا لدفاعه المستميت عن المالكيّة والمذهب المالكيّ [3].

وتكمن أهمية المخطوط فيما يأتي ذكره[4]:

---

[1]إبراهيم القادري بوتشيش، "حول مخطوط نوازل ابن الحاج واهمية مادته التّاريخيّة"، ص116.

[2]إبراهيم القادري بوتشيش،" حول أهمية مخطوط نوازل ابن الحاج واهمية مادته التّاريخيّة"، ص 118.

[3]إبراهيم القادري بوتشيش، "حول أهمية مخطوط نوازل ابن الحاج واهمية مادته التّاريخيّة"، ص121-122-123.

[4]إبراهيم القادري بوتشيش،"حول أهمية مخطوط نوازل ابن الحاج واهمية مادته التّاريخيّة"، ص124-125-126.

-يتضمن الكتاب أهمية فقهيّة، جعلت الفقهاء اللاحقين يستندون إليه، ذلك أن مادته ثرية، وهي بمثابة الأرض الخصبة التي تشيع نهمهم.

-يسدي خدمة طيبة للتاريخ الاجتماعيّ للأندلس، وحتى المغرب.

-على الصّعيد التّاريخيّ فإن نوازل "ابن الحاج" تمدنا بسيل من النّصوص الفقهية التي تخدم التاريخ، وذلك بتعرضه لبعض النّوازل التي وقعت لبعض الأمراء المرابطين ك: "علي بن يوسف" و "تميم بن يوسف" ، زيادة إلى تعرضه إلى قضايا أخرى همشها المؤرخون، وعملوا على تغييبها في كتبهم، كوضعيّة الأرض، والعملة، والمعاملات الاجتماعيّة داخل الأسرة الصغيرة، والمجتمع ككل، إضافة إلى العادات والتّقاليد.

من خلال استعراضنا لم قام به الباحث "إبراهيم القادري بوتشيش" ، سواء في المقال الأول الذي تناول فيه نصوصا أندلسيّة من مخطوطة "أخبار الفقهاء المحدثين لابن حارث الخشنيّ" ، أومن خلال "مخطوط نوازل ابن الحاج" ، فإننا نلاحظ مواصلة "بوتشيش" في السير نحو اكتشاف كل ما يخص المهمشين وظروف حياتهم .

ننتقل الآن إلى الباحث الثانيّ وهو "الطّاهر بونابي"، والذي سنتعرف من خلاله على أحد النّصوص التي قام بتحقيقها وعنوان مقاله هو: "**المكانة العلميّة لبيت أبي عبد الله الشّريف التّلمسانيّ في الغرب الإسلاميّ منخلالمخطوط "مجموع فيه مناقب سيدي أبي عبد الله الشّريف وولديه سيدي عبد الله الغريق والولي الصّالح سيدي أبي يحي عبد الرّحمان" لأحمد بن أبي يحي عبد الرحمان ت 895هـ (قراءة وتحقيق)**".

وعن بيانات وبنية المخطوط يقول الباحث: "صار المخطوط الموسوم ب: مجموع فيه مناقب أبي عبد الله الشّريف وولديه سيدي عبد الله الغريق والولي الصّالح سيدي أبي يحي عبد الرحمان لمؤلفه أحمد بن أبي يحي عبد الرّحمان ت895هـ، مخطوطا كامل البنية بعد ظهور نسختين منه الأولى تعود ملكيتها لمؤسسة عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلاميّة والإنسانيّة بالدار البيضاء بالمملكة المغربيّة وهي بعنوان: "**مناقب أبي**

عبد الله الشّريف وولديه عبد الله الغريق وأبي يحي عبد الرحمان". وخطها مغربي واضح وعدد أوراقها 77 ورقة مكتوبة بخط مغربي جميل وتتألف من عشرة أبواب غير أنه وبداية من الورقة 50 يوجد بتر من تمام الباب السّابع أما النّسخة الثانيّة فهي ضمن مجموع بمكتبة المسجد النبوي بالمدينة.."

وتكمن أهمية المخطوط في كونه تتبع نشاط وإنجازات كل واحد من هؤلاء العلماء أبي عبد الله الشريف(710هـ/771هـ) وعمه عبد الله الغريق (748هـ/792هـ) ووالده أبي يحي عبد الرّحمان (757هـ/826هـ) ، فالمخطوط ينتمي إلى أدب المناقب لكنه يختص بالعلماء، وما يميزه عن غيره كونه لا يهتم بالصفات الجسمانيّة والمأكل والمشرب، إنما راح يتتبع سيرهم في سياق من الحياة الدّينيّة والعلميّة والثّقافيّة والسّياسيّة في بيئات تلمسان وتونس وفاس غرناطة خلال العهد الزيانيّ والحفصيّ والمرينيّ[1] .

أما الباحث الثالث "عبيد بوداود" فمقاله كان بعنوان: "**قراءة في مخطوط "النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب" لابن صعد التّلمسانيّ (ت901هـ)**[2]"

يتألف المخطوط من ثمانية أجزاء، لم يتوفر الباحث عليهم كاملا، حيث تحصل على ثلاثة منهم، وهي الجزء الأول والرّابع والثّامن، وقد جاء تأليفه بطلب من السّلطان الزّيانيّ "عبد الله محمد المتوكل" ، وقد استخدم الباحث نسخة تعود إلى سنة سبعين تسعمائة هجريّة، وكانت بيد النّاسخ "عبد الله عمر بن عثمان"[3].

---

[1]الطاهر بونابي، المكانة العلميّة لبيت أبي عبد الله الشّريف التلمسانيّ في الغرب الإسلاميّ من خلال مخطوط "مجموع فيه مناقب سيدي أبي عبد الله الشّريف وولديه سيدي عبد الله الغريق والولي الصّالح أبي يحي عبد الرحمان" لأحمد بن أبي يحي عبد الرّحمان ت895هـ (قراءة وتحقيق) ، ص 90-94./ وللاطلاع أكثر فالمقال يبدأ من الصفحة 90إلى غاية 105 وهومتوفر على الشبكة العنكبوتيّة

[2]تجدر الإشارة إلى أن نفس المعلومات موجودة في مقال أخر لذات الباحث، بنفس العنوان لكن الباحث غيّر فيه كلمة قراءة، بكلمة تقديم. هو : "تقديم مخطوط النّجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب" لابن صعد التّلمسانيّ ت(901هـ)".

[3]عبيد بوداود، "قراءة في مخطوط "النّجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب" لابن صعد التّلمسانيّ (ت901هـ)"، ص177-178.

يبدو أن أهمية المخطوط حسب الباحث تكمن في[1]:

-عدم اكتفاء "ابن صعد" بالترجمة لمتصوفة وأولياء المغرب الأوسط فقط (الجزائر)، أوالمغرب الإسلامي، بل شمل كتابه عددا كبيرا من متصوفة الشّرق الإسلاميّ والمغرب والأندلس، أي كل العلم الإسلاميّ.

-عدم تقيد "ابن صعد" بالعصر الذي عاش فيه وإنما عاد إلى العصور الوسطى الأولى.

ما يمكن قوله في اختتامنا لهذا الاستعراض المعلوماتيّ، أنه وباختلاف مميزات كل مخطوط، من حيث الموضوع، فإن ما يهمنا كباحثين مستقبليين هو خروجهم (أي المخطوطات) إلى العلن وبذلك خروج مادة جديدة، هذه المادة وحدها كفيلة بإنجاز بحوث تتفجر منها رؤى جديدة.

2- جهود التّحقيق في البلدان المغربيّة:

من المتعارف عليه أن التّاريخ المغاربي، كتب بداية بأقلام أجنبيّة، نظرا لتلك الحركة الاستعماريّة والاستدماريّة التي قادتها الدّول الأوروبية.

وكما ذكرنا سابقا فإن الوثيقة هي أساس في الكتابة التّاريخيّة العربيّة، لذلك فإن إعادة كتابة تاريخ المغرب، لا بد وان يعتمد عليها؛ لذلك كان من الضروريّ في البداية توفير هذه الوثيقة، وكان هذا دافعا لإغناء الرّصيد المصدريّ التّاريخي، فتكاثرت سلسلة تحقيقات المصادر، كما تم إصدار عدد لا يستهان به من مجاميع الوثائق الدّفينة، وقد زاد تجند الجامعة لهذا العمل نجاحا له، عن طريق توجيه البحث نحو توفير الرّصيد الوثائقيّ الضروريّ لإعادة كتابة التّاريخ المغاربيّ؛ وقد لعبت الموسوعات التّاريخيّة التي جمعها رواد المدرسة التّاريخيّة التّقليديّة المتأخرون دورا أساسيا في هذا المجهود التأسيسيّ للرؤيّة

[1] عبيد بوداود، "قراءة في مخطوط "النّجم الثّاقب فيما لأولياء الله من مفاخرالمناقب " لابن صعد التّلمسانيّ"، ص 178.

المغربيّة لتاريخ المغرب، ومن بين هذه الموسوعات يذكر "محمد العياديّ" ، مؤلفات كل من : "عبد الرّحمان بن زيدون"، "محمد داود"، "المختار السّنوسيّ"، "عبد السّلام بن سودة"، "محمد المنونيّ"[1].

و"المنوني" يعتبر من مؤرخي الجيل الأول من مؤرخيّ المغرب، الذي عرف بميوله الشّديد للوضعانيّة، وذلك في تبنيه القويّ لاعتماد الوثيقة الرّسميّة وإعادة بناء التّاريخ على أساس النّصوص المحليّة[2].

يعتبر الباحث "عبد الهادي التّازيّ" أول من شرع من المؤرخين المحترفين الذي ظهر على السّاحة المغربيّة، حيث قام بتحقيق كتاب "المن بالإمامة" ل"ابن صاحب الصّلاة"[3]، إضافة إلى كتاب رحلة ابن بطوطة المسماة " تحفة النّظار[4].

كما ويعد "محمد الفاسيّ" من الأوائل الذين عنوا بضبط وتصحيح المخطوطات، من بينها كتاب "المعجب في تلخيص أخبار المغرب" ل"عبد الواحد المراكشيّ"، ثم توالت العديد من أعماله في مجال التّحقيق، فأنجز بين تحقيق وتصحيح ونشر، كتبا تراثيّة كثيرة، منها : "الرّحلة المغربيّة" ، وكتاب "أنس الفقير وعز الحقير".

ول"عبد الله كنون" باع طويل في الكتابة والتّأليف والتّحقيق، نذكر من بينها: "المنتخب من شعر ابن زاكور"، "مناهل الصّفا في أخبار الشّرفاء " ل"عبد العزيز الفشتاليّ" ، "التّيسير في صناعة التّفسير" لأبي بكر الاشبيلي" .

---

[1]محمد العياديّ، "المدرسة التّاريخيّة المغربيّة الحديثة : الإشكاليات والمفاهيم"، منشورات جامعة الحسن الثّاني والجمعيّة المغربيّة للبحث التّاريخيّ، كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة، عين الشّق، 2010، ص268.

[2]عبد الرّحيم بنحادة، "في إنتاج المعرفة التّاريخيّة في المغرب"، ضمن الكتاب الجماعيّ : التأريخ العربيّ وتاريخ العرب كيف كتب وكيف يكتب؟ الإجابات الممكنة، ص 423.

[3]عبد الرّحيم بنحمادة، "في إنتاج المعرفة التّاريخيّة في المغرب"، ص427.

[4]بلقاسم ذاودي، "منهج المدرسة المغربيّة في تحقيق المخطوط العربيّ محمد بنشريفة وتحقيقه للسفر الثّامن من الذّيل والتّكملة نموذجا"، ص67.

ومن الذين تولوا تحقيق المخطوطات النّفيسة نجد أيضا "إبنتاويت الطّنجيّ" الذي حقق بضبط واتقان العديد من المخطوطات، نذكر منها: "شفاء السّائل إلى تحقيق المسائل" ل"عبد االرّحمان بن خلدون" . والباحث " عبد الوهاب بن منصور" ، الذي حقق كتاب "المنتخب النّفيس من شعر عبد الله بن خميس" و "روضة النّسرين في دولة بني مرين" . ويد الباحث "محمد بنشريفة" واحدا من المؤرخين الذين ساهموا بجهود كبيرة في مجال إنقاذ التّراث المخطوط بالمكتبة المغربيّة، وقد كانت له العديد منى الأعمال، من بينها أعمال مشتركة، كتحقيقة رفقه "إحسان عباس" لكتاب الذّيلوالتّكملة" في ثمانيّة أجزاء، وكتاب " ترتيب المدارك للقاضي عياض" في عمل مشترك[1]. كما وقد كانت للباحث "محمد الشّريف" تجربة في التّحقيق من خلال تحقيقه، لكتاب "المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد" ل"أبي محمد بن عبد الكريم التّميميّ الفاسي" (ت603ه أو 604ه)، وهويرى أن تقدم البحث التّاريخيّ مرتبط بمدى تقدم الباحثين في الحفر داخل التّراث المخطوط وتحقيقه تحقيقا علميا، حتى تتسنى الاستفادة منه وتقويمه بشكل صحيح[2].

بالإضافة إلى التجربة المغربيّة في التّحقيق، التي ساعدتها في الغالب تربعها على أكبر الخزائن التي تحتوي على أنفس المخطوطات التّراثيّة[3]، فهنالك تجارب تتوزع على كامل القطر المغاربيّ ؛ فالباحث الليبيّ مثلا " محمد مسعود جبران" ، والذي يعتبر من خيرة أساتذة المغرب العربيّ، حسب الباحث "محمد المنونيّ وكان قد حصل على درجة الماجيستار في الأدب العربيّ في سنة 1944م، أما رسالة الدّكتوراه فهي تدور حول

[1] بلقاسم ذاودي، "منهج المدرسة في تحقيق المدرسة المغربيّة في تحقيق المخطوط العربيّ محمد بنشريفة وتحقيقه للسفر الثّامن من الذّيل والتّكملة نموذجا"، ص65-66-67.

[2] محمد الشّريف، تقديمه لكتاب: أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم التّميميّ الفاسيّ، المستفاد في مناقب العباد وما يليها من البلاد، من تحقيقه، ط1، مطبعة طوب بريس، الرّباط، ص06.

[3] للتوسع أكثر ينصح بالرّجوع إلى الدراسة التي أجراها الباحث : محمد الصّافي، "وقع المخطوط المغربيّ بين الفهرسة والتّحقيق والرّقمنة الغاية والمنهج "، مدلة كان التّاريخيّة، ع43، 2019.

الأدب المغربيّ والأندلس، فضلا عما نشر له من مقالات وبحوث علميّة، يرى الباحث "محمد المنونيّ" أن الباحث "محمد مسعود جبران " اجتهد في تحقيق "سبك المقال لفك العقال" ل"عبد الواحد بن الطّواح"، واسرع في إنجازه بسرعة مثاليّة، مشيرا إلى أهمية الكتاب فب اعتباره يساهم في الكشف عن عدد من التّراجم الأندلسيّة والتّونسيّة وقليل من تراجم الجزائر والمغرب الأقصى، فضلا عما ينفرد به من التّعريف بالمؤسسات المنوعة المتناثرة بتونس الخضراء وما إليها[1]. وقد صرح المحقق أيضا بأهمية الكتاب رغم صغر حجمه إلا أن مادته التّاريخية والأدبيّة والصّوفيّة زاخرة، إضافة إلى أنه يعد نصا قيما، ووثيقة مهمة من نصوص ووثائق القرنين السّابع والثّامن الهجريين اللذين لا يزالان في حاجة ماسة إلى العديد من النّصوص والوثائق الكاشفة عن أبعاد الحياة العامة[2].

وكان للتجربة التّونسيّة حضورا بارزا في عملية تحقيق التّراث، نذكر على وجه الخصوص، تجربة الباحث "محمد حسن" الذي قام بتحقيق كتاب "السّير" لـ"الشّماخيّ" ، وقد تفطن الباحث لأهمية هذا الكتاب التي تتجاوز التّاريخ السّياسيّ والمذهبي، رغم أهمية هذه الجوانب فيه، فمادته تساعد على العناية بالتاريخ المسكوت عنه، وهو تاريخ القبائل والبوادي، وقد صرح الباحث هذا أن عمله هذا الذي كان تارة متواصلا وتارة منقطعا، احتاج إلى "جذوة الشّباب" و "حكمة الكهولة"[3].

بعد تقديمنا لهذا الموجز من المنجز المغاربيّ في تحقيق التّراث (ولوان التّجربة المغربيّة طاغيّة) ، سننطلق في استعراض ما جاد به رواد المدرسة الجزائريّة في هذا المجال، وبدايتنا ستكون مع الباحث "أبي شّنب"، وهو الشّخصية الجزائريّة الأولى التي

---

[1] محمد المنونيّ، تقديمه لكتاب: عبد الواحد محمد بن الطّواح، سبك المقال لفك العقال، تحقيق: محمد مسعود جبران، ط2، منشورات جمعيّة الدّعوة الإسلاميّة العالميّة، 2008، ص10-09.

[2] محمد مسعود جبران، مقدمته في كتاب: سبك المقال وفك العقال، ص 12.

[3] محمد حسن، مقدمته لكتاب: أبي العباس أحمد بن أبي عثمان سعيد بن عبد الواحد الشّماخيّ، كتاب السّير، من تحقيقه، ط1، دار المدار الإسلاميّ، بيروت، 2009،ص80.

تتبادر إلى ذّهن المختصين في تحقيق المخطوطات، وإذا ما أرادوا التأريخ لتحقيق المخطوطات في بداية القرن العشرين[1].واهم ما قدمه للتحقيق هذا الباحث هوسعيه في إعداد ووضع الفهارس، فهارس الأعلام، الأماكن، الكتب..، ومن بين أهم ما قام به نشره وتحقيقه، ل"رحلة الورثلانيّ" والمسماة "نزهة الأنظار في فضل علم التّاريخ والأخبار" لـ "نحمد سعيد" المعروف ب"الورثلاني"؛ وتحقيقه لكتاب "الذّخيرة السّنيّة في تاريخ الدولة المرينيّة لـ "علي ابن أبي زرع الفاسيّ" ، إضافة إلى كتابي: "البستان في ذكر الأولياء بتلمسان" لـ "ابن مريم"، و"عنوان الدّرايّة فيمن عرف من العلماء من المئة التّاسعة ببجاية" لـ "ابي العباس الغبريني"[2]، ومن المحققين الجزائريين نذكر أيضا "رابح بونار" الذي قام بإعادة تحقيق كتاب "عنوان الدّرايّة"، وهذا كي لا ينقص من قيمة المخطوط، فراح يتتبع أخطاء كان قد وقع فيها "أبي شنب"، كذلك فقد ساهم " محمود بوعياد" الذي كان يشرف على إدارة المكتبة الوطنيّة فاستفاد في اطلاعه على ما احتوته من مخطوطات، كما أنه تمكن من الاتّصال بمراكز المخطوطات من خارج البلاد، وقام بتحقيق مخطوط "تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان" لـ"محمد بن عبد الله التّنسي"، كما ساهم في تحقيق مخطوط "ابن مرزوق الخطيب"، "المسند الصّحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن" وذلك بالاشتراك مع الأستاذة الإسبانيّة "مارية خيسوس بيفيرا"[3]. كما وقد ساهم الباحث "يحي بوعزيز" في نشر وتوسيع وتحقيق عدة مخطوطات عنيت بتاريخ وحضارة المغرب الأوسط نذكر منها: "روضة النّسرين في

---

[1]عبد القادر قوبع، "تجربة واسهام المدرسة التّاريخيّة الجزائريّة في تحقيق المخطوط"، الأكاديميّة للدراسات الاجتماعيّة والإنسانيّة، م12، ع1، 2019، ص112.

[2]عائشة يطو، "محمد بن أبي شنب رائد المحققين الجزائريين، مجلة التراث العربيّ، ص207-209/ موسى هيصام، "الكتابة التّاريخيّة وتحقيق التّراث المخطوط عند العلامة محمد بن أبي شنب" مجلة دراسات في التّاريخ والآثار ع60، 2017، ص40 وما بعدها./ خولة بديرنية، إسهامات النّخبة الجزائريّة الثّقافيّة محمد بن أبي شنب أنموذجا، مذكرة ماستر، تحت إشراف: بلقاسم ميسوم، قسم العلوم الإنسانيّة، جامعة بسكرة، 2012-2013، ص61 وما بعدها.

[3]عبد القادر قوبع، "تجربة واسهام المدرسة التّاريخيّة الجزائريّة في تحقيق المخطوط "، ص 114.

التّعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين " ل"ابن صعد التّلمسانيّ"[1].وانه لا يستقيم الحديث عن المحققين الجزائريين إذا غاب ذكر الباحث "عبد الحميد حاجيات" ، كيف ولا؟ وهومن أظهر علوكعبه في مجال التّحقيق على حد تعبير أحدهم، فهو المتمكن من قواعد اللّغة العربيّة والمدرك لمصطلحاتها[2].ومن بين أهم ماساهم به في تحقيق التّراث نذكر[3]:

-"بغية الرّواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد" لمؤلفه "يحي بن خلدون" ، حيث قام بتقديمه وتحقيقه والتّعليق عليه، واخرجه في جزأيين.

-"زهرة البستان في دولة بني زيان" لمؤلف مجهول.

-تاريخ دولة الأدارسة من كتاب: "نظم الدر والعقيان"، لمؤلفه "أبي عبد الله التّنسيّ".

-كتاب "أخبار المهدي بن تومرت" لمؤلفه "البيذق".

ويعد الباحث "عبد القادر بوباية" من أبرز المحققين المعاصرين، ولكثرة إنتاجه العلمي تبوأ مكانا له بين الباحثين المؤرخين الجادين، أما عن التّعريف بشخصه، فهوغني عن التّعريف، إذ تولى أكثر من باحث تقديم سيرته الذاتيّة[4].

ومن الكتب التي قام بتحقيقها نذكر[5]:

-"مفاحر البربر" لمؤلف مجهول، قام بتحقيقه، وهوفي الأصل رساله ماجيستير نوقشت في وهران عام 1996م.

---

[1]عبد الكريم بصديق، "مساهمة الدّكتور يحي بوعزيز في تحقيق وكتابة تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط"، مجلة قرطاس، ع11، 2019.

[2] خالد بلعربيّ، "الأستاذ الدّكتور عبد الحميد حاجيات ومساهماته في كتابة تاريخ المغرب في العصر الوسيط"، المجلة الجزائريةّ للبحوث والّدراسات التّاريخيّة المتوسطيّة، ع3، 2016، ص60.

[3]أحمد بوشريط، "إسهامات الباحث عبد الحميد حاجيات في تحقيق التّراث الإسلاميّ كتاب أخبار المهدي بن تومرت أنموذجا"، مجلة الحوار المتوسطيّ، م15،ع16، 2017، ص 21-22.

[4]للاطلاع أنظر: بلحاج طرشاويّ، "منهج الأستاذ عبد القادر بوباية في تحقيق المخطوطات"، مجلة عصور الجديدة، ع3-4، 2011-2012، ص263 / عبد الله بابا، "جهود الدّكتور عبد القادر بوباية في تحقيق المخطوطات (مخطوط مفاخر البربر أنموذجا)"،مجلة رفوف،ع5، 2015، 40ص4-405.

[5] وذلك انطلاقا من سيرته الذّاتية التي توفرت لدينا.

-"تاريخ الأندلس" لمؤلف مجهول، قام بدراسته وتحقيقه، ونشر عن دار الكتب العلميّة، ببيروت، في ماي 2007م.

-"مفاخر البربر" ل"صالح بن عبد الحليم الإيلاني" ، قام بدراسته وتحقيقه، ونشر عن دار أبي رقراق، بالرباط، عام 2008م؛ واعيد نشره في طبعة خاصة، عن مؤسسة البلاغ للنشر والدّراسات والأبحاث بالجزائر، عام 2013م.

-"الحلل الموشيّة فب ذكر الأخبار المراكشيّة" لـ"ابن سماك العامليّ، قام بدراسته وتحقيقه، ونشر عن دار الكتب العلميّة ببيروت، عام2010م.

-"البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان"، ل"ابن مريم المليتي المديونيّ" ، قام بدراسته وتحقيقه، ونشر عن دار الرشاد، بسيدي بلعباس، عام2011م؛ وأعيد نشره عن دار الكتب العلميّ ببيروت عام 2013م.

-"المقتبس من تاريخ البربر في المغرب والأندلس"، لـ"صالح بن عبد الحليم الإيلاني"، قام بدراسته وتحقيقه، ونشر عن مكتبة الرّشاد للطباعة والنّشر، بالجزائر، عام 2013م.

-"جغرافيّة وتاريخ الأندلس"، لمؤلف مجهول، قام بدراسته وتحقيقه، ونشر عن مؤسسة البلاغ للنشر والدّراسات والأبحاث، بالجزائر، عام 2013.

-"مناقب صلحاء الشّلف"، لـ"موسى بن عيسى المازونيّ"، قام بدراسته وتحقيقه، ونشر عن مكتبة الرّشاد للطباعة والنشر، بالجزائر، عام2017م؛ وأعيد نشره، عن دار الكتب العلميّة ببيروت، عام 2019م.

-إضافة إلى ما هوقيد الإنجاز: "تاريخ الأندلس من كتاب ترجمان العبر وديوان المبتدأ والخبر.." ، جمع ودراسة وتحقيق.

وبالتالي فإن التّجربة الجزائريّة حاضرة، في الوسط التّأريخي التّحقيقي، وقد شهدت تطورا ملحوظا، من الجيل الأول الذي ساهم، في تحقيق التّراث، ونوّه إلى أهميته، إلى

غاية اللّحظة الرّاهنة، التي زاد فيها الوعي بأهمية ما يمتلك من التّراث الذي يحق له أن يطالبنا بإعادة قراءته، واستكشاف مضمراته، وإخراجها للعلن، من أجل بناء أفكارا مكملة لم نمتلكه.

3- أهم النّصوص المحققة منذ مطلع الألفيّة الثّالثة:

يزخر التّاريخ الإسلاميّ، بمادة تاريخيّة متراميّة الأطرف في الكثير من النّواحيّ (تاريخ وحوليات، تراجم واعلام، برامج واثبات، مناقب وكرامات..)، وقد قمنا بعمليّة جرد وإحصاء لمختلف الكتب التي تم تحقيقها منذ مطلع الألفية الثالثة، وقد ساعدنا في ذلك رجوعنا إلى بعض الكتب العلميّة[1]، إضافة إلى مساهمة الخبير "لخضر بولطيف[2]" في أداء هذا العمل الذي يرموا إلى طابع الشّموليّة.

✓ **في التاريخ والحوليات:** تاريخ الإسلام للذهبي (2003)، مفاخر البربر لمؤلف مجهول (2005)، كتاب المحن لأبي العرب (2006)، تاريخ الأندلس لمؤلف مجهول (2007)، تاريخ ميورقة لابن عميرة (2007)، كتاب التاريخ لعبد الملك بن حبيب (2008)، اللمحة البدرية (2009)، الاكتفاء لابن الكردبوس (2009)، الحلل الموشية لابن سماك (2010)، بغية الرواد ليحيى بن خلدون (2011)، زهر البستان لمؤلف مجهول (2011)، تاريخ الحميدي (2014)، المغرب لابن اليسع (2016)، أخبار الدولة العامرية لابن حيان (2020).

---

[1]-عبد الواحد ذنون طه، مصادر في تاريخ المغرب والأندلس، ط1، دار المدر الإسلاميّ، بيروت، 2011.

-أنور محمود زناتيّ، مصادر تاريخ المغرب والأندلس،ط1، دار سحر، تونس،2008.

-محمد البركة وسعيد بنحادة، مصادر تاريخ الغرب الإسلاميّ.. محاولة في التّركيب والرّصد، ط1،مطبعة آنفو-برانت، 2016.

[2]لخضر بولطيف، وراقيّة البحث في تاريخ الغرب الإسلاميّ، "محاضرات" مرقونة، ألقيت على طلبة السّنة الأولى ماستر، تخصص تاريخ الغرب الإسلاميّ، الإصدار السّابع، قسم التّاريخ، جامعة المسيلة، 2017.

✓ **في التراجم والأعلام:** كفاية المحتاج للتنبكتي (2000)، توشيح الديباج للقرافي (2004)، صفوة من انتشر للإفراني (2004)، أخبار الحكماء للقفطي (2005)، الطبقات الكبرى للشعراني (2005)، طبقات الحضيكي (2006)، سبك المقال لابن الطواح (2008)، المستملح للذهبي (2008)، تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (2008)، جذوة المقتبس للحميدي (2008)، كتاب السير للشماخي (2009)، الجامع للرعيني (2009)، الصلة لابن بشكوال (2010)، التكملة لابن الأبار (2011)، الذيل والتكملة لابن عبد الملك (2012)، تعريف الخلف للحفناوي (2012)، سير البغطوري (2017).

✓ **في البرامج والأثبات:** غنيمة الوافد للثعالبي (2005)، فهرس السجلماسي (2008)، برنامج التجيبي (2011)، برنامج اللبلي (2011)، برنامج ابن أبي الربيع (2011).

✓ **في السيرة والمغازي:** الآيات البينات لابن دحية (2000)، خير البشر لابن ظفر (2008)، نظم الدرر للرهوني (2010)، رسالة في السيرة النبوية لأبي جعفر الرعيني (2011)، رسالة في السيرة النبوية لابن جابر الضرير (2011)، نظم الدرر للأفيلح (2017).

✓ **في المناقب والكرامات:** درة الأسرار لابن الصباغ (2001)، المستفاد للتميمي (2002)، سلوة الأنفاس للكتاني (2004)، مناقب الباجي للهواري (2004)، المناقب المرزوقية لابن مرزوق (2008)، أخبار الأولياء لابن ظافر (2008)، البستان لابن مريم (2011)، النجم الثاقب لابن صعد (2011)، مناقب عائشة المنوبية (2011)، مناقب التباسي لابن الصباغ (2012)، المنهاج الواضح للماجري (2013)، المناقب الدهمانية لابن الدباغ (2015)، السلك المثنى لابن القطان (2016)، صلحاء وادي شلف للمازوني (2017).

✓ **في القبائل والأنساب:** تذكرة الألباب للبتي (2001)، عقد الجمان النفيس للتوجيني (2005)، تحفة الحادي لأبي القاسم الزياني (2008).

✓ **في البلدان والرحلات:** المسالك والممالك للبكري (2003)، مسالك الأبصار للعمري (2010)، رحلة الوزير للغساني (2002)، رحلة المقري الحفيد (2004)، رحلة الوارجلاني (2006)، رحلة العياشي (2006)، رحلة بنيامين التطيلي (2007)، رحلة ابن الصباح (2008)، رحلة ابن حمويه (2011)، رحلة ابن زاكور (2011)، الرحلة الحجازية للحضيكي (2011)، ملء العيبة لابن رشيد (2012)، رحلة اليوسي (2018)، رحلة المقري الجد (2019).

✓ **في اللغة والآداب:**

▪ **مجاميع نثرية وشعرية:** جهد النصيح للكلاعي (2001)، سمط الجمان لابن الإمام (2002)، الحدائق والجنان لابن فرج (2003)، كنز الكتاب للبونسي (2004)، لمح السحر لابن ليون (2005)، مناقل الدر للشقندي (2008)، ألف باء لابن الشيخ (2009)، الذخائر والأعلاق للباهلي (2010)، زواهر الفكر لابن المرابط (2010)، كمامة الزهر لابن بدرون (2016).

▪ **دواوين شعرية:** ديوان ابن مجبر (2000)، ديوان ابن الصباغ (2003)، ديوان ابن المرحل (2004)، ديوان صفوان للتجيبي (2007)، ديوان الميرتلي (2008)، ديوان الششتري (2008)، ديوان العفيف التلمساني (2008)، ديوان ابن مرج الكحل (2009)، ديوان ابن حربون (2010)، ديوان الأعمى التطيلي (2014).

▪ **أمثال وحكم:** حدائق الأزاهر لابن عاصم (2014)، الكتاب المحكم لابن فرتون (2015)، ري الأوام للزجالي (2018).

▪ **ترسبل:** فصل الخطاب لمؤلف مجهول (2005)، بغية المستطرف لابن هانئ (2014).

✓ **في العلوم والمعارف:**

- **التفسير:** المحرر الوجيز لابن عطية (2001)، تفسير ابن أبي زمنين (2002)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (2006)، أحكام القرآن لابن الفرس (2006)، ملاك التأويل لابن الزبير (2007)، تفسير القرآن لابن أبي الربيع (2009)، تنبيه الأفهام لابن برجان (2011)، البحر المحيط لأبي حيان (2015).
- **القراءات:** الكامل في القراءات العشر لابن جبارة (2007)، التيسير في القراءات السبع للداني (2015).
- **الحديث:** المعلم بشيوخ البخاري ومسلم لابن خلفون (2000)، الأحكام الكبرى لابن الخراط (2001)، المفهم لابن المزين (2004)، تفسير غريب الموطأ لعبد الملك بن حبيب (2001)، الاقتضاب في غريب الموطأ لليفرني (2001)، المفصح المفهم لابن البرذعي (2002)، شرف الطالب لابن قنفذ (2003)، الباقيات الصالحات لابن الأقليشي (2003)، المسالك في شرح موطأ مالك لابن العربي (2007)، تفسير الموطأ للبوني (2011)، مطالع الأنوار لابن قرقول (2012)، الفوائد المنتخبة لابن بشكوال (2016).
- **العقيدة:** الحسام الممدود لعبد الحق الإسلامي (2001)، شرح عقيدة ابن أبي زيد القيرواني للقاضي عبد الوهاب (2002)، إثبات نبوة محمد (ص) لابن المزين (2004)، مقدمات المراشد (2004)، لحن العامة للسكوني (2005)، الدليل والبرهان للوارجلاني (2006)، الحدود الكلامية لابن سابق (2008)، العقيدة البرهانية للسلالجي (2008)، شرح العقيدة البرهانية للعقباني (2008)، تحرير المقالة للقلشاني (2008)، أم البراهين للسنوسي (2009)، شرح أم البراهين للملالي (2009)، شرح المقدمات للسنوسي (2009)، شرح معالم أصول الدين لابن التلمساني (2010)، عقيدة المرادي (2012)، مختصر اليابري (2013)، التنبيه والإرشاد لأبي الحجاج الضرير (2014)، النور المبين

لابن جزي (2015)، الكتاب المتوسط في الاعتقاد لابن العربي (2015)، الأمد الأقصى لابن العربي (2015)، تأويل مشكلات البخاري للسنوسي (2015).

- **فقه الأحكام:** اختلاف أقوال مالك وأصحابه لابن عبد البر (2003)، مطالع التمام للشماع (2003)، مختصر الطليطلي (2004)، كتاب الخصال لابن زرب (2005)، لباب اللباب لابن راشد (2007)، مناهج التحصيل للرجراجي (2007)، الأموال للداودي (2008)، تهذيب المسالك للفندلاوي (2009)، الجامع لخليل بن إسحاق (2009)، الانتصار لآهل المدينة لابن الفخار (2009)، الواضحة لعبد الملك بن حبيب (2010)، أحكام الزكاة لابن الجد (2010)، روضة المستبين لابن بزيزة (2010)، التنبيهات المستنبطة للقاضي عياض (2011)، طرر ابن عات (2012)، التبصرة للخمي (2012)، اختصار المدونة والمختلطة لابن أبي زيد القيرواني (2013)، المختصر الفقهي لابن عرفة (2014).

- **فقه النوازل:** فتاوى ابن سراج (2000)، فتاوى البرزلي (2002)، نوازل ابن لب (2004)، فتاوى اللخمي (2005)، نوازل ابن بشتغير (2008)، أجوبة ابن ورد (2009)، أجوبة الإمامين ابن وهب وأشهب (2009)، فتاوى أبي عمران الفاسي (2010)، أجوبة ابن سحنون (2011)، فتاوى ابن زرب (2011)، فتاوى ابن أبي زيد القيرواني (2012)، الدرر المكنونة للمازوني (2012)، نوازل ابن الحاج (2018).

- **فقه القضاء:** المقصد المحمود للجزيري (2000)، المقنع في علم الشروط لابن مغيث (2000)، فصول الأحكام للباجي (2002)، مجالس القضاة للمكناسي (2002)، المنهج الفائق للونشريسي (2005)، تحفة الحكام لابن عاصم (2011)، العقد المنظم لابن سلمون (2011)، الوثائق المختصرة للغرناطي (2011)، المفيد للحكام لابن هشام (2012)، الأحكام لعبد الملك بن حبيب (2014).

- **أصول الفقه:** مهيع الوصول لابن عاصم (2000)، لباب المحصول لابن رشيق (2001)، إيضاح المحصول للمازري (2002)، تقريب الوصول لابن جزي (2003)، الحدود في الأصول للباجي (2003)، مرتقى الوصول لابن عاصم (2004)، الإقناع لابن القطان (2005)، إيضاح المسالك للونشريسي (2006)، التحقيق والبيان للأبياري (2010).
- **الزهد والتصوف:** القربة إلى رب العالمين لابن بشكوال (2001)، قطب العارفين للجائي (2001)، الكوكب الدري لابن عربي (2002)، التدبيرات الإلهية لابن عربي (2002)، سنن الصالحين للباجي (2003)، شمس القلوب للجائي (2003)، أنوار الآثار لابن الأقليشي (2003)، كتاب المعرفة لابن عربي (2004)، عنقاء مغرب لابن عربي (2004)، الإنالة العلمية لابن ليون (2004)، مصباح الظلام للمزالي (2004)، التذكرة للقرطبي (2004)، كتاب الشهاب لابن سيدبونة (2005)، قواعد التصوف لزروق (2005)، ذخائر الأعلاق لابن عربي (2006)، التذكرة لابن أبي العيش (2008)، خواص الحروف لابن مسرة (2008)، المقاليد الوجودية للششتري (2008)، لمحات الأنوار للملاحي (2008)، سراج المهتدين لابن العربي (2009)، سراج المريدين لابن العربي (2017).
- **الفلسفة:** المدخل لصناعة المنطق لابن طملوس (2006)، تدبير المتوحد لابن باجه (2012)، حي بن يقظان لابن طفيل (2012).
- **السياسة:** الإنجاد لابن المناصف (2003)، الإشارة إلى أدب الوزارة لابن الخطيب (2004)، الشهب اللامعة لابن رضوان (2007)، شذرات من كتاب السياسة لابن حزم (2008)، واسطة السلوك لأبي حمو الزياني (2012)، رسالة في أحوال خدَمة الدول لابن الخطيب (2013)، رسالة في غرض السياسة لابن الخطيب (2013).
- **العمران:** المقدمة لا بن خلدون (2005).

- **الطب والصيدلة:** التصريف للزهراوي (2001)، الموجز في الطب لابن النفيس (2002)، عمدة الطبيب لأبي الخير الإشبيلي (2004)، طب العرب لعبد الملك بن حبيب (2007)، مقنعة السائل لابن الخطيب (2015)،
- **المناخ:** الأزمنة والأنواء لابن الأجدابي (2006)، كتاب الأنواء لعريب بن سعد (2015)، كتاب الأنواء لابن البنا (2015).
- **الميقات:** كتاب القبلة لأبي علي صالح (2000)، دلائل القبلة للمتيجي (2017).

الخاتمـة

لكل بداية نهايّة.. وعند كل نهايّة بداية..!

مبادئ في الاستمراريّة، ترسخت في الذّهنية، طيلة مسيرتنا الدّراسيّة؛ ولوشاءت الطّبيعة البحثيّة، وجود خاتمة نصيّة، دلاله لنهاية البحث وفق شروط علميّة منهجيّة، إلا أن هذا لا يعني أبدا وصول حد الاكتمال، وغلق باب الاشتغال، فالبحث ليس بالقالب ولا بالمثال، والخاتمة ليست عنوانا للانتهاء، إنّما هي فتح لآفاق جديدة، قد تجيب عن تساؤلات، وقد تطرح العديد من الإشكالات. بهذا القدر أكون قد وصلت إلى نهاية المطاف في هذا البحث "**دعوى القراءة الجديدة في الدّراسات التّاريخيّة عن الغرب الإسلاميّ.. متابعة وتقويم**"، على أنني جندت نفسي، لصقل الأفكار التي تعلمتها على مدار خمس سنوات من التّعليم العالي بالجامعة.

والقارئ الفاحص لهذا البحث سيدرك مباشرة أهميته، في كون كل فصل من فصوله، وكل مطلب من مطالبه، هوفي الحقيقة عرض صالح لعناوين مذكرات قائمة بحد ذاتها.

ولعل أهم ما استنتجته في بحثي هذا هو ان قضية الدّعوى التّجديديّة، التي صارت من أبجديات بعض البحوث الأكاديميّة، ولكن ليس في إطار السّبق العلميّ فقط للموضوع، وانما في الرّهان على البحث من العنوان، فصارت عبارات: قراءات جديدة، أو قراءة مغايرة أونظرة جديدة، أو حقائق جديدة، بمثابة الإعلان التّرويجيّ للكتاب أوالمقال، ولا يخفى على الباحث أن مثل هذه العبارات لها محلها من التّأثير سواء في شراء الكتاب أوتحميله، بغية قراءته ومطالعته، أوبغية إدراجه في عمل بحثيّ تحت عنوان الجديّة في البحث، إلا أن هذه الرؤيّة الخارجيّة قد تتغير لحظة قراءة الباحث لمجريات الكتاب الدّاخليّة، فيرى إن كان الكتاب أوالمقال حامل لعنوانه، وموفي لحقه، فإن ثبت ذلك فهذا يدل على النظرة التأسيسيّة التي بدأ بها صاحبه العمل، وإن لم يثبت فهذا دليل على رغبة ترويج المؤلف فقط!!! وبالتالي فإن قضية القراءة الجديدة، تقوم في الأساس، على مبدأ

تأسيس الباحث لنظرته اتّجاه البحث وسعيه في إثبات تلك النّطرة، لا مجرد إطلاق لغو، لا فائدة منه.

في مقابل الدّعاوى المعلنة بالإتيان بالجديد، هنالك من لم يشر في غلاف كتابه أوعنوانه بالجديد، بل أضمر رغبته في التّجديد ليكتشفها القارئ الباحث بين ثنايا البحث المطروح، واخص بالذكر في هذا المقام كتابات الباحث القدير "الطّاهر بونابيّ".

ولابد للتجديد أن يقوم على منهج معين، يمهد ويسهل الطّريق إليه ولوان طريقه صعبة، ولكن على الأقل يكفي الباحث من شر الخطوفي الظلماء، وكي لا يصبح على حد قول "أبي العتاهيّة":

ذهب المداوي والمداوى والذي

جلب الدّواء وباعه ومن اشترى

فكانت البدائل التي طرحها الباحث "لخضر بولطيف" كفيلة إلى حد بعيد بتنوير العقول، بعد وضع الأصبع على الجرح طبعا.

الفكر الأروبي، حاضر بقوة في كتابات المؤرخين الرّامين إلى التّجديد، من بينهم "محمود إسماعيل" وتلميذه "إبراهيم القادري بوتشيش"، الذين أخذتهم كمثال في التّناسل العلميّ، فتمييز الأول بالتبني التّام للماركسيّة، وراح ينظر اعتمادا عليها، أما الثّاني، فقد راحت محاولاته البحثيّة تدور في معظمها حول فكرة المسكوت عنهم والعلاقة بينهما، تظهر في شكل اتفاق وافترق، وبالتالي ف"إبراهيم القادريّ بوتشيش" ليس صورة طبق الأصل عن معلمه.

ما لفت انتباهي أيضا أن البحث في الجانب الثّقافيّ والذّهنيّ توغل كثيرا لدى الباحثين المغاربة بصفة عامة، فكثر الإنتاج في نواحيه المختلفة بدءا من الحياة الدنيا، وصولا إلى الموت.

من نتائج البحث أيضا، ملاحظتي لزيادة وتكاثر النّصّ القيميّ عن غيره من النّصوص في المرحلة الرّاهنة، وهوما قد يشد بيد رواد المدرسة القيميّة، ويمنحهم الدّافع للمواصلة.

لعبت الترجمة دورا كبيرا في نقل المعارف الأوروبية إلى الباحثين المغاربة؛ وقد ساهم الباحثون ذوي التّأطير الغربي، والأصل العربيّ، دورا هاما في هذا المجال، خاصة بتولي البعض منهم مهنة التّدريس في الجامعات العربيّة.

أدّى طغيان الأنثربولوجيا على التّاريخ، إلى إطلاق حالة الطوارئ، خوفا من اندثار التّاريخ، وكان في مقدمة المواجهين لهذه الأزمة "فرانسوا دوس" الذي نادى بضرورة العودة إلى الحدث.

الحدث لم يغب أبدا عن السّاحة التاريخيّة، ولوتم أهماله، إلا أن حضوره لا يمكن لأحد أن يخفيه، إنه حاضر رغم أنوف الذين نادوا بالاستغناء عليه.

في البحث التّاريخيّ، لا يمكن استخدام المنهج الوصفيّ أوالمنهج التّحليليّ، كمناهج عامة، لأن طبيعتهم لا تسمح لهم بالحضور في بحث لا يعتمد على الحوادث الماثلة المباشرة (التّاريخ). وانما يجوز استخدام آلية الوصف والتّحليل في البحث التّاريخيّ باعتبارهما آليتين من آليات البحث التّاريخيّ.

في المنهج التاريخي الحداثيّ، يستخدم الوصف كاستبطان، والتّحليل كتفكيك.

للمصادر الدّفينة أهمية كبيرة في إنجاز البحوث التّاريخيّة، ذلك لأن مادتها ثريّة وغنية بالمعلومات حول التّاريخ الاقتصاديّ والاجتماعيّ. كما واننا نشهد تطورا ملحوظا في عمليّة تحقيق التّراث العربيّ الإسلاميّ في البلدان المغاربية وهذا إن نم عن شيء فإنه ينم عن مدى الوعي المكتسب حول أهميّة التّراث، وقدرته في التّغيير.

الملاحق

الملحق (01): قراءات في بعض الدّراسات البوتشيشيّة

المقال والمصدر	المضمون	اجتماعي	اقتصادي
أثر الحروب في المجال الضرائبي، ابتداء من ص 79، مجلة الاجتهاد، ع34-35،دار الاجتهاد، لبنان.	ذكر الباحث أن للحرب أثار في شتى المجالات، وبيّن بأن أثرها على المستوى الضّريبي يكون أكثر وضوحا، خاصة بالنسبة لتاريخ المغرب وقد أراد الباحث، البحث في العلائق بين مكونات الدولة المغربية الوسيطية ومسألة تصعيد الضرائب في الدولة المرابطية أنموذجا، واسترشد ببعض النظريّة الخلدونية .		x
أثر قيام الدول وسقوطها في التّطور الدّيموغرافي في المغرب في العصر	يوضح "القادري" أن موضوع دراسته يتميز بالحداثة، وذلك كون	x	

الوسيط (دراسة حالة)، ابتداء من ص41، مجلة كنانيش، جامعة محمد الأول، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة، رقم 28، سلسلة مجلات متخصصة رقم (1)،ط1، ع1، سنة 1999.	الدراسات التّاريخية في الحقل الدّيموغرافي، لازالت تمتاز بالابتسار، رغم أهمية هذا الحقل الدّيموغرافي في فهم آليات التّطورات الاقتصادية والاجتماعية،والسياسية للمجتمع المغربي، وتناول الدولة المرابطية نموذجا لترصد ظاهرة أثر قيام الدولة وسقوطها انطلاقا من : نصوص انطباعية لا تنطق بلغة الأرقام ولكنها مفيدة في معرفة حجم ساكنة المغرب، كثرة أوقلة . ونصوص رقمانية تتضمن أرقاما إحصائية تقريبية، لكن كلا الصنفين السابقين		

	يعطي معرفة تقريبية		
أزمة التّجارة في الأندلس في أواخر عصر الإمارة، ابتداء من ص231، مجلة المناهل، وزارة الشؤن الثقافية، الرباط، ع32/السنة 12، 1985.	يرى الباحث بحكمة هنا ضرورة الموازنة في البحث التّاريخي لضمان الشّمولية وذلك بأخذ الجانب المشرق والمعتم بعيم الاعتبار وعلى سبيل المثال أزمة التّجارة في الأندلس، التي تغافل عنها كبار الباحثين،في أواخر عصر الامارة، ولعل ابتعاد المؤرخين راجع إلى صمت المصادر التاريخية عنها، ولكن الباحث هنا استطاع إنارة بعض الزوايا المظلمة، من هذه الاشكالية،باستعانته بمورد في نصوص النوازل، والتراجم ن وكتب الحسبة، وقد		x

	تناول التجارة بنوعيها الدّاخلي والخارجي ليصل إلى أن التجارة بصبغتها المحلية، وطابعها الاستهلاكي خلال عصر الإمارة،		
الأدوات التاريخية والحضارية للفرس في بلد المغرب منذ بداية انتشار الإسلام حتى القن الثالث الهجري، ابتداء من ص24، مجلة عصور الجديدة ع14-15، جامعة وهران، 2014.	لقد حاول "القادري" في هذه الدراسة تبيين الأدوار التّاريخية والحضارية الهامة التي قام بها الفرس بدء من دورهم في نشر الإسلام،وكذا الدعوات السّياسية، كالدولة الرستمية –عبد الرحمان بن رستم الفارسي – إضافة إلى محاولة إبراز الدور الاقتصادي لهم والثّقافي وحتى الاداري .	x	x
التحديات الصليبية في غرب الوطن العربي	وانا بصدد قراءة هذا المقال لمست مستوى	x	

خلال القرن الخامس الهجري ودور العلماء الأندلسيين في التصدي لها، ابتداء من ص78، مجلة المؤرخ العربي، ع51، 1995.	التأثر والتأثير في طابع الكتابة التاريخية "للقادري "،فقد كتب بحس عال، أثبت من خلاله أن البحث العلمي شغف، حتى أنه كان يسرد الأحداث وكأنه معايش لها، وقد عرض في بحثه هذا أوضاع الأندلس في النصف الأول من القرن الخامس الهجري، ووقف على أشكال التحدي الصليبي الذي بلغ ذروته آنذاك، وبيّن دور العلماء الأندلسيين الذين لعبوا دورا رياديا في التّصدي للأطماع الصّليبية.		
التّعايش الإسلامي – المسيحيّ في قرطبة خلال القرن الرابع	حاول الباحث القدير إماطة اللثام عن حلقة التعايش بين مسلمي	x	

الهجـــــري /العاشـــــر ميلادي،ابتـــــداء مـــــن ص34، دوريـــــة كـــــان التاريخية،ع32، .2016	ومسيحي قرطبـة .علـى اعتبارها عاصمة تضم العديـد مـن الأجنـاس والأعـــراف والـــدّيانات فبـيّن مظـاهر المشـاققة والامتزاج الحضاري بين الطرفين.		
الجاليـــــات المســـــيحية بـالمغرب الإسـلامي مـن خـلال عصـر الموحـدين، ابتداء من ص 77، من كتـــاب تـــاريخ الغـــرب الإســـلامي جديـــدة فـــي قضايا المجتمع.	وفيـــه ذكـــر أن بـــلاد المغـرب كانـت أرضـا رحبـة عـامرة بالسـكان وكانـت محـل لقـاء بـين الشـعوب المسيحية وقـد وفـــر المغـــرب لهـــا الظـــروف الناجحـــة لممارســـة أنشـــطتها المتنوعة.	x	
الحـــب فـــي العلاقـــات الزّوجية بالعائلة المغربية خـلال العصـر الوسـيط :مســاهمة فـــي دراســـة المشـــاعر النســـائية (ق05-06هـ/11-	لقد تساءل الباحث في هـــذا البحـــث عـــن مواصـفات الأنثـى التـي تغـري الرجـل المغربـي لحـــد الاقبـــال علـــى الزّواج، وبالمختصر إن	x	

12م)، ابتداء من ص28، مجلة عصور الجديدة، ع05، 2012.	الباحث عمد إلى الكشف عن الحب انطلاقا من خبايا النصوص، ووجده يشكل حضورا فاعلا في الحياة الزوجية، ذاكرا أن إكراهات وصعوبة المعيوش اليومي أحدث هزات وانكسارات أصابت مسار الحب بين الشّريكين.		
الخطاب الاجتماعي في الكرامة الصوفية بالمغرب خلال عصر المرابطين والموحدين مساهمة في دراسة الفكر الاجتماعي للبلدان المتوسطية، ابتداء من ص 97.	تناول الباحث الكرامة كطرح اجتماعي وراح يبحث عن موقعها في المجتمع المغربي، وتفاعلاتها في القن السادس الهجري، حيث اكتسبت مناعة وقوة فاعلة في خارطة الصّراع الاجتماعيّ	x	
العوام في مراكش خلال عصري المرابطين	يقول: "لا يمكن للباحث المنصف أن يتأسف	x	

والموحدين، ابتداء من ص 118، من الكتاب الجماعي : مراكش من التّأسيس إلى آخر العصر الموحدي، أشغال الملتقى الأول، ط1، مطبعة فضالة- المحمدية، الدار البيضاء، 1989.	لكون هذه الطّبقة الاجتماعية لم تخلف لنا أثرا نستعين به لإماطة اللثام عن ذلك الدّور وكشف النّقاب عن أوضاعه " وقد توصل الباحث إلى أن العوام في مراكش كان لهم دورا طلائعيا في تاريخ المدينة .		
المجال الحرفي بالمغرب خلال العصر المرابطي، ابتداء من ص 119،مجلة دراسات تاريخية، ع 3، دار الخلدونية، الجزائر، 2014.	حاول المؤلف في دراسته هذه إخراج المجال الحرفي من دائرة التهميش، وقد تطرق إلى أوضاع الحرفيين، وان المجال الحرفي عرف مكانة متميزة، خلال العصر المرابطي انطلاقا من عقلية المجتمع التي تبجل الحرف.	x	
أوضاع الفئات	يحاول الباحث إزالة	x	x

المستضعفة في العصر الإسلامي الوسيط : نموذج من الأندلس، ابتداء من ص 37، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمكناس،مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 1986.	اللثام عن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للفئات المسحوقة في الأندلس في أواخر عصر الإمارة، وقد عمد إلى ترصد مكونات المرحلة الانتقالية سوسيولوجيا و اقتصاديا، وقد اقتصر على ذكر أوضاعها، وقد ذاكرا لنا أصناف الفئات الدنيا وهم : عوام المدن، الفلاحون، الأحرار، وفرق العبيد، وقد ذكر أن ما يربطهم هو الفقر وراح يذكر معاناة كل فئة بما تحمله من أصناف .		
تطور الفلاحة في مكناس من عصر المرابطين إلى أواخر العصر المريني، ابتداء	انطلاقا من المصادر التي أتيحت للمؤلف حاول القيام بمسح عام للتطور الفلاحي الذي		x

من ص 203، مجلة المناهل، ع38، السنة 15،وزارة الشؤن الثقافية، الرباط، 1989.	عرفته مدينة مكناس في العصر الوسيط، فهذه المدينة قد اكتسبت أهمية فلاحية كبيرة على مر العصور، وقد لعبت الظروف المناخية دورا هاما في دعلها مدينة فلاحية بامتياز، إلا أن المدينة لم تشهد تطورا تصاعديا، فمرت بفترات ازدهرت فيها الفلاحة تارة وانحطت تارة أخرى، وهذا راجع لقوة أوضعف الدولة وما كانت تسخره من إمكانيات لتطويرها.		
ملية الأرض في الأندلس خلال عصر الإمارة، ابتداء من ص 167، مجلة المناهل،ع37، السنة 14، وزارة الشؤن الثقافية، الرباط، 1989.	يوضح بداية "القادري" أن ملكية الأرض تعد من بين المعضلات التي لازال مؤرخوا التّاريخ الاقتصادي في المجتمع الإسلامي		x

	يعاركونهـــا، ولكـــن الانـدلس لحسـن الحـظ تمتلـــك نصوصـــها التاريخيـة إشـارات هامـة تفيــد الموضــوع وقــد تعــرض المؤلــف إلــى أشـكال الملكيـات مثـل ملكيــة الأمــراء، ملكيــة الدولة، ملكية الأحباس، ملية الفقهاء، والبيوتات الكبـــرى والمـــوظفين والأشراف .		
مســاهمة فــي دراســة تطـور تجـارة مكنـاس فـي العصـر الوسـيط، ابتـداء من ص 19، مجلـة كليـة الآداب والعلـوم الإنسـانية بمكنـاس، جامعـة مـولاي إسماعيل،ع03، 1989.	في هذا المقال يحاول " القــادري" اجــراء مســح للتطـور التجـاري الـذي عرفتــه مدينــة مكناســة خـلال العصـر الوسـيط، وقـد ذكـر لنـا العوامـل التــي لعبــت دورا وجهــا لتجــارة مكناســة خــلال العصـــــر الوســـــيط وانطلاقـــا مـــن تلـــك		x

	العوامـــل، راح يتعقـــب التطـور التّجـاري الـذي شهدته المدينة .		
مسـألة العبيـد بـالمغرب والأنـدلس خـلال عصـر المـرابطين، ابتـداء مـن ص27، مجلـة دراسـات، ع07، كليـــــــة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، 1995.	علـى الـرغم مـن كثـرة أعـــداد العبيـــد، إلا أن المعلومـــــات نـــــادرة وشـــحيحة علـــيهم فـــي عصر المرابطين ولربما ذلـــك راجـــع حســـب المؤلف إلى بعدهم عن القـــل السّياســـي، مـــا جعلهـــم يغيبـــون فـــي الكتابـــات التاريخيّـــة، ولربمـــا أيضـــا بعـــد معظمهـم عـن المجـال المعرفـي والثقافي جعل مـــؤلفي كتـــب التـــراجم والســـير يـــديرون لهـــم الظهـر كمـا وقـد ذكـر أدوارهـــم فـــي الغـــرب الإسـلامي إبّـان عصـر المرابطين .	x	

ظـــاهرة الـــزّواج فـــي الأنـــدلس إبـــان الحقبـــة المرابطيـــة مـــن خـــلال نصوص ووثائق جديدة، ابتـــداء مـــن ص 157، كتاب جماعي : حضارة الأنـــدلس فـــي الزمـــان والمكـان، ضـمن أعمـال النّـــدوة الدّوليـــة 16-18أبريل 1992، جامعة الحســـن الثـــاني، كليـــة الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية .	نـــوّه الباحـــثّ إلـــى أن موضوع أوظاهرة الزّواج فـي الأنـدلس لـم تحـظ باهتمـــام المـــؤرخين القدامى بحيث اعتبروها مسـألة عائليـة صـرفة، دون النّظـر إلـى عمقهـا الاجتمـــاعي، وقـــد راح يتنـــاول موضـــوعه بالحـديث عـن صـورة الـزواج فـي المجتمـع الأندلســي، ثـم معـايير اختيـار الزوجـة، وكـذا طبيعـة المهـر ؛ وانتقـل إلـــى عنصـــر مهـــم وهوعقـود الـزواج، وقـد وضع لنا ملحقا يتضمن شـــهادة ضـــرب زوج لزوجته إلى حد الجرح، وهذا ما يدل على عدم خلوالحيـــاة الزوجيـــة بالأندلس من العنف.	x	

ظاهرة التّسول في الغرب الإسلاميّ خلال القرن السّادس الهجري، ابتداء من ص 175، ضمن كتاب :التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور، أعمال الملتقى الدولي في تاريخ 23-24- افريل-2001، منشورات مخبر الدراسات التّاريخية والفلسفية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر.	ظاهرة التّسول حسب المؤلف لم تشغل سوى مساحة ضئيلة من الأستوغرافيا المغربية الوسيطية، وهذا راجع ربما لقلة المادة التّاريخية، ذلك أن المصادر التّاريخية ضربت صفحا عن ذكر أخبار هذه الشريحة وقد كان التهميش الذي طالهم نتيجة كونهم يشكلون شريحة لم يكن لها أي دور في عمليات الإنتاج، وقد حاول الباحث ترصد البيئة السوسيو-اقتصادية، التي أفرزت هذه الظاهرة .	x	

الملحق (02): محادثة الكترونيّة (فايسبوكيّة)

مع الدّكتور "إبراهيم القادريّ بوتشيش". بتاريخ 21 سبتمبر 2020م/ 9:22سا صباحا.

-الرّسالة المبعوثة من طرف الطالبةّ: "بشرى مباركيّة".

السّلام عليكم أستاذنا الكريم.. أتمنى أن تكونوا بخير وعافيّة.. وبعد فقد قرأت البارحة مقالكم المعنون بـ: "أي دور للمؤرخ في أزمة جائحة كورونا؟ -ترتيبات نظريّة واجرائيّة لبناء عتبة الفهم الأوليّ-"، ولاحظت أنه مقال مميز جدا، خاصة وأنه بيّن بالفعل حضوركم في المشهد الواقعيّ كمؤرخ فعليّ.. وقد لاحظت أنكم قد ركزتم على الجانب القيمي والأخلاقيّ فيه، ما جعلني أربط تصوركم بما قرأته عنكم في مقال للأستاذ "لخضر بولطيف" حينما صرح أن إنتاجكم الفكريّ يخطونحو السّؤال القيمي.. فما هو تعليقكم على احتماليّة التّجديد في الكتابة التّاريخيّة انطلاقا من المبدأ القيميّ؟ وهل هناك احتمالية لقيام مدرسة قيميّة في العالم العربيّ؟

-رد الدّكتور "إبراهيم القادري بوتشيش" على رسالتي، في ذات اليوم على السّاعة 13:27 زوالا.

وعليكم السّلام، أظن أن اهتمامي بتاريخ الذّهنيات وتاريخ التّصوف خصوصا، وفهم تاريخ الإنسان في إنسانيته وعدوانيته ومحاولة البحث في نفسيته وآلامه، ثم ربط التّاريخ بأزمات الحاضر كالعولمة والعدالة والمساواة، مع تطعيمها بالنّظريات الفلسفيّة التي تصب في ذات المعنى هي المفاتيح التي يمكن أن نلج بها باب التّاريخ القيميّ. وللإشارة فهناك زميل مؤرخ تونسيّ كتب عني جزاه الله خيرا كتابا في نفس الموضوع، أي السؤال القيميّ من خلال أبحاثيّ ربما سيكون من منشورات 2021م إن شاء الله. تقديراتي.

الملحق (03): منظّر مشروع المدرسة القيميّة الأستاذ "لخضر بولطيف"، وواجهة كتابه "الفقه والتاريخ في الغرب الإسلامي".

الملاحق:

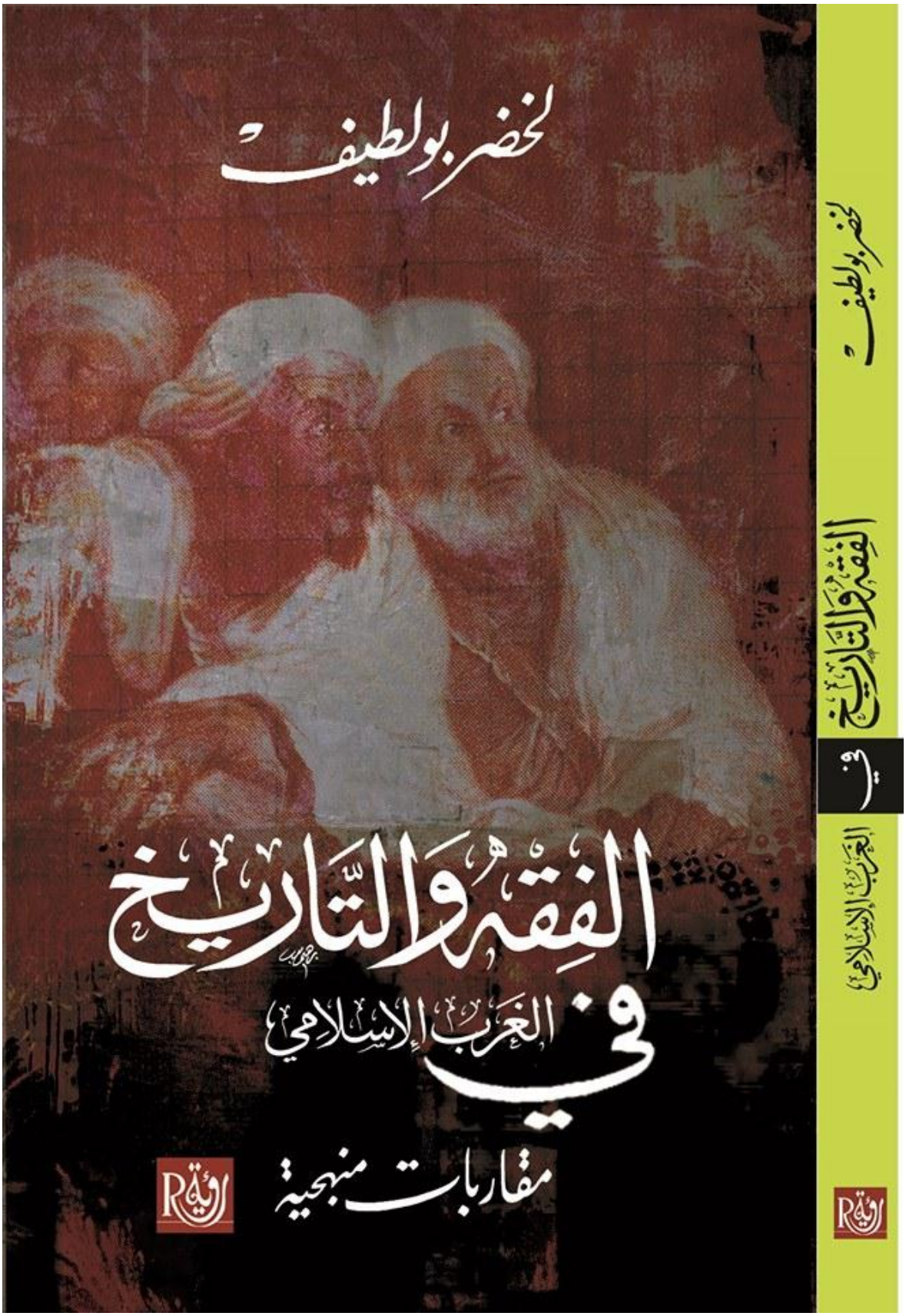
لخضر بولطيف
الفقه والتاريخ
في
الغرب الإسلامي
مقاربات منهجية
رؤية

الورّاقيــة

1- الكتب العربيّة والمعربة:

-إسماعيل، محمود، الأدراسة في بلاد المغرب الأقصى (172-375هـ) -حقائق جديدة-، ط1، مكتبة الفلاح، الكويت، 1989.

ـــــــــــ، الأغالبة (184-296هـ) سياستهم الخارجيّة، ط3، عين للدراسات والبحوث الإنسانيّة والاجتماعيّة، مصر، 2000.

ـــــــــــ، تقديمه لكتاب: إبراهيم القادري بوتشيش، بين أخلاقيات العرب وذهنيات الغرب في الدّراسات الأنثربولوجيّة الاجتماعيّة والثّقافيّة، دار رؤية، مصر، 2005.

ـــــــــــ، الحركات السّريّة في الإسلام، ط5، دار سينا للنشر، مصر، 1994.

ـــــــــــ، الخوارج في بلد المغرب حتى منتصف القرن الرّابع الهجريّ، ط2، دار الثّقافة المغرب، 1985.

ـــــــــــ، دراسات في الفكر والتّاريخ الإسلاميّ، ط1، دار سينا للنشر، مصر، 1994.

ـــــــــــ، سوسيولوجيا الفكر الإسلاميّ طور الازدهار(1)، ط3، دار سينا للنشر، مصر، 2000.

ـــــــــــ، سوسيولوجيا الفكر الإسلاميّ طور الانهيار(1)، الخلفيّة السوسيوتاريخيّة، ط1، دار سينا للنشر، مصر، 2000.

ـــــــــــ، سوسيولوجيا الفكر الإسلاميّ محاولة للتنظير، ط1، دار المحروسة، القاهرة، 2005.

ـــــــــــ، فكرة التّاريخ بين الإسلام والماركسيّة، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1998.

ـــــــــــ، المهمشون في التّاريخ الأوروبيّ، ط1، دار رؤيا، القاهرة، 2009.

-بارنز، هاري إلمر، تاريخ الكتابة التّاريخيّة، تر: محمد عبد الرحمان برج، منشورات مطابع الهيئة المصريّة العامة للكتاب،ج1، 1987.

-بدوي، عبد الرّحمان، النّقد التّاريخيّ، ط4، منشورات وكالة المطبوعات، الكويت، 1981.

-بلغيث، محمد الأمين، دراسات في تاريخ الغرب الإسلاميّ، ط1، دار التنوير، الجزائر، 2001.

ـــــــــــ، فصول في التّاريخ والعمران بالغرب الإسلامي،ط1، أنتر سيتي، الجزائر، 2007.

ـــــــــــ، نظرات في تاريخ الغرب الإسلاميّ، دار الخلدونيّة، الجزائلا،2007.

-بوتشيش، إبراهيم القادريّ، أثر الإقطاع في الأندلس السّياسيّ من منتصف القرن الثّالث الهجريّ حتى ظهور الخلافة (250هـ-316هـ)، منشورات عكاظ، الرّباط.

ـــــــــــ، الإسلام السّريّ في المغرب العربيّ، ط1، دار سينا للنشر، مصر.

ـــــــــــ، إسهامات في التاريخ الاقتصاديّ والاجتماعيّ لمدينة مكناس خلال العصر الوسيط، ط1، منشورات عمادة جامعة مولاي إسماعيل، 1997.

ـــــــــــ، بين أخلاقيات العرب وذهنيات الغرب في دراسات الأنثربولوجيا الاجتماعيّة والثّقافيّة، ط1، دار رؤيّة مصر، 2005.

ـــــــــــ، تاريخ الغرب الإسلاميّ قراءات جديدة في قضايا المجتمع، دار الطّليعة، بيروت، 2000.

ـــــــــــ، تقديمه لكتاب: الهادي بياض، الكوارث الطّبيعيّة واثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس، ط1، دار الطليعة، بيروت، 2008.

ـــــــــــ، حلقات مفقودة في تاريخ الحضارة في الغرب الإسلاميّ، ط1، دار الطّليعة، بيروت، 2006.

ـــــــــــ، مباحث في التّاريخ الاجتماعيّ للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، ط1، دار الطّليعة، بيروت.

ـــــــــــ، المغرب والأندلس في عصر المرابطين المجتمع - الذهنيات - الأولياء، دار الطليعة، بيروت.

ـــــــــــ، المهمشون في تاريخ الغرب الإسلاميّ إشكاليات نظريّة وتطبيقيّة في التّاريخ المنظور إليه من الأسفل، ط1، دار رؤيّة، مصر، 2014.

-بوركى، بيتر، نظرات جديدة على الكتابة التّاريخيّة، تر: قاسم عبده قاسم، ط1، منشورات المركز القوميّ للترجمة، مصر، 2010.

-بولطيف، لخضر، فقهاء المالكيّة والتّجربة السّياسيّة الموحديّة في الغرب الإسلاميّ، دار الصّديق، الجزائر، 2015.

ـــــــــــ، الفقه والتّاريخ في الغرب الإسلاميّ مقاربات منهجيّة، ط1، دار رؤيّة، مصر، 2013.

-بونابيّ، الطّاهر، مظاهر المجال والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، منشورات كليّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2017.

ـــــــــــ، التّصوف في الجزائر خلال القرنين 6و7 الهجريين/ 12و13 الميلاديين – نشأته– تياراته–دوره الاجتماعيّ والثّقافيّ والفكريّ والسّياسيّ، دار الهدى، الجزائر، 2004.

ـــــــــــ، عصر المتصوفة بالمغرب الأوسط دراسة في الحركة الصّوفيّة خلال العصر الوسيط (الماهيّة–الجذور–المدارس–الأدوار) من القرن 2هـ/8 إلى نهاية القرن 7هـ/13م، منشورات كلية العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، جامعة محمد بوضياف، المسيلة،2ج، 2017.

-البياض، عبد الهاديّ، الكوارث الطّبيعيّة وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس(ق6-8هـ/12-14م)، ط1، دار الطّليعة، بيروت، 2008.

-تشاندلر، دانيال، أسس السّيميائيّة، تر: طلال وهيبة، ط1، المنظمة العربيّة للترجمة، لبنان، 2008.

-التّليسي، رمضان بشير، الاتّجاهات الثّقافيّة في بلاد الغرب الإسلاميّ من خلال القرن الرّابع الهجريّ/العشر الميلاديّ، ط1، دار المدار الإسلاميّ، بيروت، 2003.

-التّيموميّ، الهاديّ،المدارس، التّاريخيّة الحديثة، ط1، دار التّنوير، لبنان، 2013.

-الجابري، محمد عابد، من أجل رؤيّة نقدية لبعض مشكلاتنا الفكريّة التّربويّة، ط1، دار النّشر المغربية، المغرب، 1997.

-جبران، محمد مسعود، مقدمة تحقيقه لكتاب: عبد الواحد محمد بن الطّواح، سبك المقال لفك العقال، ط2، منشورات جمعيّة الدّعوة الإسلاميّة العالميّة، 2008.

-الجمل، بسام، جدل التّاريخ والمتخيل سيرة فاطمة، ط1، منشورات مؤسسة مؤمنون بلا حدود، المغرب، 2016.

-حبيدة، محمد، كتابة التّاريخ قراءات وتأويلات، ط1، دار أبي الرّقراق، المغرب، 2013.

ـــــــــــ، المدارس التّاريخيّة (برلين-السّربون-أستراسبورغ) من المنهج إلى التّناهج، دار الأمان، الرّباط.

-حسن، محمد، المدينة والباديّة بإفريقيّة في العهد الحفصيّ، أوريس للطباعة، ج1، 1999.

ـــــــــــ، مقدمة تحقيقه لكتاب: أبي العباس أحمد بن أبي عثمان سعيد بن عبد الواحد الشّماخيّ، كتاب السّير، ط1، دار المدار الإسلاميّ، بيروت، 2009.

-الحضيريّ، زينب، فلسفة التّاريخ عند ابن خلدون، ....، مصر،1989.

-خليل، عماد الدّين، حول إعادة كتابة التّاريخ الإسلاميّ، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 2005.

-دراج، فيصل، الرّوايّة تأويل التّاريخ نظريّة الرّوايّة والرّواية العربيّة، ط1، منشورات المركز الثّقافيّ العربيّ، المغرب، 2004.

-دوس، فرانسوا، التّاريخ المفتت من الحوليات إلى التّاريخ الجديد، تر: محمد الطّاهر المنصوريّ، ط1، المنظمة العربيّة للترجمة، بيروت، 2009.

-رستم، أسد، مصطلح التّاريخ، ط1، المكتبة العصريّة، بيروت، 2002.

-رزيق، قسطنطين، نحن والتّاريخ مطالب وتساؤلات في صناعة التّاريخ وصتع التّاريخ، ط5، دار الملايين، بيروت، 1975.

-أبوزيد، نصر حامد، إشكاليات القراءة واليات التّأويل، ط7، منشورات المركز الثّقافيّ العربيّ، المغرب، لبنان، 2005.

ـــــــــــ، الخطاب والتّأويل، ط3، منشورات المركز الثقافيّ العربيّ، المغرب، لبنان، 2008.

ـــــــــــ، نقد الخطاب الدّينيّ، ط2، دار سينا، مصر، 1994.

-السّباعيّ، مصطفى، الاستشراق والمستشرقون(مالهم وما عليهم)، دار الوراق.

-سعد الله، أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثّقافيّ،ط1، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت،1989.

ـــــــــــ، تصديره لكتاب: لخضر بولطيف، الفقه والتّاريخ في الغرب الإسلاميّ مقاربات منهجية، ط1، دار رؤيّة، مصر، 2013.

-سعيدونيّ، ناصر الدّين، أساسيات منهجيّة التّاريخ، دار القصبة، الجزائر.

-بن سليمان، فريد، مدخل إلى دراسة التّاريخ، منشورات مركز النّشاط الجامعيّ، تونس،2000.

-الشّاذلي، عبد اللّطيف، التّصوف والمجتمع نماذج من القرن العاشر الهجريّ، مطابع سلا، المغرب، 1989.

-الشّريف، محمد، قضايا في تاريخ المغرب، ط1، منشورات الجمعيّة المغربيّة للدراسات الأندلسيّة، ج1.

ـــــــــــ، مقدمة تحقيقه لكتاب: أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم التّميميّ الفاسيّ، المستفاد في مناقب العباد وما يليها من البلاد، ط1، مطبعة طوب بريس، الرباط.

-طحطح، خالد، البيوغرافيا والتّاريخ، ط1، دار توبقال، المغرب، 2016.

ـــــــــــ، عودة الحدث التّاريخيّ، ط1، دار توبقال، المغرب، 2014.

ـــــــــــ، الكتابة التّاريخيّة، ط1، دار توبقال، المغرب، 2012.

-العامري، نللي سلامة، الولايّة والمجتمع مساهمة في التّاريخ الاجتماعيّ والدينيّ لإفريقيّة في العهد الحفصي، ط1، دار الفارابي، بيروت، 2001.

-عبد الرّحمان، طه، سؤال الأخلاق مساهمة في النّقد الأخلاقيّ للحداثة، ط1، منشورات المركز الثّقافيّ العربيّ، المغرب، 2000.

-العروي، عبد الله، الايديولوجيا العربيّة المعاصرة، ط1، منشورات المركز الثّقافيّ العربي، المغرب، 1995.

ـــــــــــ، مجمل تاريخ المغرب، ط5، منشورات المركز الثقافي العربيّ، المغرب، لبنان، ج1، 1996.

ـــــــــــ، مفهوم التّاريخ1. ط4. المركز الثّقافيّ العربيّ، المغرب، لبنان، 2005.

-العلمي، أبوجميل الحسن، إعادة كتابة التّاريخ الإسلاميّ في ضوء منهج الجرح والتّعديل، منشورات معهد الغرب الإسلاميّ والحث العلميّ، القنيطرة، 2006.

-عمارة، محمد، العطاء الفكريّ الحضاريّ للإسلام، مكتبة الشّروق الدّوليّة، القاهرة، 2004.

-عنابيّ، محمد، المصطلحات الأدبيّة الحديثة دراسة ومعجم إنجليزيّ عربيّ، ط3، منشورات الشركة المصريّة للنشر، مصر، 2003.

-عيسى، لطفي، أخبار المناقب في المعجزة والكرامة والتاريخ، تونس: دار سراس للنشر، 1993.

ـــــــــــ، مغرب المتصوفة، منشورات كليّة العلون الإنسانيّة والاجتماعيّة، تونس، 2005.

-غازي، علي عفيفيّ، كتابات الرّحالة مصدر تاريخيّ، منشورات كتابات المجلة العربيّة، الرّياض.

-فتحة، محمد، النّوازل الفقهيّة والمجتمع أبحاث في تاريخ الغرب الإسلاميّ (من القرن 06-09هـ/12-15م)، منشورات كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، الدّار البيضاء، 1999.

-فروخ، عمر، تجديد التّاريخ في تعليله وتدوينه "إعادة النّظر في التّاريخ"، ط1، دار الباحث، بيروت، 1980.

-فرو، قيس ماضي، المعرفة التّاريخيّة في الغرب الإسلاميّ مقاربات فلسفيّة وعلميّة وادبيّة، ط1، منشورات المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السّياسات، الدّوحة، 2013.

-فضل، الله مهدي، العقل والشّريعة مباحث في الابستمولوجيا العربيّة الإسلاميّة، ط1، دار الطّليعة، بيروت، 1995.

-فوكو، ميشال، حفريات المعرفة، تر: سالم يفوت، ط2، المركز الثقافيّ للنشر، بيروت، الدار البيضاء، 1987.

-فوكوياما، فرانسيس، مستقبلنا بعد البشريّ عواقب التّقنيّة الحديثة، تر: إيهاب عبد الرّحيم محمد، ط1، منشورات مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجيّة، أبوظبي، 2006.

-فيلالي، عبد العزيز، بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط، دار الهدى للطباعة والنّشر.

ـــــــــــ، تقديمه لكتاب: الطّاهر بونابيّ، عصر المتصوفة بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط(الماهيّة-الجذور-المدارس-الأدوار)، من القرن2هـ/8م إلى نهاية القرن7هـ/13م، منشورات كليّة العلوم الإنسانية والاجتماعيّة، جامعة المسيلة، 2017.

ـــــــــــ، تلمسان في العهد الزّيانيّ(دراسة سياسيّة، عمرانيّة، اجتماعيّة، ثقافيّة)، موفم للنشر،ج1، 2007.

-قاسم، عبده قاسم، تطور مناهج البحث في الدّراسات التّاريخيّة، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانيّة والاجتماعيّة، مصر، 2006.

-القاضي، محمد، الرّوايّة والتّاريخ دراسات في تخييل المرجعيّ، ط1، دار المعرفة، تونس، 2008.

-القحطانيّ، مسفر، صدام القيم قراءة ما بعد التّحولات الحضاريّة، ط1، مكتبة الفجر الجديد، بيروت، القاهرة، 2015.

-كوثراني، وجيه، تاريخ التأريخ اتجاهات- مدارس- مناهج، ط2، منشورات المركز العربي للأبحاث ودراسة السّياسات، قطر، 2013.

-لحساسنة، حسن، "دور التّرجمة في تطوير البحث العلميّ في الاقتصاد الإسلاميّ ومساهمتها في تقارب وجهات النّظر وتجديد وتصحيح مسار مستقبل دراسات الاقتصاد الإسلاميّ العالميّة"، منشورات الجامعة العالمية الإسلاميّة، ماليزيا .

-مجموعة من المؤلفين، التاريخ الجديد، تحت إشراف: جاك لوغوف، تر: محمد الطّاهر المنصوريّ، ط1، منشورات المنظمة العربيّة للترجمة، بيروت، 2007.

-محمود، حسن أحمد، تقديمه لكتاب: محمود إسماعيل، الأغالبة(184-296هـ)سياستهم الخارجيّة، ط3، عين الدّراسات والبحوث الإنسانيّة والاجتماعيّة، مصر، 2000.

-المنصوريّ، الطاهر محمد، مقدمته للكتاب الجماعيّ: التاريخ الجديد، تحت إشراف: جاك لوغوف، ط1، منشورات المنظمة العربيّة للترجمة، بيروت، 2007.

ـــــــــــ، مقدمته لكتاب: فرانسوا دوس، التّاريخ المفتت من الحوليات إلى التّاريخ الجديد، ط1، منشورات المنظمة العربيّة للترجمة، بيروت، 2009

-المنوني، محمد، تقديمه لكتاب: عبد الواحد محمد بن الطّواح، سبك المقال لفك العقال، ط1، منشورات جمعيّة الدّعوة الإسلاميّة العالميّة، 2008.

ـــــــــــ، المصادر العربيّة لتاريخ المغرب من الفتح إلى التّاريخ الحديث، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة، الرّباط،1989.

-مؤنس، حسين، التّاريخ والمؤرخون، دار المعارف، 1974.

-بن نبي، مالك، المسلم في عالم الاقتصاد، دار الفكر، دمشق، 2000.

ـــــــــــ، مشكلات الحضارة -مشكلة الثّقافة-، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1984.

-هشام جعيط، تقديمه لكتاب: نللي سلامة العامريّ، الولايّة والمجتمع مساهمة في التّاريخ الاجتماعيّ والدّينيّ لإفريقيّة في العهد العهد الحفصيّ، ط1، دار الفارابيّ، بيروت، 2001.

-ولد أباه، السّيد، أعلام الفكر العربيّ مدخل إلى خارطة الفكر العربيّ الرّاهنة، ط1، منشورات الشّبكة العربيّة للأبحاث والنّشر، لبنان، 2010.

2- الدراسات المفردة ضمن كتب:

-بنحادة، عبد الرّحيم،"في إنتاج المعرفة التّاريخيّة في المغرب"، ضمن الكتاب الجماعيّ: التأريخ العربيّ وتاريخ العرب كيف كتب وكيف يكتب؟ الإجابات الممكنة،ط1، منشورات المركز العربيّ للأبحاث ودراسة الكتابات، بيروت، 2007.

-بوتشيش، إبراهيم القادريّ، "أي دور للمؤرخ في فهم أزمة جائحة كورونا؟ ترتيبات نظريّة وإجرائيّة لبناء عتبة الفهم الأولي"، ضمن الكتاب الجماعيّ: أي دور في فهم أزمة كورونا؟، تنسيق: سعيد الحاجيّ، ط1، منشورات مركز كامل للدراسات والأبحاث، المغرب، 2020.

ـــــــــــ، "تاريخ العوام في المغرب الوسيط بين فقر الوثائق وامكانيات التّجاوز طرح ومناقشة من خلال كتب العهود والوثائق"، ضمن كتابه: تاريخ الغرب الإسلاميّ قراءات جديدة في قضايا المجتمع والحضارة.

ـــــــــــ، "الخطاب الاجتماعيّ في الكرامة الصّوفيّة بالمغرب من خلال عصري المرابطين والموحدين مساهمة في دراسة الفكر الاجتماعي للبلدان المتوسطيّة"، ضمن الكتاب الجماعيّ: جوانب من التاريخ الاجتماعيّ للبلدان المتوسطيّة خلال العصر الوسيط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة، المغرب.

ـــــــــــ، "دور المصادر الدّفينة في كشف جوانب الحضارة المنسي للمدينة المغربيّة دراسة تطبيقيّة حول مدينة مراكش من التأسيس حتى أواخر عصر الموحدين"، ضمن كتابه: تاريخ الغرب الإسلاميّ قراءات جديدة في قضايا المجتمع والحضارة.

-بولطيف، لخضر، "ملامح المنظومة القيميّة للمجتمع القلعيّ الحماديّ -منطلقات الفكر وانماط السّلوك-، ضمن كتابه، الفقه والتّاريخ في الغرب الإسلاميّ مقاربات منهجيّة.

-جسوس، "الغرب الإسلاميّ بين البحث التّاريخيّ العربيّ والغربيّ"، ضمن الكتاب الجماعي: التّأريخ العربيّ وتاريخ العرب كيف كتب وكيف يكتب؟ الإجابات الممكنة، ط1، منشورات المركز العربيّ للأبحاث ودراسة الكتابات، بيروت، 2007.

-حسن، أحمد، "كارل ماركس والتّفسير الماديّ للتاريخ" ، ضمن الكتاب الجماعي: فلسفة التّاريخ جدل البدايّة والنّهايّة، تحت إشراف: علي عبود المحمداوي، ط1، ابن النّديم للنشر، وهران، دار الرّوافد الثقافيّة، بيروت، 2012.

-فاغية، السّعديّة، "مصادر التّاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس"، ضمن الكتاب الجماعيّ: جوانب من التّاريخ الاجتماعيّ للبلدان المتوسطيّة، منشورات كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، مكناس، 1991.

3- المجلات والدّوريات:

-أمين، مروان علي حسين، "التفكيكيّة عند جاك دريدا"ن مجلة الكليّة الإسلاميّة النّجف الأشراف، م2، ع41، د.ت.

-بدر الدّين، محمد حسن، "عائشة أم المؤمنين بين خيال الرّواة وواقع الحياة"، مجلة مؤمنون بلا حدود، 2016.

-بلعربي، خالد، "الأستاذ الدّكتور عبد الحميد حاجيات ومساهماته في كتابة تاريخ المغرب في العصر الوسيط"، المجلة الجزائريّة للبحوث والدّراسات التّاريخيّة المتوسطيّة، ع3، 2016.

ـــــــــــ، "أهمية كتب النّوازل في ترميم جوانب هامة من النّشاط الفلاحيّ بالمغرب الأوسط(ق7-9هـ/13-15م)"، مجلة آفاق فكريّة، ع2، 2015.

ـــــــــــ، "مسار التّجديد في الكتابة التّاريخيّة عند القادريّ بوتشيش قراءة في كتابة المهمشون في تاريخ الغرب الإسلاميّ إشكاليات نظريّة وتطبيقيّة في التّاريخ المنظور إليه من الأسفل"، مجلة أسطور، ع10، 2019.

-بصديق، عبد الكريم، "مساهمة الدّكتور يحي بوعزيز في تحقيق وكتابة تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط"، مجلة قرطاس، ع11، 2019.

-بنحادة، عبد الرّحيم، "حوار مع محمود إسماعيل عبد الرّزاق"، مجلة أسطور، 2016.

- بنحمادة، سعيد، "الفلاحون والفلاحة في الباديّة المغربيّة الأندلسيّة في العصر الوسيط من خلال كتب الأمثال الشّعبيّة"، مجلة كان التّاريخيّة، ع22، 2013.

-بوداود، عبيد، "قراءة في مخطوط النّجم الثّاقب فيما لأولياء الله من فاخر الناقب لابن صعد التّلمسانيّ".

ـــــــــــ، "مصنفات النّوازل الفقهيّة وكتابة تاريخ المغرب الوسيط"، مجلة المواقف، ع1، 2017.

-بودلال، حسن، "لا تاريخ بدون تجاوز النّظرة التّقديسيّة للماضي"، ع 36، 2017.

-بوساحة، عمر، "مشكلة الإيصال والتّواصل في القراءة اللّسانيّة للنص الأدبيّ من أين والى أين"، مجلة كليّة العلوم الإنسانيّة -الصراط-، ع16، 2000.

-بوشريط، أمحمد، "إسهامات الباحث عبد الحميد حاجيات في تحقيق التّراث الإسلاميّ كتاب المهدي بن تومرت أنموذجا"، مجلة الحوار المتوسطيّ، م15، ع16، 2017.

-بوتشيش، إبراهيم القادري، "تغيير مجالات اهتمامات المؤرخ لقراءة التّاريخ الإسلاميّ.. كيف ومن أين يبدأ؟"، مجلة الاجتهاد، ع22، 1994.

ـــــــــــ، "حول مخطوط نوازل ابن الحاج واهمية مادته التّاريخيّة"، مجلة المناهل، ع39، 1990.

ـــــــــــ، "رؤيّة مستقبليّة لكتابة التّاريخ الإسلاميّ في ضوء العولمة"، مجلة عصور الجديدة، ع23/22، 2014.

ـــــــــــ، "علاقة التّاريخ بالسيميولوجيا التّاريخ العربي- الإسلاميّ أنموذجا"، مجلة عالم الفكر، ع176، 2018.

ـــــــــــ، النّصّ التّاريخيّ بين القراءة التّأويليّة والهيرمنطيقا"، مجلة كان التّاريخيّة، ع36، 2017.

ـــــــــــ، "نصوص أندلسيّة جديدة من مخطوطة كتاب" أخبار المحدثين لابن حارث الخشنيّ""، مجلة المناهل، ع33، 1985.

ـــــــــــ، "النّوازل الفقهيّة في الأطلاوحات الجامعيّة: من التّوجهات إلى الإضافات المعرفيّة والإشكالات المنهجيّة"، مجلة عصور الجديدة،ع17/16، 2014.

ـــــــــــ، "منهج التّأويل الرّمزيّ لقراءة التّاريخ نحو اشراك قارئ النّصّ التّاريخيّ في إنتاج دلالاته تشخيص نظريّ وتطبيقيّ"، مجلة أسطور، ع11، 2020.

-بولطيف، لخضر، "الأبعاد المعرفيّة والمنهجيّة لبرامج تدريس التّاريخ في الجامعي التّاريخيّة -رصد وتقويم ومناقشة البدائل-"، مجلة المواقف، ع4، 2014.

ـــــــــــ، "من المدرسة الماديّة إلى المدرسة القيميّة.. مدرسة التّاريخ الاقتصاديّ والاجتماعيّ استيعاب وتجاوز وبشارة". (مقال غير منشور).

ـــــــــــ، "نحو مدرسة جزائريّة فتح ملفات عالقة"، مجلة عصور الجديدة، ع3، 2012/2011.

-بونابيّ، الطّاهر، أهميّة المخطوطات المناقبيّة في كتابة التّاريخ الاجتماعيّ والاقتصاديّ والفكريّ للمغرب الإسلاميّ من خلال العصر الوسيط"، المجلة الجزائريّة للمخطوطات.

ـــــــــــ، "مصادر الوعي بالتاريخ الثّقافيّ عند أبي القاسم سعد الله(مستوى المعرفة التّاريخيّة)، المجلة التّاريخيّة، م3، ع4، 2019.

ـــــــــــ، "المكانة العلميّة لبيت أبي عبد الله الشّريف التّلمسانيّ في الغرب الإسلاميّ من خلال مخطوط "مجموع فيه مناقب سيدي أبي عبد الله الشّريف وولديه سيدي عبد الله الغريق والولي الصّالح أبي يحي عبد الرحمان" لأبي يحي بن عبد الرّحمان ت895هـ (قراءة وتحقيق).

ـــــــــــ، "نشأة وتطور الأدب في المغرب الأوسط"، مجلة حوليات التّراث، ع2، 2004.

-تضغوت، محمد، "إبراهيم القادريّ بوتشيش مباحث في التاريخ الاجتماعيّ للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين"، حوليّة التّاريخ الإسلاميّ، مصر العربيّة للنشر، مصر، 2002.

-حبيدة، محمد، "ابستمولوجيا المعرفة"، ضمن مجموع مقالات نشرها: الحرش رضوان،(متوفرة على الأنترنت).

ـــــــــــ، "بحر برودبل"، ضمن مجموع مقالات نشرها: الحرش رضوان،(متوفرة على الأنترنت).

ـــــــــــ، "مدرسة الحوليات مفاهيم في التّحليل البروديليّ"، مجلة أمل، م1، ع3، 2020.

-الحسناوي، عبد الرّحيم، "عودة الحدث في كتابة التّاريخ إضاءة ابستمولوجيّة"، مجلة دراسات، ع7، 2018.

-حطاب، حنان، "التّفكيك نحو التّأسيس للمختلف"، مجلة العلوم الاجتماعيّة، م15، ع27، 2018.

-حمداويّ، جميل، "استغراب ما بعد الغرب فلسفة التّفكيك كنموذج نقديّ"، مجلة الاستغراب، ع17، 2019.

-الحناويّ، محمد، "مراجعة لكتاب أثر الإقطاع في تاريخ الأندلس السّياسيّ من متصف القرن الثّالث الهجريّ حتى ظهور الخلافة(250هـ-316هـ)، مجلة الاجتهاد، بيروت، 1994.

-الخضراوي، إدريس، "من التّاريخ إلى الرّوايّة الذّاكرة الجمعيّة مصدرا للسرد"، مجلة تبيين، ع 9/33، 2020.

-الدّاوديّ، الصّادفي، "الكتابة التّاريخيّة بالمغرب من تاريخ سياسيّ إلى تاريخ هامشيّ"، مجلة جيل العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، ع5.

-ذاودي، بلقاسم، "منهج المدرسة المغربيّة في تحقيق المخطوطات العربيّة محمد بنشريفة وتحقيقه للسفر الثّامن من الذّيل والتّكملة نموذجا".

-رابحي، رضوان، "البحث التّاريخيّ في موضوع الموت في المغرب الأقصى الوسيط حصيلة وآفاق"، مجلة البحث التّاريخيّ، ع14.

-الزّاهر، ابتسام، "الأدب النّوازليّ مصدر لتاريخ الإماء "نماذج من المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط""، مجلة عصور الجديدة، ع13، 2014.

-الزّاويّ، مولاي عبد الحكيم، "جدل التّاريخ والذّاكرة في الأسطوغرافيا المغربية حفريات في الذّات المغربيّة المقهورة بلون السّياسة، منشورات شبكة المؤتمرات والدّراسات.

-الزّكاريّ، أسامة، "إعادة قراءة التّاريخ"، مجلة رهانات، ع17، 2016.

-بن ساعو، محمد، "مسيرة الكتابة التّاريخيّة في الجزائر بين أثقال التّقديس ونزعات التّسيس وترسبات الكولنياليّة"، مجلة ذوات، ع36، 2017

-سنوسي، لخضر، "المناهج النّقديّة الغربيّة وافاق تطبيقها على النّصوص الأدبيّة المعاصرة"، مجلة تاريخ العلوم، ع4.

-الشّمري، جميلة بنت عيادة، "مفهوم الثّقافة في الفكر العربي والفكر الغربي".

-الشيخي، محمد البوزيدي، "نحومنهجيّة جديدة لكتابة تاريخ المغرب والأندلس"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانيّة، ع4، 2004.

-الطّاهري، خالد، "الجابريّ والحوليات: اللّقاء المنهجيّ الصّامت" مجلة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانيّة.

-طحطح، خالد والمهاجر، يوسف، "قراءة في كتاب "انبعاث الحدث " لفرانسوا دوس"، مجلة أسطور، ع13، 2015.

-بن علي، لونيس، "النّقد المقدس: في انزلاقات النّصّ من نقد الدّين إلى النّقد الدّينيّ"، مجلة مؤمنون بلا حدود، 2016.

-العيادي، محمد، "المدرسة التّاريخيّة المغربيّة الحديثة: الإشكاليات والمفاهيم"، منشورات جامعة الحسن الثانيّ والجمعية المغربيّة للبحث التّاريخيّ، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، عين الشّق، 2010.

-قاتل، إلهام وبونابيّ، الطّاهر، "الأستيغرافيا التّاريخيّة في المغرب الأوسط ودورها في التأريخ للفئات الاجتماعيّة البسيطة خلال القرون 7-8-9ه/13-14-15م"، مجلة المعيار، ع15، 2016.

-قوبع، عبد القادر، "تجربة واسهام المدرسة التّاريخيّة الجزائريّة في تحقيق المخطوط، الأكاديمية للدراسات الاجتماعيّة والاقتصاديّة، م12، ع1، 2019.

-الكتانيّ، محمد، "الدّور المزدوج للثقافة"، مجلة المناهل، ع37، 1989.

-كربوع، مسعود، "كتب النّوازل بين الاستعمال الفقهيّ والتّوظيف التّاريخيّ المعيار المعرب للونشريسيّ أنموذجا"، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، ع9، 2014.

-لقبال، موسى، " تاريخنا الوطنيّ ومسعى إعادة صياغته بشمولية وبروح جديدة"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ع11.

-مبارك، محمد رضا، "من البنيّة إلى العلامة النّصّ والخطايا في التّحليل السّيميائيّ"، مجلة الباحث الإعلاميّ، ع34/33.

-مرداسيّ، الجوديّ وملال، وهيبة، "ترجمة المصطلح اللّسانيّ ومنهجيّة تنميطه في المعجم المتخصص (معجم المصطلحات، اللّغويات، الحديثة في اللغة العربيّة لمحمد رشاد الحمزاويّ غنية)"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانيّة، ع18.

-مساعديّة، لزهر، "في مفهوم الثّقافة وبعض مكوناتها(العادات - التّقاليد- الأعراف)، مجلة الذّاكرة، ع9، 2017.

-المسيري، عبد الوهاب، "التّحييز للنموذج الحضاريّ الغربيّ في الفكر العربيّ المعاصر"، مجلة قضايا إسلاميّة معاصرة فكريّة، ع4، 1998.

-مصابحيّة، نصيرة، "مدرسة الحوليات الفرنسيّة من تاريخيّة التّوجه إلى تاريخانيّة التّمثل"، مجلة أبوليس، م5، ع9، 2018.

-المنصوري، محمد الطّاهر، "التأريخ العربيّ وأزمة المناهج من خلال كتاب محمد حبيدة بؤس التّاريخ"، مجلة أسطور، ع4، 2016.

-مولى، علي الصّالح، "جغرافيّة الحقل التّاريخيّ في ضوء تقاطع الاختصاصات محاولة في إعادة تشكيل المفهوم"، مجلة أسطور، ع9، 2017.

-مولاي، كاملة، "التّركيب المنهجيّ لدى محمد مفتاح(تناهج أم تلفيق)، مجلة المعيار، ع3، 2011.

-نعماني، أبوجمال قطب الإسلام، "التّرجمة: ضرورة حضاريّة"، مجلة دراسات، م3، الجامعة الإسلاميّة سيتاغونج، 2006.

-الهلاليّ، ياسر، "المصطلحات التّاريخيّة ومفاهيمها: حصيلة تجربة"، مجلة مقاربات، م8، 2011.

-همال، عبد السلام، "سياقات توظيف كتب الوثائق والسّجلات في مصنفات الفتاوى والنوازل"، مجلة عصور الجديدة، ع13، 2014.

-يطو، عائشة، "محمد بن أبي شنب رائد المحققين الجزائريين"، مجلة التّراث العربيّ.

-أبو يوسف، إيناس ومسعد هبة، "مبادئ التّرجمة واساسياتها"، 2005.

4- الندوات والملتقيات:

-بوتشيش، إبراهيم القادري، "تغيير مجالات اهتمامات النؤرخ لقراءة التّاريخ من الأسفل تاريخ المهمشين أنموذجا"، ندوة أسطور، ع4، 2016.

ـــــــــــ، "ظاهرة الزّواج إبان الحقبة المرابطيّة من خلال نصوص ووثائق جديدة"، ضمن أعمال النّدوة الدّوليّة تحت عنوان: حضارة الأندلس والزّمان والمكان، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة الحسن الثانيّ، المحمديّة، 1992.

ـــــــــــ، "الفكر السحريّ والعرافة بالمغرب والأندلس خلال العصر المرابطيّ"، ضمن أعمال ملتقى الدّراسات المغاربيّة الأندلسيّة تيارات الفكر في المغرب والأندلس والمعطيات، منشورات كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، تطوان.

-السّبتيّ، عبد الأحد، تقديمه لكتاب: التّاريخ واللّسانيات ومستويات التّأويل، ضمن أعمال المائدة المستديرة أيام 25-26 ماي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة، الرّباط، 1992.

-مفتاح، محمد، "الواقع والممكن في المناقب الصّوفيّة"، ضمن أعمال الملتقى الدّراسيّ المعنون بـ: التّاريخ وادب المناقب، منشورات عكاظ، الرّياض، 1989.

-المنصوريّ، محمد الطّاهر، "المجالات المهملة في الكتابة التّاريخيّة العربيّة"، ندوة أسطور، ع4، 2016.

-الهلاليّ، محمد ياسر، " اغتيال السّلطان يوسف بن يعقوب المرينيّ قراءة في نصوص تاريخيّة ومناقبيّة لحادثة المنصورة"، ضمن الكتاب الجماعي: التّاريخ والفقه(أعمال مهداة إلى المرحوم محمد المنونيّ)، تنسيق: محمد حجي، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة، الرّباط، 2002.

-النّدوة الدّوليّة التّكريميّة المهداة للأستاذ المؤرخ: القادري بوتشيش، تحت عنوان: التّاريخ الاقتصادي والاجتماعي وتاريخ الذّهنيات المغرب والأندلس قضايا واشكاليات، قضايا التاريخ الاقتصادي، من تقديم وتنسيق: محمد الشّريف، منشورات الجمعيّة المغربيّة للدراسات الأكاديميّة، ج1.

-النّدوة الدّوليّة التّكريميّة للمؤرخ إبراهيم القادريّ بوتشيش، تحت عنوان: التاريخ الاجتماعيّ والاقتصاديّ تاريخ الذهنيات في المغرب والأندلس مقاربات ورؤى متقاربة، من تنظيم: الجمعيّة المغربية للدراسات الأندلسية، تطوان، أيام 18-19أبريل، 2018.

5- الرّسائل الجامعيّة:

-رسائل دكتوراه:

-أعزيبي، زهوة، ملامح المنظومة القيميّة لمجتمع المغرب الأوسط خلال العهد الزيانيّ (633هـ-962هـ/1235-1554م)، قسم التّاريخ، جامعة المسيلة، 2017-2018.

-برزاق، نذير، ملامح المنظومة الفكريّة لمجتمع المغرب الأوسط خلال القرنين 8و9هـ/14و15م، قسم التّارسج، جامعة المسيلة، 2017-2018.

-بوعقادة، عبد القادر، الحركة الفقهيّة في المغرب الأوسط بين القرنين 7و9هـ/13و15م، قسم التاريخ جامعة الجزائر2، 2014-2015.

-قاتل، إلهام، النّخبة العالمة في المغرب الأوسط(ق7-9هـ/13-15م)منطلقات الفكر وانماط السّلوك، قسم التّاريخ، جامعة المسيلة/ 2017-2018.

-مزوار، نبيل، الحداثة النّقديّة في دراسة العقاد الشخصيّة الشعراء أنموذجا، قسم اللغة والأدب العربيّ جامعة سطيف، 2010-2011.

-رسائل ماجستير:

-العزري، أحمد، التّفكيكية في النقد العربيّ الحداثيّ على حر أنموذجا، جامعة ملود معمري، تيزي وزو.

-رسائل ماستر:

-بزاف، أحلام، قضيّة فدك في أفق المظلوميّة الشّيعيّة التّاريخ والايديولوجيا، قسم التّاريخ، جامعة المسيلة، 2016-2017.

-بلحوت، رزيقة، خطاب الرؤى بين الأمراء والأولياءفي الغرب الإسلاميّ، قسم التاريخ، جامعة المسيلة، 2017-2018.

- بوساق، سجيّة، العقل الفقهيّ في التّاريخ مقاربة لمسلك الفقيه في الفهم والتنزيل، خلال العصر المرابطيّ، قسم التّاريخ، جامعة المسيلة، 2013-2014.

-بوشيبي، فهيمة وآحرون، المدونة السّياسيّة التّراثيّة في الغرب الإسلاميّ بين نظر الفقيه وحاجة السلطان، قسم التّاريخ، جامعة المسيلة، 2014-2015.

-بوصبع، حليمة ويحياوي حليمة، جدل المتعاليّ والتّاريخيّ في مدونة التّفسير الإسلاميّ من القرطبيّ إلى الطّبريّ، قسم التّاريخ، جامعة المسيلة،2014-2015.

-بونباب، هاجر، الرّواية ومنتهى السّند السّبق الحضاريّ الإسلاميّ في إرساء المنهج التاريخي من الطبريّ إلى ابن خلدون، قسم التّاريخ، جامعة المسيلة، 2016-2017.

-خضراوي، نفيسة، التاريخ الاقتصاديّ والاجتماعيّ عند إبراهيم القادريّ بوتشيش من خلال ثلاثيّة الاستعارة والتّأصيل والتّفسي، تحت إشرفّ: الطّاهر بونابي، قسم التّاريخ، جامعة المسيلة، 2018-2019.

-درفولي، حوريّة، صورة الأنا والآخر في كتب الرّحلة -العصر الوسيط-، قسم التّاريخ، جامعة المسيلة، 2013-2014.

-زاوي، شعيب، جدل الفقه والتّصوف في المدرسة المدينيّة بالمغرب الإسلاميّ(ق6-8هـ/15-14م)، قسم التّاريخ، جامعة المسيلة، 2016-2017.

-سراي، مروة، التّعالي بالسّياسيّ في الغرب الإسلاميّ على عصر الموحدين كتاب وشعراء تحت الطّلب، قسم التّاريخ، جامعة المسيلة، 2018-2019 .

-شبيرة، محمد، إمتدادات المأثور الحديثيّ الموضوعيّ في مسارب الفكر والسلوك في مجتمع المغرب الإسلاميّ،2017-2018.

-صّغيريّ، أمال، الدّين والمواطنة في الغرب الإسلاميّ بين النّظر الفقهيّ والاعتبار السّلطانيّ، قسم التّاريخ، جامعة المسيلة، 2017-2018.

-بن صفا، عائشة، سؤال الإنصاف في المدومنة التّاريخيّة العربيّة: المدونة الفرنسيّة مجالا الحالة الموحديّة مثالا، 2016-2017.

-قاتل، إلهام، النّصّ الخلدونيّ زوايا النّظر ومستويات القراءة، تحت إشراف: الطّاهر بونابيّ ولخضر بولطيف، فسم التاريخ، جامعة المسيلة، 2012-2013.

القالي، يوسف، تطور المنهج التّاريخيّ من التّفسير الإسلاميّ للتاريخ إلى المقاربة للمنظومات القيميّة، قسم التّاريخ، جامعة المسيلة، 2016-2017.

-لكبير، زينب، مركزيّة فعل الخير في المدونة التّراثيّة للغرب الإسلاميّ دراسة مقارنة بين المدونتين الصّوفيّة والفقهيّة، قسم التّاريخ، جامعة المسيلة، 2018-2019.

6- محاضرات مرقونة:

-بولطيف، لخضر، "وراقية البحث في تاريخ الغرب الإسلامي"، محاضرات ألقيت على طلبة السنة الأولى ماستر، تخصص تاريخ الغرب الإسلامي، الإصدار السابع، قسم التاريخ، جامعة المسيلة، 2017.

ـــــــــــ، "واقع الإشراف بين ما هوكائن وما ينبغي"، ألقيت على طلبة السّنة الأولى ماستر، يوم: 19-02-2019.

ـــــــــــ، " الخلط بين المنهج والآليات" ألقيت يوم: 23-04-2019.

ـــــــــــ، "الدراسة الجامعيّة بين الشّهادة والرّسالة" ، ألقيت على طلبة السنة الثانيّة ماستر، يوم: 90-10-2019.

ـــــــــــ، "الموضوعيّة هل يمكن أن تتحقق؟"، 06-11-2019.

ـــــــــــ، "العلائق والتباينات بين مدرسة الحوليات والمدرسة القيميّة"، ألقيت يوم: 18-12-2019.

-الطّاهر بونابيّ، "أهمية الموضوع واشكاليته"، ألقيت يوم: 14-11-2019.

ـــــــــــ، "الصّوفيّة في الغرب الإسلاميّ خلال العهد الصّنهاجيّ والموحديّ"، ألقيا يوم: 19- 12- 2019.

ـــــــــــ، المشرف والطّالب، ألقيت يوم:09-01-2020.

7-المواقع الإلكترونيّة:

-أسمونيّ، محمد، "الخطاب المنقبيّ وصناعة القداسة الصّوفيّة"، مجلة مؤمنون بلا حدود الالكترونيّة قسم الدّراسات الدّينيّة.

-بوبيدي، حسين، "الكتابة التّاريخيّة في العالم العربيّ أمام منجز مدرسة الحوليات"، فيديومداخلة على الرابط:

https://youtu.be/HdYLBv6Swl4

-بوتشيش، إبراهيم القادريّ، "النّكتة: كمصدر للكتابة التّاريخية"، فيديو مداخلة على الرابط:

https://youtu.be/anryqMfb3Cw

ـــــــــــ، "النكتة. كمصدر للكتابة التاريخيّة"، فيديو اللقاء على الرّابط:

https://youtu.be/uLbsnUTr4yk

-بولطيف، لخضر، "الخطايا الخمس في المنهجيّة"، فيديو مداخلة على الرّابط:

https://youtu.be/TApXmZMneC4

ـــــــــــ، "المدرسة القيمية"، باوربوانت على الرّابط:

ـ "المدرسة القيمية 01"، على الرّابط:

https://archive.org/details/boultif-hhh-yahoo-01-201906

ـ "المدرسة القيميّة 20"، على الرّابط:

https://archive.org/details/boultif-hhh-yahoo-02-201906

ـ "المدرسة القيميّة 30"، على الرابط:

https://archive.org/details/boultif-hhh-yahoo-03-201906

ـــــــــــ، "مشروع المدرسة القيميّة لدراسة التّاريخ"، فيديو مداخلة على الرّابط:

https://youtu.be/ZaRgBr9vec

-حكوش، كريمة، "التّاريخ والمعرفة لا معرفة تاريخيّة دون رؤيّة أنثربولوجيّة"،

-السبتي، عبد الأحد وحبيدة محمد، "ما بعد التاريخ الجديد.. قراءة في كتاب "التاريخ المفتت" لفرانسوا دوس"، مجلة رباط الكتب الإلكترونية، ع7-8، 2009، على الرّابط:

www.ribatalkoutoub.ma

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضوع **الصفحة**

الإهداء

الشكر والعرفان

المقدمة.....(01-09)

الفصل التمهيدي: دعوى التجديد في كتابة التاريخ.....(10-25)

مدخل.....(11)

أولا- بواعث التجديد.....(11)

ثانيا- من إعادة كتابة التاريخ إلى تحيين قراءة التاريخ.....(19)

1- إعادة كتابة التاريخ.....(19)

2- تحيين قراءة التاريخ.....(23)

الفصل الأول: التجديد على مستوى الموضوعات.....(26-94)

مدخل.....(27)

أولا- تاريخ البنية بديلا عن تاريخ الحدث.....(27)

1- مدرسة الحوليات.. تاريخ جديد.....(28)

2- التاريخ الاقتصادي والاجتماعي.....(36)

3- تاريخ الأفكار والذهنيات.....(54)

ثانيا- من تاريخ البنية إلى تاريخ القيمة.....(70)

1- البحث في تاريخ المنظومات.....(76)

2- البحث في تاريخ المدونات.....(81)

3- البحث في تاريخ الخطابات.....(88)

الفصل الثاني: التجديد على مستوى المناهج.....(95-148)

مدخل.....(96)

أولا- دور الترجمة في التعرف على المناهج الحديثة.....(97)
1- المناهج الألسنية الحديثة.....(99)
2- من التاريخ الجديد إلى التاريخ المفتت.....(112)
3- انبعاث الحدث وعودة السردية.....(122)
ثانيا- المنهج التاريخي بين التناهج والتحديث.....(129)
1- مناهج متعددة أو اللامنهج.....(130)
2- التناهج أو التركيب المنهجي.....(134)
3- التحديث أو التطوير المنهجي.....(141)

الفصل الثالث: التجديد على مستوى المصادر.....(149-188)
مدخل.....(150)
أولا- توظيف النصوص الدفينة.....(151)
1- أهمية النصوص الدفينة في إثراء البحث التاريخي.....(151)
2- توظيف النص النازلي.. رصد وتقويم.....(153)
3- توظيف النص المنقبي.. رصد وتقويم.....(160)
ثانيا- تحقيق النصوص المخطوطة.....(168)
1- جدوى الرهان على النصوص المخطوطة.....(169)
2- جهود التحقيق في البلدان المغربية.....(175)
3- أهم النصوص المحققة منذ مطلع الألفية الثالثة.....(182)
الخاتمة.....(189-192)
الملاحق.....(193-210)
الوراقية.....(211-232)
فهرس المحتوى.....(233-235)